كتاب

النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين

تأليف

العارف الربانى الجامع بين الشريعة والحقيقة محيي علوم
السادة الصوفية بتصانيفه ومجدد أسرار السلف
الصالح تآليفه المرشد الدال على الله وعلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيدى السيد
محمد ماضى أبو العزائم أطال الله
عمره ونفعنا بعلومه
وأسراره آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٣٢ هجرية
١٩١٤ م

﴿ المطبعة الجمالية بحارة الروم — بمصر ﴾

كتاب

النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين

تأليف

العارف الربانى الجامع بين الشريعة والحقيقة محيي علوم
السادة الصوفية بتصانيفه ومجدد أسرار السلف
الصالح بتآليفه المرشد الدال على الله وعلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيدى السيد
محمد ماضى أبو العزائم أطال الله
عمره ونفعنا بعلومه
وأسراره آمين

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٣٢ هـ
١٩١٤ م

﴿ المطبعة الجماليه بحارة الروم — بمصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خلق الانسان علمه البيان سبحانه وتعالى لا أحصى ثناء عليه كما أثنى على نفسه : أرسل رسوله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله : ختم به عقد الرسل الكرام فأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شىء حتى أغنى الله خلقه بما أنزله عليه صلى الله عليه وسلم عن الاحتياج الى رسول يأتى من بعده فكان صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل ورسولا للخلق كافة : بيّن الله لنا به صراطه المستقيم وسبل نيل الكمالات النفسانية والتخلق بالاخلاق الربانية والتشبه بعوالم الملكوت الاعلى والمجاهدة فى نيل السعادتين فشرح لنا صلى الله عليه وسلم بعمله وقوله وحاله ما يجب أن نكون عليه من الاعتقاد والعلم والعمل والحال وبيّن لنا صلى الله عليه وسلم ما يجب علينا لانفسنا ولربنا سبحانه وما يجب علينا لكل حىّ صلى الله عليه وعلى آله وسلم

﴿ وبعد ﴾ فأقول وأنا العبد المسكين محمود ماضى أبو العزائم أنى بعد أن أملى علىّ الاستاذ سيدى ومولاى شقيقى السيد محمد ماضى أبو العزائم كتاب معارج المقرّبين وبيّن لنا فيه جملا من علوم النفس والفرق بين العلم والايمان وغير ذلك من العلوم العالية ظهر احتياجى أنا واخوانى الى كتاب يفصّل لنا فيه الواجب علينا لانفسنا ولله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللوالدين ولاولى الامر منا وغيرهم ممن له علينا حقوق تفصيلا لا يحتاج بعده المطالع الى معلم يبيّن له ولا الى كتاب يرجع اليه بحيث تكون عباراته مفهومة للعامة ليكون النفع به أكمل والعمل به أسهل وان يكون مشتملا على الواجب مطلقاً سواء كان واجباً وجوب الفرائض

أوالسنن أوالرغائب فعرضت هذا الامر على شقيق السيد أبي الجمائل وعلى السيد محمود وأخوته أنجال السيد شقيق ومرشدي الاستاذ وعلى خاصته فانشرحت صدورهم لهذا العمل وسارعنا جميعا الى الاستاذ والتمسنا منه نفعنا الله بعلومه أن يملي علينا جملا يبين لنا فيها مالابدمنه لنا مما يتعلق بالمعاملات الحسنة الشرعية والاخلاق المحمدية بالتفصيل فانشرح لذلك صدر الاستاذ أعزه الله وأكرمه وافتتح يملي علينا رضي الله عنه ونفعه ونفعنا به آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم الانسان مالم يعلم . والصلاة والسلام على فاتح أبواب هذا الخير العظيم شمس الهداية المشرقة الممدة بأنوارها الربانية جميع الارواح والعقول وآله وسلم

﴿وبعد﴾ فان العلوم انما تتلقى للعمل بها . وليس العالم من علم . انما العالم من علم فعمل . والعمل بلا علم لا يرفع . والعلم بلا عمل لا ينفع . واني أكرر التنبيه لاخواني المؤمنين ودّني الله واياهم أن يوجهوا هممهم الى تحصيل العلوم للعمل بها وأن الاخ في الله تعالى اذا طالع مسألة من العلم فلم يفتح له مغلقها ولم تظهر له المراد منها ربما أنكر العلم أو أنكر على العالم أو سئم العلم وملّه . وكل هذه قواطع عن ادراك العلوم . وتحجب تبعد الانسان عن مكاشفة أسرار الفهوم . وأنبه اخواني أمدّني الله وأياهم بروح منه أن الاخ اذا قرأ جملة من جمل العلم وصعب عليه فهمها أو خفي عليه مدلولها أن يتوب الى الله باخلاص وصدق ويسأله سبحانه وتعالى أن يعلمه مالم يكن يعلم فان ورد على قلبه وارد الفهم والّا قام فتوضأ وصلى واستمد من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمن الله عليه بفتح هذا المغلق وفهم هذا السر وأنبه اخواني أيضاً أعانني الله وأياهم البيان أن يضن كل أخ بما فتح الله له من غوامض العلوم الا لمؤهل أو لمن كاشفه الله تعالى بما كاشف به أخاه أو مسلم راغب تأمن عليه أيها الاخ من أن ينقدح الشك في قلبه أو يشوب ايمانه ما ينقص به وانبه اخواني أيضاً الى دوام دراسة العلم في أوقات الفراغ وان الاخ اذا فهم مسألة من العلم يجب عليه أن يسارع بالعمل بها وأن يبين لاخيه في الله تعالى بالعمل قبل القول حتى يكون اماما يقتدى به في العمل وانبه اخواني أيضاً أن ما وضعته

فى كتبي هذه تحرّيت أن يكون مطابقا للحق بكل اجتهادى ولكني لا أبرئ نفسى فمن وجد فى كتابى مالا يوافق الحق مما وضعته بما فىّ من العجلة والتسرع والغفلة والنسيان فالواجب على الاخ أيده الله بنوره منه أن يضرب بقولى عرض الحائط وأن يعمل بالحق الذى وضح له ولكني أرجوه أن يسال الله لى المغفرة والعفو فانما أنا بشر وحسن ظنى فى الله يطمعنى فى العفو لانى والحمد لله أكره الباطل وأحب الحق وانبه اخوانى أن يجتهدوا فى العمل بتلك العلوم وأن يتباعدوا من أن يتكلموا بها الا اذا كانوا على بينة من فهم أسرارها وامكان التعبير عنها بما لا يخل بمعانيها وأجلّ ما أحبه من اخوانى أن يجملوا غيرهم والذى يثنى عليهم وعلى علومهم باخلاقهم الحسنة وببيان تلك العلوم لكل طبقة على قدر عقولهم وبالتواضع لله ورسوله وبالزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة وبدوام ذكر الله وتذكير عباده به وبالتباعد عن أماكن التُّهم ومواضع الريب ليسلم ويسلم من شره عباد الله والله تعالى أسال أن يمنحنا جميعا العمل بالكتاب والسنة والحب فى الله والبغض فى الله أنه مجيب الدعاء وصلى الله وسلم على الفاتح لابواب الفضل العظيم وآله وصحبه وسلم

الغرض من الكتاب

معلوم أن النفوس سريعة الانفعال بما تورده عليها الحواس ودليل ذلك ما تراه يحصل للمسرور إذا رأى ما يحزنه فإنه ينسى بسرعة بواعث السرور وينفعل بما يراه وكذلك المحزون إذا شهد ما يسره فإنه ينسى ما كان فيه وينفعل بدواعي السرور وربما انفعل المتألم بمرض شديد ببشرى أو بصوت حسن أو بمعنى بديع فعمه السرور فينسى ألمه حتى لا يكاد يحس به وذلك مشهود محسوس : وكثيرا ما نسي الإنسان ألم الجوع والعطش بمجرد سماع خبر أو رؤية عدو أو حبيب . وقد يكون الرجل محصورا فيشتغل بشيء فينسى ذلك . وليس ذلك الأمر قاصرا على النفوس الفاضلة بل هو عام لجميع النفوس حتى النفوس الحيوانية كما يحصل لكلب الصيد إذا اصطاد مع شدة جوعه وعطشه فإنه ينسيه سروره بالصيد جوعه وعطشه ويرجع مسرعا بصيده إلى سيده يبصبص حوله به : وكما يحصل للاعب الشطرنج من نسيان ألم الجوع والعطش ونسيان الهموم . كل تلك المثل المحسوسة برهان حق على أن النفوس جبلت على التسلي عما دواعيه مؤثرة عليها فتتأثر النفوس بما تشهده تأثيرا يجعلها تألفه وتأنس به ولو كان باطلا أو بدعة مضلة . وقد ظهر هذا الأمر جليا وأصبح المسلم إلا القليل ممن عصم الله آنسا بما يشهده من رذائل الأخلاق التي حظر عليها الشرع آلفا لقبيح الأعمال التي نهى عنها الشرع . مستبدلا جمالات الدين بقبائح البدع ناسيا مراقي الخير ومعارج السعادة فرحا بمدارج الشر ومهاوي الشقاء ينقاد للرذائل كالسيل في البطحاء ويقلد في السفاسف والدنايا كتقليد القردة . يذم ما مدحه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أئمة الهدى ويمدح ما يلائم حظه وهواه حتى هوى في حضيض الذلة وانحط إلى درك الخزي وصار عالة على الناس بعد أن كان هو الناس . كل ذلك أشهده بعيني رأسي وأعلم حق العلم أن ذلك كله من عدم الذكرى وإهمال أهل العلم في تأدية الواجب عليهم لجماعة المسلمين خوفا على أنفسهم من أذية الناس أو نسيانا بالواجب عليهم وإن خالفني في هذا من لم يطلع على روح الشريعة

المطهرة ولم يقع به العلم على حق اليقين ممن يرى ان الدين الاسلامى كالاديان الاخرى لا يرتقى أهله الا بتركه لان هؤلاء نظروا بمين رءوسهم وجهلوا أسرار دينهم لان القرآن الشريف أنزله الله تعالى ضامنا لمن تمسك به العزة والسلطان في الدنيا والسعادة الابدية في الاخرى . يعلم ذلك حق العلم أعداء الدين العقلاء الذين أسسوا سعادتهم في الدنيا على الاساس الذى أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجد والعمل وأعداد العدة والعدد وانتشار العلوم : وما نهج عليه أئمة الهدى من احياء الصناعات والزراعات والفنون وتقوية الامة وتربية نفوسهم حتى نالوا ما نالوا من سعادة الدنيا . ولا يزال أعداء الاسلام عاملين بالاسلام وأهله تاركين له . وأنت تعلم أيها القارئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بين هذا الحي من العرب وكانوا أذل الناس ذلا وأشقاهم عيشا وأجوعهم بطنا وأعراهم جلودا وأبينهم ضلالا . من عاش منهم عاش شقيا ومن مات منهم ردى في النار . يؤكلون ولا يأكلون . والله ما نعلم قبيلا من أهل الارض يومئذ كانوا أشر منهم منزلا حتى جاء الله بالاسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس فبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله نعمته فان ربكم منعم يحب الشكر . وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى . والشكر حقيقة هو العمل بشرائع الاسلام كما قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) فأثبت أن الشكر عمل . ومتى عمل المسلمون باحكام القرآن وبالسنة المحمدية عاد لهم هذا المجد ودام لهم ما داموا عاملين بالكتاب والسنة : واليك برهانا يقينيا وهو أن سلفنا الصالح تمسكوا بشرائع الاسلام على الوجه الاكمل فمكن الله لهم في البلاد ومحا بهم الظلم والضلال من كل اقطار العالم وفتح لهم كنوز الصناعات والفنون وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون من خواص الكائنات : وكان المجتمع الانسانى في كل بقاع الارض بالنسبة لهم اتباعا وهم الرعاة والسادة والقادة لا لكثرة عددهم بل لعملهم بشرائع الاسلام فلما حدثت البدع المضلة التى أنتجتها المطامع والاهواء والحظوظ وأولوا أحكام الاسلام على الوجه الذى يناسب حظوظهم وأهواءهم وقعت العداوة والبغضاء بينهم وقام أهل الاديان الاخرى فرفضوا الدين وراء ظهورهم لانه ليس دين الرقى ونهجوا على الاساس الذى أسسه أئمة الهدى المأخوذ من

القرآن والسنة فتقهقر الذين يدّعون انهم مسلمون لتركهم العمل بالدين الاسلامي وتقدم الامم غيرهم لتركهم العمل بدينهم المؤسس على خراب العمران والرهبانية والنفور من غير أهل الدين كما ترى ذلك صريح ما بايديهم من الكتب السماوية . فنحن تركنا العمل بديننا فتقهقرنا وذللنا وخذلنا وهم تركوا العمل بدينهم واقتدوا بسلفنا الصالح فسلطهم الله علينا وآتاهم الله زينة وأموالا في الحياة الدنيا بما تمسكوا به من شرائع الاسلام : وذلك لان القرآن الشريف أمرنا بالعمل للآخرة وجعل نيل السعادة في الآخرة متوقفا على العمل للدنيا لان كل ركن من أركان الاسلام لا قوام له الا بالمال

انظر الى الصلاة فانه اشترط في الجمعة المسجد والمسجد محتاج الى بنّاء ونجّار وحدّاد وعامل ولا يمكن ان يكون الا بوجود الصناع والاموال . واشترط للصلاة ستر العورة ولا تكون الا بالثياب والثياب تحتاج الى مزارع وغزّال ونساج وتجار : وتلك الصناعات تحتاج الى صناع كثيرين وأموال كثيرة واشترط استقبال القبلة لكل مصل ولا يتسنى ذلك الا بعلم الجهات الاصلية والفرعية وعلم تخطيط الارض ومعرفة جهات الكواكب الثابتة حتى يهتدي المصلي الى جهة الكعبة واشترط للصلاة دخول الوقت وهو متوقف على علم خطوط الطول والعرض لكل نقطة من نقاط الارض ومعرفة سير الشمس وتنقلاتها حتى أنتجت تلك الشروط اختراع الساعات والمزاول والبوصلة وعلم المواقيت وعلم الفلك . واشترط الطهارة وهذا الشرط أنتج علم العناية بالابدان وحفظها من الاوساخ وعلم أمراض الجلد خصوصا مسح الاسنان بالأراك فانه قد ظهر ان أكثر أمراض الجسم الباطنة ناتجة من الاوساخ المتراكمة بين الاسنان وحواليها . فكانت الصلاة سببا في اظهار مكنون علوم كثيرة لولاها لم يشتغل أهل العلم بتدوين تلك العلوم : والصيام متوقف على وجود ما يقتات به عند الافطار وعند السحور ولا يكون ذلك إلا بزاد متوفر أذ كل مسلم لا يجد طعاما عند المغرب وطعاما قبل الفجر ساقط عنه الصيام وهذا لا يكون الا بكثرة الاموال : والحج عبادة مالية أكثر من كونها بدنية لان شرطه الزاد والراحلة بعد ترك ما يقوم به أهله حتى يرجع اليهم ولا يكون الا

بوفرة المال : والزكاة هي عبادة مالية صرفة فاذا كانت العبادات المفروضة قوامها المال فهو دين عمل وكسب للمال ابتغاء رضاء الله قال الله تعالى ﴿ الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور ﴾ هذه الآية الشريفة تدلنا دلالة صريحة على ان المسلمين اذا تمسكوا بشرائع دينهم مكنهم الله في الارض وملكهم على من سواهم فان مكنهم في الارض وتركوا شعائر الدين سلط عليهم أعداءهم بجاس واخلال الديار . نعوذ بالله تعالى من مخالفة شرائع الاسلام المؤدية الى الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة وقال الله سبحانه وتعالى ﴿ للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ﴾ هذه الآية الشريفة برهان جلي على أن المسلمين اذا أحسنوا في هذه الحياة الدنيا باتباع شرائع الاسلام فتح الله لهم كنوز السموات والارض وأذل لهم غيرهم من الامم حتى ينقادوا لهم وفي هذا الوقت تظهر بشاشة الايمان وحلاوة الاسلام للعالم جميعه بمحافظة المسلمين على شرائع الدين فيعتنق اكثر اهل الارض الدين الاسلامي لانه مطلوب النفوس اذا تجردت من العصبية والحظ والهوى . والمسلمون اذا أحسنوا في هذه الدنيا طهروا نفوس الامم المجاورة لهم من تلك الامراض فصفت النفوس ورغبت في الحق وبحثت عنه فوجدته هو الدين الاسلامي ولو قرأت صحيفة من تاريخ السلف الصالح الذين أحسنوا في هذه الحياة الدنيا لعلمت كيف أقبل العالم على الدين الاسلامي بسرور واعتنقوه مطمئنين فرحين لان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جملهم الله تعالى بجمال الاسلام حتى ظهرت حقائق الدين الاسلامي جلية لكل من شهدهم أو جاورهم

نشأ الاسلام بمكة فلم تمض سنون تعد على الاصابع الا وقد سرت روحه على سواحل المحيط الاطلانطيقي وعلى الضفاف الشمالية للبحر الابيض المتوسط وانتشرت بسرعة حتى أشرقت أنوارها على سواحل المحيط الهندي والمحيط الهادي ولم تقف تلك الروح حتى سرت في آسيا وافريقيا وأوربا والجزر واعتنق دين الاسلام اهل العقول والعلم ودان لسلطان المسلمين بقيتهم فكان المجتمع الانساني اما أن يدين للاسلام أو يدين للمسلمين بالانقياد : لم يكن ذلك بعدد ولا بقوم كان لهم ملك فقاموا ليجددوه ولكن كان عددهم

اليقين الحق وعدهم الاخلاق الظاهرة والحرص على الخير لبني الانسان ثم انتقل العالم الانساني من ظلمات الجهالة والضلالة الى أنوار الفضائل والرقي فأحيوا الافكار بالنظر في الآثار و بحثوا عن خواص الكائنات حتى استنتجوا منافع كل كائن ومضاره فاستعملوا المنافع و بنوا الوقاية من المضار : كل ذلك كان باتباع شرائع الاسلام و بالعمل بالقرآن

ولما ترك المسلمون العمل بشرائع الاسلام وحل الطمع محل القناعة والامل محل الخشية والغرور محل الخوف من الله والانتقام محل الرحمة والحرص على الدنيا محل العمل فيها للآخرة والمزاحمة فيما يفنى محل المنافسة فيما يبقى ومالوا الى زينة الدنيا و بهجتها ونسوا يوم الحساب و وثقوا بكثرة الاموال وقوة الملك : عند ذلك التفت الله تعالى بوجهه الجميل عنهم و وكلهم الى أنفسهم وحرمهم من معيته سبحانه وتعالى الخاصة بهم لعدم اتباع شرائع الاسلام وعاملهم بسر قوله تعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وحقا صارت الاموال سبب الفتن والخصومات بين الوالد وولده وصار الملك سبب الذل والتفرقة حتى صرفت الاموال في المصائب والخصومات وقتلت النفوس البريئة طمعا في الدنيا وتفرقت الكلمة و تبلبلت الالسن وذهب السلطان لضعف الايمان وترك شرائع الاسلام

كل تلك الحوادث دعتني أن ألبي اخواني الذين التمسوا مني ان اكتب لاخواني المسلمين مختصرا أبين فيه الواجب للمسلم وعليه عسى أن تلك القلوب النائمة نومة الغفلة الراقدة رقدة الجهالة تستيقظ . وتلك النفوس المسجونة في ظلمة الحظ والهوى والنسيان تتجرد وتبحث عن طريق السعادة في الدنيا والآخرة وتنهج على الطريقة المستقيمة التي تنال بها الحسنة من الله تعالى في الدنيا والآخرة : اذا تقرر ذلك فالغرض من الكتاب تحصيل العلم النافع تحصيلا يكسبنا الخشية من الله تعالى والعمل بشرائع الاسلام حتى تلين الابدان والنفوس وتنجذب الى السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة : هذا هو الغرض الباعث لجمع تلك المذكرات . على اني أبرأ الى الله تعالى مما خفي عليّ في نفسي من الحظوظ الخفية والنزوع الخفي مما لا حول لي ولا قوة على دفعه الا بالله تعالى

فان ذلك من فطر النفوس البشرية . وأنبه اخوتي المؤمنين الى ان مختصري هذا انما وضع ليفتح بابا من أبواب الخير تنبيها لاهل الفضل أن يوجهوا هممهم الى الحث على العمل بشرائع الاسلام . وأكرر الذكرى لاني لست معصوما فقد أخطئ وقد أصيب ولكنني ما كتبت في كتبي الا ما اعتقدته صوابا فمن ظهر له الخطأ فيها فالواجب عليه أن يسأل الله لي المغفرة وأن ينبه على ذلك بعد البحث والتدقيق لا ليوقع المسلمين في الاختلاف بل رحمة باخوته المؤمنين وأنبه القارئ أن يقرأ تلك الكتب لا بقصد الاعتراض والانتقاد أو التحسس والتجسس بل يقرؤها ليتذكر أن كان عالما وليزداد أن كان طالبا وليتعلم أن كان مبتدئا والله سبحانه أسأل أن يحيي قلوبنا ويمكن لنا في الارض بالحق ويمنحنا السعادة الابدية بالاستجابة لله ورسوله أنه مجيب الدعاء آمين

﴿ بالاسلام نيل السعادتين ﴾

كل بني الانسان لو تجردوا عن الحظوظ الحاجبة للعقول عن ادراك الحق والاهواء التي تعمي عين البصيرة لتحققوا أن الاسلام هو الدين الحق الذي به سعادة الدنيا والآخرة حسا وعيانا . وذلك لان الله سبحانه وتعالى جعل الانسان نوعا وسطا بين عوالم الملائكة والحيوانات ووهب له العقل الذي يعقل عنه سبحانه وسخر له ما في السموات وما في الارض جميعا منه تقدست ذاته . خلق آدم سبحانه على صورته سميعا بصيرا متكلما مؤهلا لتلقي العلم مريدا وجعله خليفة في الارض ومنحه سبحانه عيونا في قلبه يبصر بها أسرار الغيب من الآيات المنبلجة في الآثار وفطره على الدين فلا ترى فردا من أفراد بني الانسان ألا وهو يخضع لقوة يسميها (الله) اهتدى الى الطريق الموصل للحق فيها من هداهم الله وأخطأ طريق معرفته من حجبهم الله قال تعالى « من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا » خلق الله الانسان ليشهده غرائب قدرته في مكوناته بما جعل له من النور في قلبه ويكاشفه بعجائب حكمته في آياته بما منحه من نور الفكرة وجعل له قوة يحكم بها وأعده لنيل

الكمالات الروحانية أو ارتكاب النقائص الشيطانية قال تعالى (وهديناه النجدين) وقال تعالى (أناهديناه السبيل اماشاكرأواما كفورا) وقال صلى الله عليه وسلم (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) فطره سبحانه مضطرا مفتقرا محتاجا الى المعاونة وأحاطه سبحانه بكنوز من الخيرات والبركات وجعل سبحانه مفاتيحها العمل والفكر لا لحاجة منه سبحانه الى عمل الانسان وهو الغنى ولكنها حكمة عالية . سرها قيام الانسان بحقيقة الخلافة عن الرب تعالت ذاته واظهار الاسرار المنطوية فى تلك الآثار لقلبه ليذوق من ذلك حلاوة الايمان بكمال التوحيد ويشاهد من تلك الاسرار معانى تنزلات الاسماء والصفات ويترقى حتى يتحقق بالعجز المطلق عن ادراك كمالات الذات ولا يكون فتح تلك الكنوز المحيطة بالانسان الا بالعناء والعمل قال الله تعالى (ياأيها الانسان أنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا) فهذه الآية الشريفة تدل دلالة صريحة على أن عناء الانسان وتعبه وكده وجده لحكمة التقرب من الله تعالى ولا يكون ذلك الا بالفكر الناتج عن الذكر ذكر الذكرى وتلقى الحكمة كما قال تعالى (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون) ففطرة الانسان على الاضطرار والحاجة . سرها فتح كنوز الخيرات والبركات له حسا ومعنى : أنتجت الضرورة علم خواص الكائنات واظهار غوامض الآيات واليقين الحق لعلىّ قدرة القادر وعلىّ حكمة الحكيم : أنتجت تلك الضرورة الاحتياج الى التعاون للتبادل الامر المفضى بخراب العمران اذا لم يكن هناك شرع حافظ للقلوب من تقلبها فى الرذائل والجهالات بما به تزكية النفوس وخشية القلوب . وحافظ للابدان من تحركها للظلم والمفاسد ولا يكون هذا الشرع بوضع مخلوق لان كل ما وضعه المخلوق انما يحكم على الابدان لان المخلوق بنفسه يجهل طرق تزكية النفس وعلم مبدئه ومعاده ولا يعرف قدر الخير الذى يناله من أخيه ولكن همه فى جلب الخير لنفسه ودفع الشر عنها

ولما كان الانسان فى أول نشأته منذ أبينا آدم عليه السلام قليل الضرورات أوحى الله تعالى اليه بعد علم التوحيد ما لابد له منه ثم أخذ الانسان تكثر ضرورياته فارسل الله

الرسل بأحكام شرعية على قدر ضرو ريات الانسان فى كل زمان ومكان . ومن قرأ القرآن الشريف وقرأ أسفار الانبياء فى التوراة يظهر له حقيقة ما قلت : أرسل الله شيثا عليه السلام بما يناسب زمانه ثم أرسل سيدنا نوحا بتوحيد الله وعبادته لما كانوا عليه من عبادة الاوثان . ثم أرسل سيدنا لوطا عليه السلام لينذرهم عاقبة فعل الفاحشة . ثم أرسل سيدنا صالحا عليه الصلاة والسلام ليعلمهم العدل والمساواة وجعل الله الناقة له آية بعد أن أرسل سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ليطهرهم من رجس الشرك ويوجههم الى الله تعالى . فلما أن أخذ الانسان تكثر ضرورياته وتشتاق نفسه الى الكماليات بعث الله سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام يدعو فرعون أوّلا الى العدل والرحمة ومساواة جميع بنى الانسان بعضهم ويدعو قومه الى توحيد الله وعبادته وأنزل الله عليه التوراه . ومن قرأ سفر التالوت فى التوراة تحقق قدر الاحكام الشرعية التى كان يحتاج اليها الانسان فى هذا الزمان . ولما كان بنو اسرائيل يهتمون بأعمال الابدان حتى فى زمان سيدنا موسى ودليل ذلك أنهم اتخذوا العجل ليروه بأعينهم وزاد على ذلك أنهم جعلوا الدين وراء ظهورهم وأبدلوه بأهوائهم وحظوظهم : بعث الله سيدنا عيسى عليه السلام ليمحى تلك البدع التى ابتدعوها فى التوراة وينبههم الى عمل القلوب ويخفف عنهم أثقال الاعمال البدنية بما جاءهم به عليه السلام من الحكمة والبيان فكان كل رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام بعثه الله تعالى بخلق من الاخلاق التى يحبها الله تعالى أو عمل من الاعمال التى يرضاها الله تعالى كما أرسل الله سيدنا شعيباً عليه السلام بخلق العدالة فى وفاء الكيل والوزن بالقسطاس المستقيم فكان كل رسول ينتظر رسولا بعده حتى أراد الله تعالى أن يختم الرسالة بسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فأنزل عليه القرآن تبيانا لكل شىء من ضروريات الانسان وكمالياته فى الدنيا وفضائله النفسانية وكمالاته الروحانية لنيل سعادة الابد : أنزل الله تعالى القرآن على حبيبه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم هدى ونورا مبينا جامعاً لكل خير فى الدنيا والآخرة . نظر اليه العقل السليم من الحظوظ والاهواء نظرة اكبار واعظام وتجلة واكرام فتلقاه خاشعا خانعا فرحا مسرورا موقنا أنه السعادة الحقيقية للانسان والخير الحقيقى له . أنزل الله تعالى القرآن بالعقائد الالهية فلما تليت على العقل كشفت عنه ستائر

الاوهام وأزالت عنه سحب الجهالات وبثت فيه نور التوحيد الذي كان حائراً مترددا فيه لا يهتدي الى طريقة الوصول اليه ولا محجة القرب منه : أنزله سبحانه بالاخلاق الطاهرة الفاضلة التي بالتجمل بها يسعد المجتمع الانساني في الدنيا والآخرة من الرحمة بالخلق والعاطفة عليهم وحسن رعايتهم والسعي في نفعهم وجلب الخيرات لهم ودفع المضرات عنهم والبر والصلة والوفاء وأكرام الجار والضيف والرحمة بالحيوانات وغير ذلك من التخلق باخلاق الله والتشبه باخلاق الروحانيين سكان ملكوت الله حتى صار الانسان انسانا بصورته ومطعمه وضروريانه وملكا كريما مقربا بعقيدته وأخلاقه : أنزل القرآن سبحانه بالعبادات المحبوبة للارواح من صلاة وصيام وزكاة وحج وذكر وفكر وجهاد للنفس وللعدو مما به تزكية النفوس من اقسمها وتطهيرها من نزوعها وتذكيرها بنعم الله وبعظمته وكبريائه وجلاله وشكر الجناب المعطي الوهاب القادر الحكيم : أنزل الله تعالى القرآن بمعاملات وما ترك سبحانه صغيرة ولا كبيرة مما لابد للانسان أن يعامل أخاه فيها الا أحصاها : ضمنت سعادة المجتمع الانساني في الدنيا وراحته وسعة البركات عليه وراحة قلبه من العناء وجسمه من البلاء : ضمنت التحابب والتآلف لكل بني الانسان لو تمسكوا بها وما من مجمل في القرآن الشريف الا وفصله لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مبهم الا وبينه صلوات الله وسلامه عليه : أنزل الله تعالى القرآن بأقاصيص الاولين وأخبار الماضين عبرة لأولي الالباب وذكرى لكل قلب منيب. أنزل الله تعالى القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب قبلها العقل وقام عاملا بها وأخر متشابهات ليعلم العقل أنه مخلوق عاجز عن درك الاسرار الالهية الابالالتجاء الى المعطي الوهاب والاعتراف بالعجز عن ادراك كمالات الخالق البارئ المصور فكانت تلك الآيات المتشابهات نورا للعقول الكاملة وتزكية للنفوس الفاضلة بها كمل التوحيد بسر العجز عن ادراك معاني الآيات فكيف يمكن أن يدرك كمال منزل الآيات فدلنا القرآن وبيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القرآن خاتم الكتب وان سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل لان الله تعالى أنزل القرآن جامعاً لخير بني الانسان الى قيام الساعة وأن سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم أرسله الله سبحانه

وتعالى فبيّن للناس كل مايحتاجون اليه من الامور المتعلقة بكل فرد في نفسه منفرداً من الاحوال الشخصية ومع غيره من الاحوال الاجتماعية مما به كمال الانسان الحقيقي والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة . ولم يكن قبل القرآن قانون جامع لبعض ضروريات الانسان فضلاً عن كمالياته إلا ماوجد في سفر التالوت من التوراة مما يحتاج اليه أهل زمانه . وربما اعترض على معترض فقال إن للرومان قانوناً من قبل عصر المسيح عليه السلام فأرد عليه قائلاً أن المواد المدونة في الكتاب الذي تدعى أنه القانون الروماني ماخوذ من مذهب مالك من بلاد الاندلس ولكن الذين ترجموه خدموا الامة بالتدليس وادعوا أنه قانون روماني قديم . ومن قرأ صفحة من تاريخ الرومانيين يعلم أنهم كانوا أهل مدن فاسقة لان العدل كان عندهم أن يذل القوي الضعيف لينتفع منه وينفعه فكانت مدنهم مدناً ضالة لا شريعة لهم الا القوة . ولو تأملت في فتح المسلمين بلادهم وتحققت أن الامم المحتلة بهم كانت تعين المسلمين على الرومانيين لعلمت كيف كانت أحكامهم الجاهلية . فأين كان هذا القانون الذي ظهر عند ضعف الاندلس .

جاء الانجيل فأمر الاغنياء بترك أموالهم ولم يلتفت الى الدنيا بعين وفصل الدين عن الدنيا بكلمته التي قالها (أعط لقيصر مالقيصر وأعط لله مالله) : لم يُقِر الأرحام نظرة صلة لانه عليه الصلاة والسلام عندما جاءته أمه وأخوه يستأذنان عليه قال أنا لا أمّ لي ولا أخ لي ثم نظر الى تلاميذه وقال أنتم أمي وأخي : ترك مابه بقاء العمران بحفظ النسل وهو الزواج : اهتم بالقلوب وترك الابدان . قال ماجئت لاهدم الناموس ولكنه غض بصره عن كل الاحكام المتعلقة بالابدان وصدّق . لانه لم يهدم الناموس كله . فلو اقتدى به عليه الصلاة والسلام كل أهل الارض اقتداء حقيقياً لاصبحت المدن صحارى قاحلة وامحت الصناعات والفنون والعلوم حتى بعث الله خاتم الرسل فاعطى الجسم حقه والنفس حقها وبنى المساكن لنفسه ولاهله والمساجد لعبادة الله وتزوج وادخر الاموال لاهله وقضى بين الناس في الحقوق والخصومات وزرع بيده صلى الله عليه وسلم وحث على الزراعة وباع واشترى بنفسه وحث على التجارة . وكان يصنع لنفسه مالا بد منه وحث على الصناعات . وكان صلى

الله عليه وسلم يتجمل للوفود بأجمل الحلل ويحب الطيب من المأكل والمشرب اذا يسره الله له من حلال طيب . وكان نظيفا يحب النظافة والجميل من كل شيء مع كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم ورضاه بالقليل من كل شيء : كل ذلك لانه شمس مضيئة لجميع العالم ولانه خاتم رسل الله بعثه الله بكل خير وفضيلة وهدى ورشاد . فلو تجردت العقول عما يعقلها عن الحق من عصبية للآباء وغرور بالسيادة والرياسة وطمع فيما يزول وطهرت من الجهالة لانقادت لشرائع الاسلام ولما وسعها الا أن تحق من يمنعها عنه ولو كان أباً أو أماً وما يمنعها عنه من ملك ومال : ولو أن بشاشة الاسلام باشرت القلوب لانسعت وانشرحت الصدور ولم يبق من بني الانسان انسان إلا وهو يدين بدين الاسلام . والله تعالى أسأل أن يمنّ على جماعة المسلمين بعناية تجمعهم ومعونة تؤلفهم ونور يزكي نفوسهم وقادة يحبهم ويحبونه وأسأله سبحانه أن يظهر أنوار الاسلام بقوة المسلمين وأن يزيل البدع المضلة بنور اليقين وأن يحيي السنة ويعلي الكلمة أنه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير : واليك ما ورد من الآيات الدالة على الحث على مكارم الاخلاق والجد والعمل للدنيا والآخرة والاحاديث النبوية الدالة على ذلك

اذا تقرر هذا وقد تقرر بالبرهان الساطع والحجة البينة ومعلوم أن الانسان يهتم بنجاة نفسه وجلب السعادات لها ويعلم ويعتقد أنه لا نجاة الا بعمل قلبي وبدني تنال به السعادة وتقرر أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليسوا مقصودين لذاتهم بل يقصدون لنيل السعادة في الدنيا والآخرة وأنفعهم لبني الانسان الرسول الكريم الحريص على خير الناس الرءوف الرحيم بالمؤمنين الذي بعثه الله للناس عامة مبينا سبل النجاة ومناهج الخيرات ومحجة السعادة ظهرت أنوار وصاياه وأشرقت شمس الحق به صلى الله عليه وسلم لجميع العالم : جاء بالعقيدة التي جعلت العقل يعقلها باجلى برهان والقلب يطمئن بها والنفس تسكن اليها : محا الشرك صلى الله عليه وسلم بحق اليقين بالواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد : أنزل الله تعالى عليه القرآن مخاطبا له . يا أيها النبي . يا أيها الرسول . سبحان الذي أسرى بعبده . فاوحى الى عبده . وجعل أساس العقيدة أنه عبد صرف لذات الله وأنه لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً الا ماشاء الله كما قال تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرا الا ماشاء الله) : بشر به المسيح

عليه السلام وثبت اسمه فى أنجيل يوحنا عند ماسألوا يوحنا (يحيي عليه السلام) أأيليا أنت قال لا : المسيح أنت قال لا : الرسول أنت قال لا : فثبت بنص الانجيل أنه يأتى أيليا والمسيح والرسول وقال المسيح فى أنجيل برنابا : الرسول الذى يأتى من بعدى المسمى محمد هو الذى يدخل على الرب أتمنى أن أحمل حذاءه . والبشائر به صلى الله عليه وسلم فى أسفار الانبياء لا تحصى موضحة اسمه ومحل مولده صلى الله عليه وسلم ومحل هجرته صلى الله عليه وسلم وأنه من بنى عم اسرائيل واسرائيل هو يعقوب بن اسحاق وبنو عمه أبناء سيدنا اسماعيل عليه السلام لان اسماعيل عليه السلام عم يعقوب . ولست فى مقام اثبات البشائر به صلى الله عليه وسلم ولكنى فى مقام اثبات النجاة به صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة :

سس الدين على التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك منزها ذات الله عن الشبيه والنظير والضد والند والولد والوالد والوالدة وأنه صلى الله عليه وسلم عبد الله ورسول الله صلى الله عليه وسلم سر قوله تعالى (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) وهى حقيقة النجاة وسر مساواة بنى الانسان . ولو نظرنا الى الاديان الاخرى لوجدنا هذا الاساس الحقيقى وهذا النور المبين الذى هو العقيدة فى الاديان الاخرى ينفر منه العقل السليم وتأباه النفس الزكية . وكيف لا وقد جعل بعضهم الاله شمسا وقد جعل بعضهم الشمس إلها أو النجم إلها أو جعل للاله ولدا أو شريكا تنزه وتعالى . ومنهم من جعله ثالث ثلاثة أو جعله مركبا من ثلاثة حكما على الغائب بالمشهود تعالى الله علوا كبيراً . فانظر أيها العاقل بعين تنجو بها من هاوية الجهل بربك ومن أليم عذاب الشرك به سبحانه ومن جحيم الجحود به تنزه وتعالى واعتقد أن هذا الرسول النبى الامى رءوف رحيم بك حريص على خيراتك . دعاك للنجاة بعاطفة أبوة ورحمة وحنانة . جاءك بما يقبله عقلك ويطمئن به قلبك وينشرح به صدرك . لم يجعل نفسه إلها ولا من الاله ولا حل فيه الاله بل قال أنا عبد لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله : كثيراً ما بكى رحمة ببنى الانسان . وكم تحمل الاذية شفقة على بنى الانسان : لم يدع على قومه كما دعا السابقون على أممهم فاغرقهم الله فى اليم أو فى الطوفان أو خسف بهم الارض أو مزقهم شيعا أو أهلكهم بالطاعون كما حصل من الرسل السابقين قبله

ولكنه رحمة حقيقية و رأفة وحنان حريص على نجاة العالم أجمع . وما عليك أيها المعاند لو انك جردت نفسك لحظة من العصبية ومن الحظ الذى يعمى البصيرة ومن الهوى الذى يطمث معالم السر و بحثت عن نجاتك الحقيقية لتستدل عليها عقلا وفكرا . وما عليك ايها الانسان الا ان تنظر الى الاساس الاول وهو العقيدة والى الاساس الثانى وهو تزكية النفوس وتطهيرها بالاخلاص فى العبادة والفكر والصدق فى المعاملة والرحمة ببنى نوعك وانى على يقين ايها الانسان العاقل انك اذا أعرت هذا الامر نظرة عقلية لعلمت ان هذا السيد الرءوف الرحيم صلى الله عليه وسلم يجب الاقتداء به والعمل بوصاياه والتصديق بما جاء به ولا تظن انى اقول لك هذا عصبية لدينى . لا ومن فلق الحب والنوى . انما ذلك بعد نظر واستدلال و بيان و برهان . حتى انبلج الحق جليا . وظهر النور مضيا . فلا تحمل نصيحتى عداوة و بغضا وارشادى لك ايها الانسان خصومة وغيا . أرشدنى الله و إياك لما به النجاة الحقيقية وهدانى واياك الهداية الحقيقية

(الوصايا الاسلامية)

أنبه فكرك أيها الناظر بنور قلبك . المسترشد بنور فكرك . الناظر بعيون عقلك . الى نذر يسير من الوصايا القرآنية والارشادات النبوية لتذوق طهور العلم وتتجمل بالكمالات الانسانية التى تفوز بها بالسعادة الابدية والفوز فى الدنيا والآخرة

(الاخلاص لله والاحسان بالوالدين والقربى)

قال الله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا و بذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم) وقال تعالى (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا) وقال جلت قدرته (وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه و بالوالدين احسانا اما يبلغن

عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) وقال سبحانه (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) وقال تعالى (ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك الىّ المصير وان جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) هذه وصايا الله سبحانه وتعالى فى الاخلاص فى عبادته سبحانه وبر الوالدين وصلة الرحم والاحسان الى الجيران والرحمة بالخلق أجمعين تلوح أنوار الشفقة الالهية وأسرار العواطف الربانية وسوابغ المنن : اذا تحقق العبد أن ربه سبحانه وتعالى برّ يحب البار وتّواب يحب الواصل لرحمه عطوف رءوف ودود محسن يحب من تخلق باخلاقه سبحانه وتحقق العبد أن ذلك موجب لمزيد فضله وواسع نعماه فى الدنيا ونيل الفوز والسعادة الابدية من ربه سبحانه فى الآخرة اشتاق الى تلك المعانى وجاهد نفسه حتى يتجمل بتلك الصفات رغبة فيما عند الله وعملا بما أمر الله وحبا فى الفضيلة وحسن الاحدوثة فى الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله حرم عليكم عقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) وقال صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول (من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله) وقال صلى الله عليه وسلم (ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها) وقال صلى الله عليه وسلم (اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يرد القدر الا الدعاء ولا يزيد فى العمر الا البر) وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)

تناول أيها الانسان العاقل من هذا الشراب وتحقق ان تلك الوصايا النبوية هى معارج للسعادة ومنازل للفوز واشكر الله على نعمته العظمى علينا بسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وسارع الى نجاة نفسك بالعمل بوصاياه صلى الله عليه وسلم

﴿ الحث على طلب الكسب الحلال ﴾

قال الله تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال سبحانه وتعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما أكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يديه وان نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يديه . وقال صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا) وان الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى (ياأيها الرسل كلوا من الطيبات) وقال سبحانه (ياأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث اغبر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانّى يستجاب لذلك) وقال صلى الله عليه وسلم (يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه أمن الحلال أم من الحرام) وقال عليه الصلاة والسلام (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وان لكل ملك حمى ألا وان حمى الله محارمه ألا وان في الجسد مضغة اذا أصلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) وقال صلوات الله وسلامه عليه (ان أطيب ما اكلتم من كسبكم وان أولادكم من كسبكم) وفي رواية (ان اطيب ما أكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه) عن عطية السعدي رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به حذرا مما به بأس)

﴿ وصايا الاخلاق ﴾

قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء

من نساء عسى ان يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) وقال تعالى (ياأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) وقال تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) وقال تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقال تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال جل شانه (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال سبحانه وتعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال جلت قدرته (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال تعالى ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وقال سبحانه وتعالى (وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين) وقال جل جلاله (الذين ان مكناهم فى الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) . وقال صلى الله عليه وسلم (رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى) . وقال صلى الله عليه وسلم (ان رجلا كان فيمن قبلكم أتاه الملك ليقبض روحه فقيل له هل عملت من خير قال ما أعلم قيل له انظر قال ما أعلم شيئا غير انى كنت أبايع الناس فى الدنيا وأجازيهم فأنظر الموسر وأتجاوز عن المعسر فأدخله الله الجنة) عن جرير ابن عبد الله رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يرحم الله من لا يرحم الناس) وقال صلى الله عليه وسلم (الساعى على الارملة والمسكين كالساعى فى سبيل الله

وأحسبه قال كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) وقال صلى الله عليه وسلم (أنا وكافل اليتيم له ولغيره في الجنة هكذا) وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً . وقال عليه الصلاة والسلام (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) ثم شبك بين أصابعه . وقال صلى الله عليه وسلم (انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يارسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه) وقال صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه . وقال صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه) : عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ومالا يعطى على ماسواه) . وقال صلى الله عليه وسلم (من يحرم الرفق يحرم الخير) . وقال صلى الله عليه وسلم (ان الحياء من الايمان) . وقال صلى الله عليه وسلم الحياء لا يأتى الا بخير . عن نواس بن سمعان . قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال (البر حسن الخلق والاثم ماحاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) . وقال صلى الله عليه وسلم ان من أحبكم الى أحسنكم أخلاقا . وقال صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خيرى الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خيرى الدنيا والآخرة . عن أسامة بن شريك قال قالوا يارسول الله ماخير ما أعطى الانسان قال الخلق الحسن . وقال صلى الله عليه وسلم ان أثقل شيء يوضع فى ميزان المؤمن يوم القيامة خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذى . وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بمن يحرم على النار وبمن تحرم النار عليه على كل هين لين قريب سهل . وقال صلى الله عليه وسلم المؤمنون هينون لينون كالجمل الانف ان قيد انقاد وان أنيخ على صخرة استناخ . وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الحور شاء

ايا رفقتى ياخلتى ياأحبتى * على العروة الوثقى فسيروا وارفقوا

ألا فاجتمعوا بالقلوب و إلفة * وعونا على عمل المكارم تلحقوا
وإياكم أخلاق ابليس أنها * اشد أبعدته وهو طاووس رامق
دعوا الكبر والحسد القبيحين سادتى * دعوا طمعا فيما يزول وسابقوا
وستراً لعورات الاحبة كلهم * وعفواً عن الزلات فالعفو أرفق
وغضوا عن المكروه أعين عفة * وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وإياكم وعدو كم سوء خلقكم * وطمعاً وحب الجاه فهو يفرق
توادوا بروح الله بالله وابذلوا * لاخوانكم عند اللزوم وخالقوا
وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم * على الله فالدنيا متاع مفارق
ألا من يكن فى قلبه بعض ذرة * من الكبر والأحقاد ما هو ذائق
ألا طهر الاخلاق والنفس زكها * والا فسهم البعد يرمى فيفتق
ألا يا أخى بالذل ترقى وترفعاً * وبالزهد تعطى ماله تتشوق
تخلق بأخلاق الاله وحافظاً * على منهج المختار فى العقد تنسق
ودع عنك ميلا للحضيض وزينة * بها اشتغل اللاهون عنه وأزهقوا
وقم داعيا بلسان حكمته الذى * به قد حباك الله وهو الموفق
ولا تسع للتفريق وأجمع له به * عليه أولى التسليم اذ أنت واثق
ألا سارعوا أحيوا لسنة احمد * ففتنة هذا العصر كالنار تحرق
ألا اطفئوها باليقين تجردوا * عن الحظ والاهواء فالحظ مفرق
وجدوا وجودوا بالنفوس تحفظاً * على السنة الغراء فالله خالق
ألا بيعوا لله مالا وأنفسا * بمفهوم (ان الله) والذكر ينطق
وعلماً بان الدين حسن عقيدة * وخلق وأعمال بها الذكر ناطق
ألا خلصوا الارواح من سجن نأيها * وجدوا لتزكية النفوس وسابقوا
ألا جاهدوا تلك النفوس بهمة * تفوزوا برضوان من النار تعتقوا
على سنة المختار سيروا بهمة * عسى الله يحيينا به ويوفق

ويحيى بنا البدع التي عم نشرها * لتشرق شمس الدين والشرق مشرق
ألا فابغضوا من أكد الله بغضه * أحبوا بحب الله والحظ فارقوا
ألا فاحفظوا الاركان اركان ديننا * صلاة صياما ثم حجا تصدقوا
أدعوا الذكر الله فالذكر نوره * لاهل الهدى والنهى لا شك فارقوا
ألا عظموا اشعائر الله نعظموا * بها وتسودوا في القيامة تسبقوا

(الوصايا بالوفاء وغيره من الفضائل الشرعية)

قال الله تعالى (ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) وقال الله تعالى (يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ماأصابك ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك) وقال سبحانه وتعالى (ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود) وقال تعالى (ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون

والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم الى ربهم راجعون أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون) وقال جل جلاله (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا) وقال تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) وقال تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما انها ساءت مستقرا ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما : وقال صلى الله عليه وسلم أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا أتُمن خان واذا حدّث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر : عن صفوان بن عسال رضى الله عنه قال قال يهودى لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبى فقال له صاحبه لا تقل نبىّ أنه لو سمعك كان له أربعة أعين فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا محصنة ولا تولوا الفرار يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت . قال

فقبّلا يديه ورجليه وقالا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تتبعوني قالا أن داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي وأنا نخاف ان اتبعناك أن تقتلنا اليهود : وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث من أصل الايمان : الكف عمن قال لا اله الا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الاسلام بعمل والجهاد ماض مذ بعثني الله الى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل والايمان بالاقدار

هذه نماذج من وصايا الله سبحانه وتعالى ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قطرة من المحيط الاعظم جعلتها نورا لقلبك وبرهانا لعقلك وهداية لنفسك لتعلم حق يقين أن الدين الاسلامي هو دين الله حقا الذي خلق الخلق بقدرته وجعل الانسان وسطا بحكمته وأهله لان يكون في أعلى عليين باتباع وصاياه أو في أسفل سافلين بمخالفة أمره ومعصية رسله صلوات الله وسلامه عليهم . كتبت لك هذه القطرة من البحر اللجي لتعلم حق العلم أن تلك الوصايا والحكم دالة على الخير الحقيقي موصلة الى السعادة الابدية بها سعادة المجتمع الانساني وباتباعها الفوز بالرضوان الاكبر من الله تعالى . وأن تلك الوصايا والحكم جامعة لخير الانسان منفردا ومجتمعا في كل أنواع المجتمعات . وهي كليات تضمنت كل جزئيات العادات الحسنة والاخلاق الفاضلة والمعاملة العادلة وشيم النفوس الكريمة وأعمال القلوب الخالصة لله تعالى من عقائد ونوايا وقرب وخشية وصدق واخلاص ويقين وطمأنينة وروية . فلعلك أيها الاخ ان تجذبك يد العناية بما شهدت من تلك الآيات البينات والاحكام المحكمات فتتجمل بهذا الجمال الاسلامي وتتحصن بحصون الامن المنيعة حتى تحفظ من عذاب ضميرك برذائل النفس وأليم العذاب يوم الحساب من اعتقاد العقائد الباطلة والسقوط في هاوية الجحيم بالاعمال المهلكة وانما ذلك رغبة في سعادتك وحبا في خيرك . وكيف لا والدين يأمرني أن أرحم كل ذي كبد رطبة فشفقتي على الانسان واجبة علي كشفقتي على نفسي والله سبحانه وتعالى يجعل لي قسطا من الخير ويمنحني الاخلاص في ارادة الخير والرحمة لجميع الناس ويمنح قارئ هذا المختصر نور هداية وقبول أنه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(تأثير الاسلام على الانسان)

قبل شرح هذا الموضوع أقدم مقدمة أبين فيها من هو الانسان الذى أريده: لا أريد بالانسان الهيكل المعتدل القامة العريض الاظفار الذى يمشى على رجلين لانى سبق لى عند التكلم على درجات تكوين الانسان والاشارة الى سر الحكمة فى تطوره فى تلك المراتب كما قال سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) وأشرنا الى ما أودعه الله تعالى من القوى فى الانسان فانه سبحانه وتعالى قد جمع فى الانسان قوى بسائط العالم ومركباته وروحانياته وجسمانياته ومبدعاته ومكوناته فالانسان من حيث أنه بوساطة العالم حصل . ومن أركانه وقواه أوجده هو العالم : ومن حيث أنه صغر شكله وجميع ما فيه كالمختصر من الكتاب وهو الذى قلّل لفظه واستوفى معناه والانسان هكذا هو اذا اعتبر بالعالم . ومن حيث أنه جعل من صفوة العالم ولبابه وخلاصته وثمرته فهو كالزبد من المخيض والدهن من السمسم فما من شىء ألا والانسان يشبهه من وجه فانه كالاركان من حيث ما فيه من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكالمعادن من حيث هو جسم . وكالنبات من حيث ما يتغذى ويتربى . وكالبهيمة من حيث ما يحس ويتوهم ويتخيل ويلتذ ويتألم . وكالسبع من حيث ما يحرض ويغضب . وكالشيطان من حيث ما يغوى ويضل . وكالملائكة من حيث ما يعرف الله تعالى ويعبده ويخافه . وكاللوح المحفوظ من حيث قد جعله الله مجمع الحكم التى كتبها فيه على سبيل الاختصار . فقد ذكر بعض الحكماء فى بدن الانسان أربعة آلاف حكمة وفى نفسه قريبا من ذلك . وكالقلم من حيث ما يثبت بكلامه صور الاشياء فى قلوب الناس كما أن القلم يثبت الحكم فى اللوح المحفوظ ولكون الانسان من قوى مختلفة قال الله تعالى (إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج) ﴿أى مختلطة﴾ من قوى أشياء مختلفة ولكون العالم والانسان متشابهين اذا اعتبرا قيل الانسان

عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك قال الله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة) فاشار بالنفس الواحدة الى ذات العالم : ولما كان كل مركب من أشياء مختلفة يحصل باجتماعهن معنى ليس بموجود فيهن على انفرادهن كالمركبات من الادوية والاطعمة كذلك فى نفس الانسان حصل معنى ليس فيه شىء من موجودات العالم وذلك المعنى هو ما يختص به من خصائصه التى بها تميز عن غيرها من هيئات له كانتصاب القامة وعرض الظفر وانفعالات له كالضحك والحياء وأفعال كتصور المعقولات وتعلم الصناعات واكتساب الاخلاق . فالانسان المقصود فى موضوعى هذا هو الذى كملت فيه قوة التخيل والتصور والفكر والعقل فانه هو الانسان القابل للكمالات النفسانية وهو المراد بشرح هذا الموضوع الجليل . وليس من كملت فيه قوة النزوع كالنبات أو قوة جاب الخير ودفع الضر عن نفسه كالحيوان فانه ليس عندى بانسان بمعناه الحقيقى سر قوله تعالى (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون أن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فالانسان هو المقصود من العالم كله لان الله تعالى خلقه بعد خلق جميع الكائنات فهو زبدة الموجودات وخلاصتها لحكمة عليه تظهر لمن ذاق حلاوة قوله تعالى (أنى جاعل فى الارض خليفة) ومن تناول من طهور شراب (إن المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر) فالانسان المقصود بالذات خلقه الله تعالى ليجمل به ملكوته الاعلى . خلقه على صورته . جمله بمعانى صفاته . أشهده بديع جماله . هو الانسان المتخيل المتصور المفكر العاقل وما عداه فحيوان على صورة الانسان أو أضل من ذلك لجهله بمبدئه ومعاده وغروره بعاجل حظه وهواه

وهنا بعد أن علمت من أخاطب بعباراتى أشرح لك المقام وأكتفى بالتلويح عن التصريح وبالاجمال عن التفصيل لانى أخاطب

الالمعى الذى يظن بك الظن * ن كان قد رأى وقد سمعا

معلوم أن الانسان جمع الله فيه كما تقدم روحانيات العوالم العالية وخواص الانواع

الدانية من حيوانات ونباتات وقوى النفوس الا بليسية فهو وان كان صغير الجسم عالم كبير قال الله تعالى (إن ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا) فالانسان اذا تكمل بالكمال الحقيقي المؤهل له وقهرت نفسه الملكية (الناطقة) بقية القوى وسخرتها لجلب تلك الكمالات رقى على مراقي القرب حتى يصل الى مقام تخدمه الملائكة المقربون ويواجهه رب العزة جل جلاله ويكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وهو المقام العلي الذي يتنافس فيه المتنافسون ويحن اليه العارفون وتتألهه الارواح الكاملة والنفوس الطاهرة فاذا أهمل تزكية نفسه انزوت تلك النفس الطاهرة الملكية وتسلطت بقية القوى على الانسان فان غلبت عليه النفس الابليسية كان حسودا لجوجا جاحدا منكرا مفسدا متكبرا قال الله تعالى (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتي الى يوم الدين) أعماه الجهل والعياذ بالله عن فضل الله الذى يؤتيه من يشاء فظن لجهله أن عنصر النار خير من عنصر التراب وجهل الفضل الالهى فكذلك الانسان الجاهل المنقاد لقواه الابليسية يهوى الى حضيض الذل والمقت كما قال الله تعالى تو بيخا لمن أعماهم الجهل (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق) وقال تعالى أيضا (أبشرا منا واحدا نتبعه انا إذا لفى ضلال وسعر أؤلقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر)

أعماهم الجهل عن شهود الفضل الالهى كما أعمى أمامهم ابليس عليه لعنة الله : فالانسان يبلغ من الكمال النفسانى الجسمانى الى أن يصير فى مقعد صدق عند مليك مقتدر تخدمه الملائكة . ويبلغ من النقصان وأهمال تزكية نفسه الى أن يصير فى هاوية الجحيم مع ابليس الرجيم الذى سن له تلك الضلالة ولا يكون كمال الانسان الحقيقى الا بقوة تؤثر عليه تأثير رغبة ورهبة ويكون التأثير حاصلا على جميع القوى قلبا وجوارحا ونفسا وعقلا وخيالا وتصورا وفكرا . والعاقل لو نظر بعين فكرته يتحقق جليا أن تلك المؤثرات الحقيقية لا تكون الا من الخالق المصور القادر الحكيم . ونعم فان الله بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزل عليهم

الكتب كما قدمنا بحسب كل زمان ومكان حتى أخذ الانسان يشعر بكمال حقيقى وشرف فارسل الله سيدنا ومولانا محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه القرآن طهورا للارواح ونورا للعقول وجمالا للافكار وحياة للخيال فاقتبس العقل من وميض أنواره ما به سجد خاشعا وتناولت الارواح من طهور شرابه ما به قوى حنينها الى عالمها واشتد ولهها الى وطنها الاصلى فتكاد لشدة شوقها الى عوالمها العالية أن تهدم هذا الهيكل فرارا الى مجانسها من مفارقها وسبح الفكر فى محيط الحياة فاغترف منه ما به فتق رتق الكائنات حتى أشرف على عوالم الملكوت الاعلى وصفا الخيال حتى تمثلت فيه حقيقة الآيات الدالة على خالص التوحيد فانتشل من أوحال الاوهام وشكوك الاهواء وريب الحظوظ وكان القرآن خمرا للارواح . ونورا للعقول . وروضا زاهرا للافكار . وجمالا جليا للخيال . تألهت الارواح بطهوره الصافى . اطمأنت القلوب ببيانه الوافى . انشرحت الصدور ببشائره اليقينية . أقبلت العقول خاضعة لانواره . سجد الخيال اكبارا لجماله

هذا تأثير القرآن على المؤهلين لرفيع الدرجات . عرجت به الارواح الى فسيح الملكوت ثم أشرقت على حظائر العزة ثم خشعت وخنعت عندما أشرقت أنوار الجبروت : أخى انما أتكلم على قدر ما شهدت وانما هى قطرة فى فم عصفور من محيط أعظم من ذلك الاسرار وأستغفر الله بل هى قطرة صغيرة فى فم بعوضة من هذا المحيط الاعظم . اللهم عفوك ومغفرتك . هذا قسط النفوس الطاهرة سر قوله تعالى (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم) وسر قوله سبحانه وتعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) وسر قوله سبحانه وتعالى (من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وقوله سبحانه وتعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم) وقوله تعالى (ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى

الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

أخاطبك أيها الاخ على قدر ما يقبل عقلك وما يتمثله خيالك وما ينتقش فى لوح نفسك فاذا أنت قبلت كان لك حظ من تلك الانوار وقسط وافر من تلك الاسرار : أنزل الله تعالى القرآن على أمة جاهلية لا أعنى العرب فقط ولكنى أقول ان كل مدن الارض فى ذلك الزمان بين مدن جاهلة أومدن فاسقة أومدن مبدّلة أوضالّة ولم يكن ثم فضيلة بمعناها اذ الاعمال الفاضلة قد تصدر عن القردة والخنازير والتماسيح والفيلة والنمل والنحل والجرذان أيضا ولكن لا نحكم أنها فضيلة وانما هى أعمال ألهام فطرية وكذلك كانت الفضائل التى تصدر عن الانسان انما هى إلهامية فطرية لم يقصد بها تزكية للنفس ولا تصفية للخيال ولم تصدر عن روية بالفكر : وأنت أيها الاخ ممى فى هذا حسا ومعنى لو جردت نفسك من حظك وهواك : ماهى المدن التى كانت قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين مدن جاهلية عربا وعجما أومدن مبدلة نصارى ويهودا ولو أنك أثبتَّ لى فضيلة بمعناها فى مدينة مّا لشخص مّا بالاستقراء لاجبتك أن تلك الفضيلة لم تصدر عن قلب مؤهل يريد الكمالات النفسانية عالم بقدر رتبته فى الوجود ومنزلته فى الكون متيقن بيوم الحساب راغب فى ملاذ الروح حقا عامل لخير بنى الانسان ولكن انظر نظرة حكيم الى تلك المدن بعد شروق تلك الشمس وتأمل كيف سرت فيها الروح الالهية كما تسرى النار فى الخشب اليابس فنوعت الافكار وطهرت النفوس وجملت الاخلاق وحسنت المعاملات وجملت الانسان أخا الانسان . انظر كيف صار بلال الحبشى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى وحارثة وزيد بن حارثة وأسامة بن زيد وأبو رافع النوبى رضى الله عنهم أئمة هدى وشموس بيان وقادة المؤمنين وهم مّن تعلم نسبا وحسبا ومنزلة وقدرا . جاء الحق فمحق الباطل أصبحت التيجان تحت الاقدام ولابسوها عبيدا * بم ذلك ولم ذلك أكل الجواب اليك وأنبه فكرك الى فهم قوله تعالى (وما كنا مهلك القرى ألّا وأهلها ظالمون) لم تقف أنوار الاسلام على التأثير على العقول والنفوس والخيال والبصائر ولكنها أشرقت بمعنى أكمل فجملت الزواجر والحدود حصونا مانعة للشر وأهله كابحة جماح أولى الطغيان ماحقة أهل

الظلم والفساد اقرأ قوله تعالى (ولكم في القصاص حياة) وقوله تعالى (من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الارض فكأنما قتل الناس جميعا) وقوله تعالى (النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص) وقوله تعالى (انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقوله جلت قدرته (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله) وقوله تعالى (السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) نزل القرآن يجذب النفوس الطاهرة بما سنه لها من أنواع التزكية وما كشفها به من النعيم المقيم الابدى والفضل الواسع السرمدى وحظر على النفوس القاسية بما جعله عقوبة لها في الدنيا من الحدود والزواجر حتى كان التأثير بالقرآن على كل نفس فكانت روح القرآن النورانية سارية في كل تلك الارواح الكاملة والنفوس الطاهرة وسيوف القرآن الماضية مسلولة على الاعناق الطاغية والقلوب القاسية .

نزل القرآن لسعادة المجتمع لم يسل سيفا ليقهر الناس على اعتناقه وانما لينزل الفساد ويمحو أسباب التفرقة والعناد حتى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نعامل أهل الذمة بما نعامل به أنفسنا فكان سيف الاسلام رحمة لا نقمة وسياطه نعمة لا شقاء وآلامه لذة لا عناء فكيف يكون حال المجتمع الانسانى ان لم يعمه الله بتلك الرحمة الواسعة : أكل الجواب اليك أيها القارئ الحكيم : لا أبعد بك ، هذه سير أئمته وأخبار علمائه وأعمال رجاله لم تمح من صحف التاريخ وهذه آيات القرآن شموس مشرقة لم يعتورها تبديل ولا تغيير ولم يذهب جماله العلى تأويل وتفسير فجرد نفسك من عصبيتك وحظك وهواك واقرأ متأملا وفكر متدبرا وتناول من هذا الطهور بقدر ما وهب الله لك من العقل أو بنسبة منزلتك من الوجود ثم قم شاكرا ربك على هذا التنزل الالهى بالرحمة الواسعة والشفقة والحنانة الحقيقيتين ذاكرا آلاءه فاكرا في آياته حاضرا في معيته لترقى الى أوج كمالك وتكون حلية للملكوت الاعلى وشمسا مشرقة في عوالم العرش العظيم أو انسانا منعما في جنات الخلد بأشهى وأجمل وأكمل الملاذ الحسية والمعنوية !! ووفاء للموضوع أبين لك أيها الاخ البار أيدنى الله واياك بروح منه أمرا خفي على كثير ممن لم يذق حلاوة الاسلام والايمان من المسلمين وهو أن ما تراه

بعين رأسك من المخترعات والصناعات والفنون والعلوم التي يسمونها عصرية هي بعض نتائج القرآن المجيد وقطرة من نعمة الله علينا بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : برهان ذلك أن احكام الاسلام أوجبت السعي على الرزق وحصرت وجوه ذلك فيما يكتسب من تجارة أو زراعة أو صناعة أو عمل بدني أو غنيمة أو ميراث أو هبة وجعل ما يكتسب بالعمل أحل الحلال وأطيب الطيبات وأمرنا القرآن الكريم أن نتفكر فيما في السموات والارض وأن نسعى بجد في اخراج كنوز الكائنات

وأخبرنا صلى الله عليه وسلم أن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الحسن من كل شيء سر قوله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب العبد المتقن عمله) وكان صلى الله عليه وسلم يحث على تعلم الصناعة والعناية بالزراعة ودليل ذلك أنه صلى الله عليه وسلم جعل فدية بعض أسرى قريش تعليم بعض المهاجرين والانصار الكتابة . وأمرنا الله سبحانه وتعالى باعداد العدة والقوة ولا تكون هذه العدة والقوة الا بالصناعات التي بها قوة المجاهدين في سبيل الله وحماية ثغور المسلمين : فهم سر تلك الاحكام الخلفاء رضي الله عنهم فنهجوا على هذا السنن القويم والطريق المستقيم حتى تنبهت أفكار المجتمع الاسلامي وكان العرب اذذاك قليلين والذين اعتنقوا الاسلام . وأهل الذمة كثيرون فانتشرت تلك الصنائع بين من اعتنق الاسلام من الامم الاخرى وبين المسلمين وبلغت درجة رقي الصناعة مبلغا حتى كان طبيب الخليفة في زمن من الازمنة نصرانيا وعمال بيت المال من أهل الذمة وقويت تلك الروح في المجتمع الاسلامي حتى ارتقت الصناعة رقيا بلغ مبلغا أدهش عقول العالم باجمعه : ومن اطلع على آثار بغداد والاندلس ودمشق وغرناطة والعراق وباب السعادة عاصمة المسلمين الآن ومصر المحروسة وما فيها من أحكام الصناعات ودقائق الفنون والمخترعات وغرائب العلوم بالحكمة العملية وخفيات الفهوم في الحكمة النظرية يعلم حق العلم أن ما يراه الآن بعيني رأسه في كل المدن سواء كانت في الشرق أو الغرب انما هي طل من وابل القرآن ورذاذ من هاطل السنة المحمدية :

أول من سعى في تخطيط الارض بالتحقيق خلفاء المسلمين كما تقدم وها هي الكتب

الاسلامية لا تزال بحارا يغترف منها غير المسلمين و ينسبون لانفسهم ولا يزال الغرب مع ما بلغ من اتقان الصناعات طفلا صغيرا يرضع من لبان العلوم الاسلامية والعلوم العربية والآثار الشرقية : نزل القرآن فسوّى بين الناس وأمر بالالفة والتحابب وحث على عمارة البلاد وسعادة العباد لا فرق بين المسلمين وأهل الذمة فاطمأنت القلوب وأمنت واستراحت العقول والافكار فعملت . ولولا الاسلام لبقي المجتمع الاسلامي هاويا في مهاوي الجهالات والضلالات . فبالاسلام عمت الرحمة المجموعة الانسانية . وبالاسلام فتحت كنوز الكائنات وظهرت خواصها . وبالاسلام سمت النفوس وزكت وجالت العقول في رياض تلك الآثار واقتطفت : واني على يقين تام أن المجتمع الانساني اذا تخطى خطوة أمامه فانكشفت له أنوار الحكمة العملية والنظرية لا نبلجت له أنوار تدعوه الى أن يكون الاسلام هو الدين حقا والقرآن هو الامام صدقا ولكنها حكمة بالغة وتقدير إلهي يهدي الله من يشاء و يضل من يشاء لا يسأل عما يفعل : لعلك أيها الاخ علمت حق العلم قدر تأثير الاسلام على المجتمع الانساني وكيف عم خيره من اعتنقه ومن لم يعتنقه . ذلك لانه دين الله حقا ورحمته الحقيقية التي تفضل بها على بني الانسان ونعمته الواسعة على كل مخلوق : وقد تقدم لك فيما سبق أن الاسلام رحمة لكل موجود ذي كبد رطبة فان الله سبحانه وتعالى أمرنا بالرحمة لكل مخلوق وأمرنا صلى الله عليه وسلم بحسن رعايتنا لمن استرعانا الله وما استرعانا الله : لعلك أيها الاخ المهتدي بنور عقلك المسترشد بضياء فكرك زالت عنك ستارة الوهم المسدلة على نور الفكر فايقنت يقينا أن ما تراه من الزينة والصناعات والفنون والحكمة العالية لم يكن الا بعد شروق تلك الشمس الالهية وأخشى أن تتوهم اني أجهل ان رجالا قبل الاسلام جالت أفكارهم في ميادين الحكمة العملية والنظرية : نعم ولكن على غير أساس متين وعلى غير هدى : ولولا أن هذا المختصر لا يتحمل لأوردت لك ما بحثوا عنه وما تكلموا فيه من مباحث الحكمة وكشفت لك جلية الامر فعلمت حق العلم أنها أوهام انبعثت أشعة أنوارها على ما أحاط بها من الماديات فجالت جولة حتى اذا اقتربت من فناء أسرار تلك الآثار انعكس دخان تلك النار على الخيال فتمثل ظلمة وراء المادة سر قوله تعالى (يامعشر الجن

والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران) وكيف ينتصرون ولم تنمح حجب الاوهام عن العقول لتنفذ أشعة أنوار العقول السامية فتخرق سياج المادة بكمال التوحيد ونور اليقين وسلطان العلم بالله تعالى . لعلك اذا قرأت ما قاله الأقدمون فى سياسة الملك وفى خواص بعض النباتات والحيوانات وفيما استنتجوه من نظريات هندسية ومباد حسابية قلت تلك العلوم الرياضية التى تزكى النفس . ونعم هى تزكى النفس فى طلب المزيد من الدنيا والانغماس فى الشهوات البهيمية ولكن هل تمنح نفسك موهبة تفكر بها فى سر الآيات فى الارض والسموات وتعلم بها حق العلم سر الحكمة التى لأجلها وهب الله الانسان العقل وسخر له ما فى السموات وما فى الارض ما خرجت الحكمة عندهم عن فكر يجول فى ضروريات لا بد منها للانسان بحياته الدنيوية لا للفضائل والمنافع العامة لبنى الانسان دنيا وأخرى : نزل القرآن فجعل كل فرد من أفراد المسلمين طبيبا حكيما صانعا مفكرا عالى النفس ينافس فى الفضائل حتى صار كل فرد من أفراد المسلمين أمة عظيمة فجمع الطب فى كلمة قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وجمع الاقتصاد المالى والسياسى فى كلمة (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) وجمع مكارم الاخلاق كلها فى كلمة (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وجمع فضائل النفس وكمالاتها فى كلمة (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس) وبين الحكمة القدسية والميل الى الكمال الاكمل واحتقار ما سوى الكمالات العلية فى كلمة واحدة (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) وحقّر كل كائن فى عين المؤمن الكامل اجلالا لعظمته واعلاء لكبريائه (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله) وقوله تعالى (ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر) أمرنا أن نقول كلمة فى كل يوم فوق الخمسين مرة تجعل نفوسنا فوق الملائكة وهى الله أكبر لا يقولها حاضر القلب ألا وانمحى من عين بصيرته ومن عين رأسه كل صغير وكبير وأحاطت به العزة وسرت فى سويداء قلبه سر قوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) : هذه هى الفطرة التى فى فهم

البعوضة يا أخي من هذا المحيط اللجي فادن واعترف وأنب الى الله واعترف . ولولا أني لا أريد أن أشق عليك بالاطالة لما وسعت تلك الاسرار أسفار ومجلدات . والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعلك أيها الاخ المسترشد ممن تكفيه قليل الحكمة فتسعى في خلاص نفسك بالتمسك بشرائع الاسلام وترك ما وراءه من الآراء والاوهام لتنال السعادة الابدية وتفوز بقسط وافر من الحظ في الدنيا وتكون ممن عمل لخلاص نفسه وأنجاه الله من حبس حسه وحظه أنه مجيب الدعاء : وتذكر يا أخي جملني الله وإياك بجمال وراثة الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أن الانسان بعد معرفة هذه الواجبات كلها لا ينال الكمالات القدسية حقا الا بعد أن يعلم الواجب عليه لبني نوعه جميعا الذي هو فوق الواجب لجميع الناس المذكور بعد الواجب للامام الاعظم في آخر هذا المختصر لان الواجب الآخر واجب أخلاقي لرغد المعيشة وحسن المعاملة وصفاء الحياة وحقيقة المعاونة . وهذا الواجب أيها الاخ واجب على الذي أحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس . هو الواجب الحقيقي الذي يقوم به العلماء الراسخون في العلم والعارفون الربانيون والمخلصون الروحانيون . وهو سر قوله سبحانه (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) هذا الواجب يا أخي أيدك الله بروح منه هو الواجب المقدس . فاذا من الله عليك بتلك المواهب العالية والخصوصيات الفاضلة وجملك الله بحلل العزائم التي تكون بها من أهل الرضا أو الصبر وحلاك سبحانه وتعالى بزينة الحكمة والمعرفة وكشف لك حقيقة الدنيا وعرفك قدرها فقم يا أخي باذلا ما في وسعك لنجاة أخوتك المؤمنين أولا مما ألم بأخلاقهم أو بعاداتهم مما يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متحملا يا أخي وفقني الله وإياك آلام هذا العمل الجليل بعزيمة ماضية ونفس عالية وهمة لا تفتر . واحرص يا أخي كل الحرص على نجاة أخوتك برحمة ورأفة وصبر على البلاء ودعاء بالخير للاعداء آناء عملك هذا بربك سبحانه مستمدا من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يا أخي كن حريصا على نجاة غير المؤمنين من بني نوعك فاجعل لهم قسطا من تلك الرحمة التي من الله عليك بها وادعهم بالحكمة المناسبة وبين لهم يا أخي جمال الدين وسماحته وما أنزله الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد صلى الله

عليه وسلم من الكمالات التي لم ينزلها على الانبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم لتكون يا أخي من عمّال الله القائمين بامر الله المجاهدين في سبيل الله . واعلم يا أخي أن هذا المقام العلى والمجد الذي منّ الله به على كمّل أولى العزم من الرسل وورّثه فضلا منه لاهل خصوصيته من أفراد عباده المخلصين ممن أنعم الله عليهم : فتنبه يا أخي . وإياك اذا أقامك الله في هذا المقام العلى أن تخلد الى الارض وتتبع هواك وتنسلخ من آيات الله فان من منّ الله عليه بتلك المواهب فانسلخ منها بالميل الى حظ فان أو بفتح باب الخصومات والعداوة على الناس كان كمن قال الله تعالى فيه (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا)

ليس الداعي الى الله حقيقة الا من كشف عن جمال الدين لاعدائه وبيّن محاسنه لهم حتى ألفوه بعد أن جدد سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اخوته المؤمنين ونشلهم من أوحال التوحيد وبين لهم الطريقة المستقيمة فسلكوا عليها . فهذا هو الوارث حقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونور الله المبين الذى جعله الله حجة على عباده وحجة للمؤمنين وشهيدا يوم القيامة على الناس بما آتاه الله من العلم والحكمة . أكرر لك يا أخي التنبيه أن تكون بعد أن يقيمك الله في هذا المقام متلذذاً بما يؤلم آنسا بما يوحش مما يستوحش منه الجاهلون موجّهاً كل وجهتك الى نيل فضل الله ورضوانه مستديراً العطاء من الله فرحاً باقبال الخلق على الله مقبلا بكليتك على جناب القدس الاعلى مستصغرا نفسك في عينك وان عظمها الله في عيون عباده جاعلا كل همك وقصدك ان يكون الله تعالى راضيا عنك وأن تكون راضيا عن الله ولا يكون ذلك يا أخي بمعناه الحقيقى الا اذا كان الله ورسوله أحب اليك مما سواهما وكنت تحب المرء لا تحبه الا لله ونزهت سرك عما يشغلك عن الله وطهرت سريرتك عما يلفتك عن الحق جل جلاله . عند ذلك يا أخي أبشرك بنزل المقربين ومشاهد المحبوبين والاتصال بالانبياء والصديقين والشهداء والصالحين وهو المجد الحقيقى الذى تتشوف اليه النفوس الزكية والارواح الملكية

أسال الله تعالى أن يمن علينا بهذا المجد منّة محفوظة من السلب وأن يديم لنا المزيد من هذا الفضل العظيم والمجد الحقيقى أنه هو المعطى الوهاب الكريم التواب وصلى على الله سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم آمين

﴿ بهجة النفس وحظها وشهوتها ﴾

البهجة للنفس الملكية . والحظ للنفس الابليسية . والشهوة للنفس الحيوانية . فاذا تكملت النفس الملكية بحقيقة العقيدة ولا تكون منجية الا اذا تلقاها المؤمن من القرآن الكريم وتزكت النفس الابليسية بقهرها بخوف العقاب وحرمان الثواب وطهرت النفس الحيوانية بالاعتدال فى جميع ما لابد لها منه مما به قوامها ومعرفة المضار الحقيقية والمنافع الحقيقية معرفة محسوسة للفكر وحصل ائتلاف بين القوى ونوع مشاكلة لاحتياج كل نفس الى الاخرى فى تكميلها وبلوغها الغاية المطلوبة وخوف كل نفس من الاخرى أن يكون لها القهر الحقيقى على جميع النفوس فيكون ذلك مؤديا الى نقص الكمالات الانسانية التى ينالها الانسان فى الدنيا بالنسبة لانه خليفة عن ربه سبحانه وحرمان من كمالات الاخرى التى أعدها له ربه سبحانه وتعالى لاحبابه المقربين من الرضا والفوز والرؤيا والشهود وما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . فان النفس الملكية اذا قهرت النفسين الاخريين أضر الانسان بدنياه وهو مطالب من حيث أنه خليفة عن ربه مطالب برعاية ما استرعاه الله فيه من العمل النافع والنظر الصحيح والعلم الذى تطمئن به القلوب حتى تتحقق بكمال الخلافة . وبقدر ما فاته من حقوق الخلافة يفوته من معرفة نفسه ومعرفة ربه سبحانه وتعالى ويحرم من منازل الافراد الخلفاء . واذا تسلطت النفس الابليسية عليه أذهبت منه نور الحق وأخلد الى الارض أرض القطيعة وسجن البعد وكان أقل من الانعام وأضل منها سبيلا ويكون حربا على نفسه وبنى جنسه وعدوا للحق وأهله عونا للباطل وأهله بل يكون هو عين الباطل فيمسخ بعد أن كان فى أحسن تقويم ويصير ابليس

فى أسفل سافلين . أعوذ بالله من السلب بعد العطاء . واذا غلبت النفس الحيوانية صار شهوانيا و يكون بحسب ما غلب عليه من النفوس . فقد يكون كالخنزير شهوة للنكاح وكالنملة حرصا وكالثعبان أذية وكالثعلب تختلا وكالسبع افتراسا . لا يرعوى ولا يرتدع حتى يهدم صورته هادم اللذات ومفرق الجماعات . أسال الله تعالى الحفظ والسلامة من سلطان الحظ والهوى

روح النفس فى رياض حلاها * وتجرد عن ميلها وهواها
واصرف الوقت فى نوال نفيس * ذاكرا فاكرا لنيل صفاها
زكها باليقين تصفو وترقى * وتجمل بالفهم من معناها
شاهداً مابدا من الحسن وانهض * بجهاد خففها فى رضاها
واهدها للصراط بالقهر عنها * وتوسط فى السير عند وفاها
سنة المصطفى صراط قويم * حصن أمن لمن يروم حماها

***

النفس طهرتها سكون للعلى * وزكاؤها ثقة بمولاها الولى
والقلب فى تلك الشئون مقلّب * بسكونه يحلى له النور الجلى

***

جلا النفس بعد يقينها بشهودى * ورفعتها عندى بحفظ حدودى
وطهرتها التحقيق بالغيب عندما * تناول راح حقيقة التوحيد
وبهجتها مرأى جمالى منزها * بمرآة هذا الكون لا بقيود
لديها هى النفس الزكية جملت * بسر فلاح أو بنور شهودى

(النفس)

هيكلى عالم كبير ونفسى * صورة الحق فى صفائى وأنسى
وفؤادى ما بين عنصر جسمى * ومعانى سرى كميزاب قدسى
برزخ حاجز يلطف حالى * وبسرى درّىٌ كشفى وشمسى

وأرى القلب عرش سر التجلي * والسويدا قد طهرت من رجسي

هيكلي مظهر صغير ولكن * فيه سر لا يشهد اللراسي

فيه كل الوجود يطوى وتجلي * لي المعالي فيه بلا قيد حسي

ضاق كل الوجود علوا وسفلا * ووسعت العلي وسعة أنسي

عالم القلب كل عالم عالين وعالم الروح في حظائر قدسي

كل ما في من معان وحكم * غيب غيب عن كل ملك وحدس

كل ما في الوجود سخر فضلا * لمعان ظهرت بصورة نفسي

قلبي البيت عامر بالتجالي * ظاهري العرش وهو لوح وكرسي

لوح محفوظه وكرسي جلال * وعرش الرحموت في فهم درسي

هيكلي عالم وعلم ونور * وشفاء من غير كد وبأس

صورته يد العلي تعالى * صورة جملت بحسن وتمني

آه لو فك رمز تلك المباني * عن معانيه لم أجاوز رمسي

ياشموسا بهيكلي مشرقات * أبفضل أشرقت أم ذا بحبسي

أنت نور وهيكلي من مبان * لست من شكله ولست بجنسي

أنا في حيرة مشوق معنى * كيف أرأى حما يضيء بقدسي

ذاك غيب لو يكشفا سر معنا * ملاح الخفا لعقل ونفسي

﴿ المسلم الحقيق أمة عظيمة ﴾

المسلم الحقيقي هو المسلِّم أمر الله تعالى تسليما حقيقيا عن تبصرة وهدى ومعرفة وبيان ، نظر بنور قلبه الى نفسه فعلم حقيقة عجزه اذا اشتغل بتدبير نفسه وتحقق قصوره الذاتي اذا اقتصر على رؤيته عن ادراك الكمالات التي أعدها الله تعالى للمسلم الحقيقي ونيل السعادة الابدية التي وعد الله المسلم بها في جوار حضرته العلية ومنازل رضوانه وتحقق اضطراره الى نيل

الكمال الدنيوي والاخروي اللذين بفقد أحدهما يحرمهما لان طلب الدنيا للمسلم بالمعنى الحقيقي والعمل فيها طلب الآخرة ولله تعالى وعمل لجنابه العلي سبحانه . وأن المسلم مطالب بحقوق بقدر أنفاسه ولا يمكنه أن يقوم بجميعها اذا أهمل في نفس من أنفاسه أو ظن لجهله أن السعادة قاصرة على عكوف الهم على عمل واحد دون غيره فانه بذلك يضيع الدنيا والآخرة وكيف لا وهو كما أنه مطالب بحق عليه لنفسه من تدبيرها وتزكيتها وتقويم معوجها وحفظ الصحة عليها فهو كذلك مطالب بحقوق مثل هذه الحقوق أو أوكد لكل مسلم من المجتمع الاسلامي العام أين كان المسلم وكيف كان بحيث تتفاوت الواجبات اما بتدبير خاص ومعونة أو بتدبير عام ونصيحة ومشورة بحيث يكون كل مسلم لكل مسلم خزانة مدخرة عند الحاجة أن بمعونة أو بنصيحة أو برأي أو بمنع عن ظلم أو بتضامن على احياء سنة أو محو بدعة وضلالة أو مشاركة بالضمير والشعور الذي يطلق الالسنة بالدعاء والتضرع الى الله تعالى أن يكشف السوء الذي لا قبل للكل بدفعه عن أنفسهم . وبهذا يكون المجتمع العام الاسلامي كجسد واحد يمثل كل فرد من أفرادهم عضوا من الاعضاء فيكون الامام الاعظم لهم هو القلب وكل فرد بقدر منزلته عضو من الاعضاء الباقية وبذلك يكون كل مسلم منهم كاملا في اسلامه عاملا للدنيا والآخرة عاملا من عمال الله المخلصين بل ويكون كل واحد منهم خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القيام بمعنى من معاني الرسالة ويكون المجموع بأكمله صورة كاملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومعانيه صلى الله عليه وسلم وأحواله صلى الله عليه وسلم ويكون كل فرد من افراد المسلمين كأنه في معية رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متجمل بجمال اهل معيته صلى الله عليه وسلم متصف بما وصفهم الله تعالى به رضي الله عنهم . وبهذا يكون المسلم الواحد امة عظيمة قوية لانه جاهد نفسه مجاهدة في ذات الله حتى تحققت ان الله تعالى اولى بها منها واعلم بخيرها منها واقدر عليها منها وان العقل الانساني وان كمل والفكر الآدمي وان رقي لا يستقل بادراك ما هو خير في الحقيقة ونفس الامر ولا يقتدر ان يقهر النفس على الاعمال التي بها نيل السعادة الحقيقية لما جبلت عليه النفس من حب النزوع الى الملائم والرغبة في العاجل فكانت احكام الله تعالى ووصاياه

وتعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدى اصحابه رضوان الله عنهم والتابعين لهم باحسان هى المراقى التى يرقى بها المسلم الى منازل السعادة الحقيقية فى الدنيا والآخرة ونيل الخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة. فلو أن مسلما واحدا جعل القرآن امامه وحكم على نفسه بوصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهدى السلف الصالح محافظا على الكتاب والسنة عاملا بهما حق العمل فانه بمفرده يمكنه أن يسود من هو بينهم وأن يجعلهم جميعا يدينون بدينه ويعتقدون اعتقاده لانه باتباعه للقرآن الشريف وعمله بالسنة يكون عاملا نافعا لنفسه ولجميع بنى جنسه بالشفقة والرحمة والفضيلة والنصيحة والارشاد والمعونة والمشاركة لان المسلم الحقيقى أوجب عليه القرآن أول ما أوجب تعلم العلم الحقيقى النافع للدين والدنيا معا. فيتعلم العقيدة الحقة والعبادة المطابقة للسنة والاخلاق الكريمة التى هى أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعاملة الحسنة التى تجعله يألف ويؤلف والفنون والصنائع التى تنفع بنى جنسه لينتفع بما لديهم مما لا بد منه له حتى يكون نافعا منتفعا ويكون ما يقدمه لغيره من المنافع أعم وأنفع مما يناله من غيره. فمسلم مثل هذا اذا وجد منفردا بين أمم من النصارى أو اليهود أو المجوس أو الامم المتوحشة لا يلبث الا قليلا حتى يكون كشمس مضيئة يستضئ بنور عقيدته الحقة العملية ويقلده فى أعماله النافعة وأخلاقه المرضية ومعاملته الحسنة ومزاياه الجميلة كل من رآه أو سمع به لانه انسان تكمل بجمال يشتاق اليه كل انسان ويدعى أنه متكمل به ولو كان فى دركات الجهل والشرور لان الانسان بفطرته يمدح الخير ويذم الشر وأن عمل الشرور. ورب قائل يقول أنا نرى أكثر الناس أعداء للرسل عليهم الصلاة والسلام ولورثتهم القائمين لتجديد سنتهم فأقول له. لم يكن أكثر الناس أعداء للرسل وانما أعداء الرسل هم المتسلطون على العامة بالقوة القاهرة أو لدعوى الصبغة الدينية بالزور والبهتان وترى العامة يقلدون الزعماء بغير روية ولا تمييز بين الحق والباطل ولكن بعد ظهور الحق وانبلاج أنواره تتقلص ظلال الباطل وتنجذب القلوب الى الحق. وكم هوت عروش ملوك ومالت تيجان عن الرءوس وفلقت هامات ملوك بايدى أعوانهم وأنصارهم والمعضدين لهم والمتعصبين لهم عندما انبلجت أنوار الحق وأشرقت على القلوب وأسكرت النفوس بما ثلجت به القلوب عند ذلك تنجذب

النفوس بكليتها الى الحق وترى من كان يمنعها عنه ويزين لها الباطل كانه أوقعها فى الشقاء الابدى وأبعدها عن السعادة الدائمة فتقوم منتقمة منه ماحقة له ولزويه . فالمسلم الكامل منفرداً يتلذذ بالآلام ويفرح بالشدائد ويميل الى المصاعب ليقينه أنها تنتج السعادة الحقيقية له ولبنى جنسه ويفيد العالم باجمعه من نوعى الانسان والحيوانات خيراً عاما وعيشة طيبة فى الدنيا وسعادة دائمة فى الآخرة : لقائل أن يقول اذا كان المسلم منفرداً لا يقيم بين قوم يخالفونه الا قليلا حتى يصير مقتدى به من الجميع أو من عقلائهم فلو كان هذا كما تقول فمالنا نرى أربعمائة مليون مسلم كلهم يقلدون غيرهم وهم أنفسهم يعتقدون أنهم لا يمكنهم الاستقلال بانفسهم ولا تدبير مصالحهم الا اذا أدار شئونهم غيرهم ونراهم يسارعون فى تقليد الامم الاخرى الذين يخالفونهم فى الدين والعقائد والاخلاق والبلاد والهواء والمسلمون جميعاً الآن كالة على غيرهم يعمل فيهم بغير كتابهم ويحكم عليهم بغير سنة نبيهم : القبيح شرعا صار حسنا لديهم والحسن شرعا صار غير مألوف لديهم . وهذا المشهود المحسوس يغاير ما تقول فأجيبه قائلا أنك بعد معرفتك بالمعانى والصفات التى لا يكون المسلم مسلما الا بها يمكنك أن تحكم أن مجموع الاربعمائة مليون الذين تسميهم مسلمين لو اجتمعوا جميعاً لم يمثلوا مسلما بمعناه الحقيقى لان مجموع المعانى التى يتمسكون بها من الوصايا الاسلامية بعض أعمال بدنية معتادة مجردة عن روح المراد منها . وجميع الوصايا الاسلامية أهملت أو أبدلها أهل الاغراض والحظوظ بما تأولوه بآرائهم الملائمة لهم أو قلدوا فيه أهل الجهالة والبدع حتى صار الاسلام غريباً بين أهله وبهذا نتحقق أن الوصايا الاسلامية لو تمسك بها واحد لامكنه أن ينفع أمة عظيمة . ولو أن جماعة تمسكوا بحقيقة الاسلام وفهموا أمر الله سبحانه وتعالى من تنزيل أحكامه وبيان حكمه والمراد لرسوله صلى الله عليه وسلم لملكوا المعمورة ودانت لهم أكابر ملوكها وأذلوا أعداءهم . ولعلك أيها المفكر تقول أن أربعمائة مليون لا بد وأن يكون بينهم أربعة ملايين فهموا أسرار الشريعة واستبصروا فى أحكامها وحكمها فلم لم تتكون منهم هيئة تبث روح اليقين وتجدد دارس الاخلاق وما أهمل من السنن الاسلامية وهل السواد الاعظم من أهل الطرق والعباد وطلبة العلم كل هؤلاء ليس بينهم من أدرك تلك المعانى وفهم

روح الشريعة حتى كان يوجد منهم من يجدد للمسلمين أمر دينهم فأقول : معلوم أن الامة لا يمكن أن تنشر بينها الصناعة الحقيقية المؤسسة على القواعد العلمية والاصول التجريبية الا بصانع انكشفت له أسرار الصنعة وتحقق من معرفة ما ينتج من المنافع والفوائد والمضار وفهم فهما حقيقيا خبرية تلك الصنعة وبذل للتحصيل عليها نفيس زمنه ونفائس أمواله وفارق لاجلها عزيز أوطانه وأقرب أقاربه معتقدا أن ما يناله خير من النفس والنفيس وخير من الوطن والاهل ثم يرجع الى وطنه وأهله فينشر بينهم تلك الصنعة المفيدة النافعة فيصبحون جميعا صناعا متقنين وأن لم يوجد هذا يكونوا في صناعتهم بحسب ما يحسنه لهم حالهم في الضرورة والرخاء . فهل لو اجتمعوا جميعا يماثلون هذا الصانع منفردا . لا : فكذلك ترى أن بين المسلمين كثيرين مؤهلين لان يكونوا مسلمين بالمعنى الحقيقي وأكثرهم أهل التسليم والانقياد الذين يسلمون أنفسهم لعلماء السوء ودعاة الضلالة معتقدين أن ما يعلمونه أو ما يلقى اليهم أو ما يؤمرون به هو روح الاسلام وحقيقته والحقيقة أن كل ذلك ليس من الدين في شيء فان القرآن الشريف والسنة المحمدية السمحاء الحنيفية البيضاء قد بينا أوصاف المسلم وأعماله القلبية والبدنية والمالية منفردا في نفسه ومع افراد عائلته ومع جيرانه واهل قريته ومع اهل الامصار ومع كل المسلمين أين كانوا وكيف كانوا وبينا منزلة كل فرد من أفراد المسلمين بالنسبة لبقية المسلمين . وقد وصف الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن وبين صفاتهم في آخر سورة الفتح وفي اوائل الانفال وغيرهما وبيّن صلى الله عليه وسلم اوصاف المسلمين واخلاقهم وما يجب ان يكون عليه كل فرد في نفسه ومع بقية المسلمين في اكثر من الف حديث منها قوله صلى الله عليه وسلم (كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الاسلام فاذا تهاون اخوانك فاشدد لئلا يدخل العدو من قبلك) بيّن صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان كل فرد من افراد المسلمين مطالب بنفسه ان يحافظ على السنة والكتاب ولو ترك العمل بهما كل مسلم قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الطويل (المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه والمؤمن من أمن جاره بوائقه) فلو أن اربعين متحققين بالصفات الاسلامية والكمالات الاسلامية لجددوا مجد الاسلام وأعادوه كما كان . واسأل الله تعالى ان يهدينا صراطه المستقيم

صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وأن يعيذنا من الاقتداء بالمغضوب عليهم من اليهود وبالضالين من النصارى انه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿ الشفاء ﴾

هو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الكتاب والسنة من عمل بهما مصدقا قامقرا زكت نفسه وأشرقت عليه أنوار اليقين فتحقق قدر الدنيا والآخرة فيعمل في الدنيا ليجمعها وينفع بها جماعة المسلمين لنوال الآخرة ويبذل نفسه لنوال رضاء الله تعالى . وقد جمعت السنة حقيقة العقيدة وأجمل المعاملات وأكمل العبادات والقربات والاخلاق والسياسات النبوية التي بها سعادة الدنيا والآخرة

وأصل مرض الامة الاسلامية ناشئ من ثلاثة أنواع . أمراء السوء . وعلماء الفتنة . ودعاة الجهالة . أمراء السوء مالوا الى الترف والطمع والغرور وتقرب أهل المفاسد وسرعة الغضب والانتقام واذلال المصلحين ومعاداة العلماء العاملين والاشراف المتقين والنفور من الموعظة والتكبر على العاملين بالتقوى والاشتغال باللهو واللعب والغفلة عن أمور العامة والظلم في جمع الاموال والاهمال في اقامة الحدود لانهم لا يبالون بعمل المنكر وساعدهم على ذلك علماء السوء الذين اتخذوهم اعوانا لهم وايدى لتنجيز شهواتهم وسيوفا لقطع الحق واحقاق الباطل فشغلهم الظلم عن الاعداد للاعداء كما قال سبحانه (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وصار الامير لا عدو له الا النصحاء الامناء من المسلمين فقاومهم واضعف قوته حتى استولى الاعداء على ثغور المسلمين لخلوها عن الحصون المانعة والجيوش الراغبة في الدار الآخرة لان الناس على دين ملوكهم وبشغله اهملت الصناعات والتجارات لاشتغال الامة بالوشايات وتفرقة كلمتهم بالتحزب ثم قام علماء السوء فتقربوا الى الامراء بجدل الكلام وتاويل السنة والكتاب بما يهواه الامير وما ينالون به منزلة العالمية والسيادة والشرف حتى يكون منهم المفتون بالضلالة والدالون على غير الهدى مع

إهمالهم للأعمال شرعية والازدراء بالفقراء والعمال واهل الذكر من العارفين واهل علوم اليقين . وقد بلغ بهؤلاء الضالين المضلين ان ابتدعوا في الدين بدعا فرقوا بها بين المسلمين واوقعوا المسلمين في تكفير بعضهم ولعن بعضهم حتى بلغ حالهم من العداوة والبغضاء ان تساهلوا في أمور الجماعة وإحياء الكلمة وتجدد أمور السنة حتى ذلوا وخذلوا وتمكن منهم العدو وداخلهم الشيطان فصار واتبعاً بعد ان كانوا أئمة وسادة لجميع العالم . كل ذلك للطمع في الدنيا وايثارها على الآخرة وترك الحق وراء ظهورهم طمعا فيما لا ينفع في الدنيا ولا في الآخرة من الشهرة والسمعة ونفوذ الكلمة ودعائم الطمع والغرور وطلب زهرة الدنيا الى ان ألفوا كتبا في بدعهم يردون فيها على اهل الاخلاص والصدق والتوكل والعلم اليقين والعمل بالحق وسعوا في الارض ينفرون المسلمين من أئمتهم وقادتهم حتى اذا تسلط الكافر على المسلمين تركوا أمراء المسلمين وقاموا لذمهم وموالاة المتسلطين عليهم لنوال الرتب والشرف والاموال والجاه والرفعة . فواعجباً لكلاب الدنيا الظاهرين في حلل المؤمنين المتجملين بجمال العلماء الراسخين كيف لا ينهاهم نهاهم ولا تمنعهم عقولهم ولا معقولاتهم ولا أحكام دينهم عن الغرور بالدنيا وهدم أركان الدين . ولا بد أن تظهر الحقيقة في يوم ما والله غالب على أمره

دعاة الجهالة : ان لم يساووا علماء السوء في جلب المضرة على المسلمين فهم اضر منهم لانهم يوهمون على العامة انهم الدعاة الى الله تعالى الوارثون لاحوال الاقطاب والابدال ويوهمون عليهم أنهم يملكون لهم النفع والضر ويلفتون المسلمين عن العمل الواجب عليهم شرعا وعقلا من العلم والعمل للدنيا . ثم انهم بجهلهم يوهمون أن التوكل ترك الاعمال وأن الرضا عدم المعارضة وترك الناس يعملون ما شاءوا . ومنهم من يتقرب الى الامراء أو المتسلطين فيكونون أعوانا لهم على حب العامة لهم والرضا بأحكامهم وأعمالهم بل ويفهمونهم أن هذا هو الخير وأن هذا فضل من الله ونعمة وهو في الحقيقة سخط من الله ونقمة . ثم انهم لطمعهم يوقعون العامة في بغض العلماء والاتقياء والدعاة الى الخير فتحصل التفرقة ويقوم كل فريق لمناوأة الآخر فتتفرق الجماعة ويسارع كل فريق الى المتسلطين أو الامراء فيستعينون بهم على أهل الحق حتى يضعف

القائمون بالحق ويختفون وينتشر الباطل . وأول فتنة حصلت فتنة مسيلمة الكذاب ثم حوادث الخوارج ثم بني أمية ثم بني العباس ولكن كان نور الكتاب والسنة مشرقا على جميع المسلمين . ومن نظر بعين العبرة في مرض المسلمين الآن وما أضنا بهم يجد ذلك ناشئا عن تلك الاسباب المتقدمة . ودواء ذلك المرض أن يتحد الامراء والعلماء والدعاة بالقلب واللسان على العمل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واحياء سيرة السلف مع الزهد في الدنيا والتوبة ببذل أنفسهم وأموالهم في احياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة . والا فالله سبحانه له عباد أحبهم وأحبوه يجعل احياء ذلك الامر على يدهم لان الله غيور على دينه وسنته وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . وما الله بغافل عما يعمل الظالمون . أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحب من القول والعمل والحال وأن يجمع قلوبنا على الحق وأن يهب لنا عناية يحيي بها السنة انه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تجدد الاسلام سعادة المسلمين ﴾

المسلمون وان كانوا قليلا في العدد والعُدد وكان أهل المعمورة أعداء لهم يناوئونهم ويكيدون لهم حتى جيرانهم وأقاربهم ومع ذلك كانت تميل التيجان من على رءوس الاكاسرة والقياصرة والتبابعة هيبة لهم ورهبة منهم . خامر الرعب قلوب الملوك في قصورهم والخوف قلوب الشجعان في أكمل لامتهم حتى كان المسلم المنفرد كخميس جرار فأخضعوا الامم للحق وقادوا العالم وسادوهم . كان القرآن حاكمهم اذا قال لهم أقيموا أقاموا ولو على جمر الغضا ولو قال لهم أقدموا أقدموا ولو على الموت فكانوا لا يأكلون الا اذا أمرهم القرآن ولا يتكلمون الا اذا أمرهم القرآن فالقرآن هو الامام والقدوة . وأميرهم أعلمهم باسرار القرآن وأكملهم في العمل بالقرآن . فاذا سها نبهوه واذا نسي ذكروه فاذا خالف خلعوه . وان حكم القرآن بقتله قتلوه لان الحاكم الحقيقي والحكم العدل هو القرآن فما مضت فترة قصيرة من الزمن ألا والعالم جميعه أما مسلمون أو خاضعون أهل ذمة المسلمين . كان المسلم اذا عمل عملا

وقيل لهم عملت هذا يقول أمرني القرآن فيسأله عن الامر فيخبره به فيقول أني أفهم في هذه الآية غير ذلك فيقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها بعمله أو قوله كذا فيسلم له أخوه و يعمل بعمله وعلمه . هكذا كانوا . كلا منهم بالقرآن وعملهم بالقرآن لا عم ذلك نفوسهم ولم يلائمها . سعدوا وسادوا ليس في الآخرة فقط بل والله وفي الدنيا قبل الآخرة ملكوا الممالك فلم تخرجهم عن التواضع لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ودانت لهم الاكاسرة والقياصرة وصار وا أرقاء يباعون في الاسواق وتباع نساؤهم . فكان ذلك أشد في قلوبهم موعظة وعلما بدناءة الدنيا وحقارتها فزهدوا فيها و رغبوا في الدار التي لا يزول نعيمها ولا يبلى جديدها . قام العلماء بالواجب عليهم فزهدوا الدنيا وخالفوا أهلها وكانوا قدوة حسنة أمام أفراد الامة حتى في زمن الخلفاء الراشدين كان أبوذر الغفاري وأبو هريرة وسلمان الفارسي وغيرهم يكتبون لعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعاً يخوفونه من الدنيا فيقبل منهم وخالفوا عثمان بن عفان رضي الله عنه وقام زيد بن أسامة لعلي بن أبي طالب عند ما قال له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من كنت مولاه فعلي مولاه) وطلب منه موالاته على معاوية فقال ياأمير المؤمنين أنت مولاي ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي أقاتلت رجلا يقول لا اله الا الله فانا لا أواليك في هذا الامر . وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه في يوم صفين . انها الفتنة وأراد أن لا يقاتل فوكزه أبوه بكعب الرمح وقال أتكون فتنة أبوك قائدها . وما حصل لمعاوية رضي الله عنه من النساء اللاتي كن يمدحن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويذممن معاوية رضي الله عنه وما فعله ابن جريج مع المنصور . وما فعله الفضيل مع الرشيد ومالك بن أنس معه مما هو مشهور . كل ذلك كان عمل العلماء . وقد ضرب ابو حنيفة على تولية القضاء مرارا حتى رضي ان يكون عداد اللطوب خوفا على نفسه من معاونة الخلفاء مع انهم كانوا أئمة الهدى . كل هذا نذر من كثير من عمل العلماء الذين رضوا بخدمة العلم والفقر ايثارا للآخرة على الدنيا و رغبة في النجاة منها . وكان المسلمون في هذا العصر لا يمضي يوم الا وتفتح فيه الممالك وتدخل الامم في الاسلام رغبة وحبا في التمسك به لا رهبة ولا خوفا على ضياع مال او هلاك نفس ولكن شاهدوا من المسلمين حكما عادلا وعملا مقبولا للعقول

وحالا تميل اليه النفوس و زهدا فيما فى ايدى الناس وسلامة ضمير واعلانا بالحق والنصيحة لكل انسان حتى كان يُضرب الشريف الامير قصاصا اذا ضَرب احقر اهل الذمة مع الرحمة العامة والشفقة الحقيقية والمعاملة الطيبة . فكان المسلم يعامل الذمى كما يعامل اهله . ان كان كبيرا وقره وان كان صغيرا عطف عليه و رحمه فمشقتهم النفوس ومالت اليهم العقول الا اكابرهم من اهل السيادة الدنيئة الذين خافوا على سيادتهم فانهم تعصبوا لدينهم حفظا للسيادة الفانية . هكذا كانوا و بهذا يكون من بعدهم . أما نحن الآن فقد كثر عددنا وعُددنا و ما لنا و لكننا صرنا تبعا انلاء لا لقلة العدد ولا لضعف الاجسام ، لا ن بلادنا قاحلة لا تنبت ، ولا ن ديننا دين الكسل والبطالة وترك الدنيا وعدم الرقى والاختراع . لا بل ديننا دين العلم والعمل للدنيا والآخرة . دين البحث فى الآثار والفكر فيما اودعه الله تعالى فيها واظهار مكنون اسرارها المنطوية عليها للنفع العام . دين المجاهدة . دين الاخلاق الطاهرة . دين المعاملة الحسنة . دين التوحيد والاتحاد والائتلاف . دين الرحمة والشفقة . دين العمل النافع والسعى فى النفع العام لجميع خلق الله سبحانه والرحمة حتى بالنباتات والحيوانات فضلا عن بنى الانسان . دين العدل والانصاف ليس دين رهبانيـة وخراب للدنيا وترك للعمل فيها كدين النصرانيـة ولا دين تعصب و بغض لغـير أهله والعمل لخاصة أهل الدين كدين اليهودية : بل هو الدين الذى أوجب على المسلم معاملة الذمى كنفسه . أوجب على المسلم أن يسعى ويجد ويجتهد : فرض الزكاة ليعمل المسـلم فى جلب المال . فرض الحج ليسعى المسلم و ينتقل و يسافر . فرض الصيام ليرحم المسـلم الفقير من أى دين كان . جعـل المنازل فى الجنة بالعمل الصالح وعمل الاصـلاح والصلح . حث على الزراعة وعلى التجارة وعلى الصناعة . وأمر باعداد العـدة بقدر الاسـتطاعة . كل ذلك لا يتوفر الا بالتجارة والصناعة والزراعة . وفضّل المتصدّق على المتصدَّق عليه والرجل على المرأة بما أنفـقه عليها . كل ذلك حث على العمل . أمر بالاقتصاد وتوفير المال وأخبر أن من اسرف يعاقب بالفـقر حث على الطب حتى جعـل من يعالج نفسا مريضة كأنه أحياها . هذا وكل خير وفضيلة وسعادة فى الدنيا والآخرة لا يمكن نوالهـا الا بالتمسك بالسنة ومع ذلك فأنا تركنا السنة وأهملنا العمل بها حتى رمانا أعـداء

ديننا بان ديننا دين الخمول والتأخر . ذلك منا الا من ديننا ، والافقى تمسك قوم قليلون بالدين على حقيقته وتأخروا ، فهلم بنا نجدد سنن ديننا . وذلك لا يكلفنا أن نبذل أموالنا ولا أن نقتل أنفسنا ولكننا نأتمر بما أمر وننتهي عما نهى ونوالى من والى الله سبحانه ونعادى من عادى الله سبحانه ونقتصد في زمننا ومالنا فلا ننفق الزمن الا في كسب علم أو فن أو رزق أو محمدة أو قربة او صلة ثم نحب اخواننا حبا يجمعنا ، ولا يكون ذلك الا بالزهد في الامل و في الجاه عند الناس و في الشهرة بينهم بأن نعطى كل أخ حقه في غيبته كحضوره و ننشط العمال ونستر الزلات ونعامل الله تعالى في خلقه ونجعل معاملتنا خفية على اخواننا حتى تنحصر الاموال والصناعة والفنون فينا ، فان حصر المعاملة فينا ، تنشطنا وتجدد ملكة الاختراع والجد في العمل ونبغض من أبغضهم الله تعالى من المجرمين والفساق والعصاة ولو كانوا آباءنا أو أبناءنا ونحب من أحبهم الله تعالى ولو كانوا غرباء فقراء بغضاء والله الموفق لا غيره

الدين إيمان وصدق طوية * وعلو نفس عن هوًى ودنيّة
ويقين حق صادق بتحقق * بالحق في حال صفا أو شدّة
ثقة بربك عن شهود خالص * وعزيمة في محو كل ضلالة
وتوجه لله منه به له * في نصره وتوكل بعزيمة
الدين اقدام على المعروف في * مرضاته بظواهر وسريرة
حتى يجاهد نفسه وهواه بل * ويجاهد الاعداء بعد طهارة
ويبيع لله النفوس وغيرها * محواً لكل غواية وضلالة
فاذا تطهر كل فرد مسلم * جمعت قلوب المسلمين بحكمة
وتألفت وبجمعها يبدو الهدى * ويلوح نور الشرع يهدى للتى
ويسود جمع المسلمين وفردهم * ويذل أهل الكفر بعد معزة

---- * ----

﴿الخلاص بالاخلاص﴾

تقدم الكلام على تعريف الاخلاص وبيان معناه بمثل محسوسة يعقلها العالمون في (كتاب معارج المقربين) ولما كان الاخلاص محله القلب الذي تنبعث منه الارادة فالهمة فالعزيمة فالعمل كان عمل القلوب ولا شك هو الاول وعليه الاثابة والعقوبة ولا يظهر لعمل الجوارح كائنا ما كان : قال صلى الله عليه وسلم ان الله رفع عن أمتي السهو والنسيان وما استكرهوا عليه : ولما كان الخلاص متوقفا على معونة الله تعالى للمريد بالاخلاص ولا اخلاص الا بعمل قلبي بدني ولا عمل الا بعلم . قال صلى الله عليه وسلم (الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم) فتصريف المواجيد القلبية وأسرارها بالاعضاء العاملة لا يكون الا بعد علم بأصول الشريعة وفصولها ومؤيد بنور الفقه من الله تعالى ومعونته بتوفيقه سبحانه وتعالى حتى تتميز المواجيد وتقوى العزيمة على عمل ما يوجبه الوقت مما هو خير في الحقيقة ونفس الامر ويحبه الله تعالى ويرضى عن عامله ومالو تركه العاقل في وقته وعمل عملا آخر ولو كان واجبا لكان آثما : مثال ذلك لو أن رجلا يصلي الفرض في آخر الوقت ورأى أعمى على بئر يكاد يسقط فيه فأقبل على صلاته وتركه لكان آثما عند الله تعالى . والواجب في مثل هذا ان يخرج من الصلاة بتأديه واجب الوقت : وفقيه القلب يكفيه قليل الحكمة : اذا تقرر هذا فليس لجاهل عمل مقبول لجهله بحقيقة الاخلاص في العمل وعدم معرفته بواجب الوقت فقد يكون الواجب عليه شرعا السعي على المعاش فيصرف الوقت في غير ذلك أو يكون الواجب عليه في الوقت نوع من أنواع العبادة المالية أو البدنية أو القلبية كالصلاة والحج والصيام والصلاح والذكر والفكر وتعليم علوم الدين فيستعمل الوقت في غير الواجب لجهله بحقيقة الاخلاص . وقد يكون المريد طاهر السريرة والنفس ولكنه جاهل بحقيقة الاخلاص فيسقط في أوحال التوحيد ويكون العمل الذي يجب أن يكون لله معمولا لغيره ويحسب انه يحسن عملا وذلك لتهاونه بنصيحة أهل العلم العارفين بالله وتلقيه منهم ما لا بد منه للمريد المخلص . وقد كان

المسلمون فى ماضى زمانهم لا تخلو مدينة من المدن من قائم لله بحجة بل كان أكثر الامراء والقضاة والائمة والعلماء أنجم هدى حتى لو وقع الرجل منهم فى شبهة أو مرضت نفسه يجد له مائة طبيب يستطب بهم كما تجد فى زماننا من كثرة أطباء الابدان وأصبحنا فى زمان اذا ارتكب الرجل كبيرة تأباها نفوس الحيوانات و يبرأ منها العقل و يوعد القرآن فاعلها بالنار يعمل هذا العمل مجاهراً أمام الناس بكونه أضر أخاه أو اكتشف عيوبه أو احتال حيلة فى أذيته أو قطع عيشه أو سعى به الى ذى سلطان أو اكتسب من الميسر كذا أو شرب خمرا جيدا أو أفسد امرأة على زوجها مما لا يحصى رأى جلساءه يثنون عليه و يفتخرون به فى مجالسهم فيستحسنون عمله و يسارع كل منهم الى ان ينال منزلته من الشهرة • انظر بعينك الى ما يرونه مدنية وشرفا وحضارة وفخراً تر ما يذهب المروءة و يمحق الفضيلة و يفسد الاخلاق الطاهرة و ينجس النفوس الزكية حتى أصبح القبيح مألوفا حسنا والحسن مهجورا مسترذلا ذلك لان الصغير يستحسن عمل الكبير و يألف عوائده فينشأ على تعوده صغيرا ومن شب على شىء شاب عليه • صار الهوى اماما متبعا حتى اكفهرت معانى الانسانية وتبدلت بالصفات البهيمية • فكأن الصورة الانسانية صارت هيكلا يحوى نفسا بهيمية • بل قد يتبرأ الحيوان الاعجم مما عليه الانسان و يقيم الحجة عليه بانه انما يرتكب الشدائد لسد ضروريانه و يعمل ما يعمل بغير رويه وفكر • فالانسان فى زماننا هذا يفوق على الشيطان لان الشيطان يزين للناس مختفيا عن أعينهم وأشرار الناس يعملون القبيح و يجاهرون به و يفتخرون بوقوعه و يعظمون فاعله (نسوا الله فانساهم أنفسهم) : أيها المسلم الذى أطعت هواك فعصيت ربك • غرك مال تكتسبه أو جاه تفرح به أو قرب من ذى سلطان يستعملك لاغراضه فتأثم لخير غيرك ثم اذا بلغ مراده أخزاك فصرت عدوا لجميع الناس ممقوتا من الله وخلقه • تهاونت بشعائر الله التى أمرك بتعظيمها الشهوة تفنى وأمل كاذب • لا بالعقل اقتديت • ولا بالقرآن اهتديت • ولكنك غرتك الدنيا عن الآخرة فهويت فى مهواة الخزيان والبست لباس الذل • تمسكك بالدين عزلك فى الدنيا والآخرة • انظر كيف صار حالك • صرت ذليلا بعد العز • يحكمك من كنت تملك رقابهم وتراهم عبيدا تتجر فيهم • بل بلغ

بك الجهل بفضيلة دينك الى ان حسنت رذائلهم و رأيتها فضائل حتى بلغ بك الذل ان حكموا فيك بغير كتاب ربك وجعلوك في وطنك و بلدك لست أهلا للاكرام ولا محلا لان تحكم نفسك بنفسك . بعيشك كيف كان ذلك أأنت كما يرمونك به أيها المسلم من أن دينك ليس دين الرقي والمدنية أو أنك لست انسانا بمعناه الحقيقي (لا) وكذبوا بل سبب ذلك تركك وصايا ربك وسنة نبيك . أمرك ربك فقال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وقال تعالى (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) أوصاك سبحانه فقال تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال سبحانه آمرا وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) وقال سبحانه (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) وقال سبحانه (لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة) وقال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم) الآية هذا بعض ما وصانا به وأمرنا جل جلاله بما يتعلق بمعاملة المسلم لغيره و وصاياه سبحانه فيما يتعلق بالرحمة والعطف والود والصلة والبر والاحسان ومكارم الاخلاق وتعظيم شعائره سبحانه من أقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مراقبته جل وعز ودوام الفكر في نعماه والمحافظة على الاخلاص لذاته والخوف من عظمته والأخذ بالعزائم من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم آيات لا تحصى عدّاً يدركها . من ألقى السمع لكتاب الله تعالى وهو شهيد . حثك الله سبحانه وتعالى على العمل في الدنيا للآخرة قال تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه) وقال تعالى (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله) وقال تعالى (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) وقال تعالى (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) والحسنة أعم من أن تكون قولا أو اعتقادا أو صدقة أو عملا نافعاً للمسلمين أو علماً نافعاً أو فناً من الفنون مفيدا أو احياء صنعة من الصنائع الضرورية اذا قصد بذلك النفع ابتغاء مرضاة الله أو اختراع ما به قوة سلطان المسلمين و راحة

أبدانهم وتيسير حوائجهم وقال تعالى (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) والآيات فى العمل فى الدنيا لطلب الله تعالى وطلب الآخرة لا تحصر فى كتاب الله . هذا ما أمرك الله تعالى به . أفمن كان يدين الله بأحكامه هذه بإخلاص وصدق يذل لغير الله أو يرى غيره ممن دينهم يأمرهم بترك العمل فى الدنيا وبالرهبانية أنهم يصيرون ملوكا عليه وهو ذليل بينهم . ارجع أيها المسلم الى تعظيم شعائر ربك والعمل بوصاياه سبحانه وتذكر المجد الذى ناله أسلافك وهم قليل عددهم متقمع فقرهم فى جاهلية مظلمة ثم أشرق عليهم نور الاسلام وسرت فى قلوبهم روح الايمان الاوقاموا عمالا لله مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم . فما كان الا برهة من الزمان حتى ظهرت الفضيلة فى جميع الانحاء وانبعثت الانوار على جميع الارجاء وساد العدل بين الناس وحصلت المساواة بين الخلق حتى صار المسلم أخا المسلم والكل عبيد لله أمامهم القرآن وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحوا كأنهم شموس أشرقت فأزالت ظلمات الظلم والجور ونور علم انبعث فمحا الجهل وهزم ظلمات الاوهام فكانهم كما قال الله تعالى (جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً) ملكوا الارض شرقا وغربا وكانهم ليسوا ملوكا . وذلك لان المالك الحقيقى هو القرآن يرضون اذا رضى ويغضبون اذا غضب . اذا أمر أطاعوا وعملوا . واذا نهى امتنعوا وتركوا . حتى كان الرجل منهم اذا أمره القرآن أن يقتل ابنه أو يخرج من ماله لفعل بسرور ورضاء . هذا بعض ما كانوا عليه وأكل اليك ماوصلوا اليه فى الدنيا من الحضارة والمدنية الحقيقية المؤسسة على الفضائل الكاملة والحضارة الفاضلة المشيدة على العدل والمساواة والتعاطف والتراحم : كان الذمى يرفع شكواه من أمير ولايته الى الخليفة أى الامام الاعظم فيقتص للذمى من أميره كما يقتص من أمير لامير مثله لا تأخذه فى الله لومة لائم : ما أنتجت تلك النتيجة التى كان القصد من مقدماتها وجه الله تعالى واحياء الكلمته تعالى ومرضاة له سبحانه لا لسياسة يقصد بها ارضاء المحكومين من الامم او انتشار الشهرة فانهم رضى الله تبارك وتعالى عنهم مبرءون من تلك المبادئ الفاسدة المؤسسة على آراء أهل المدن الضالة والجاهلية . وبئست الاعمال أعمال ظاهرها خير يقصد بها غير الله تعالى ويراد بها استعباد الامم

بالقوة القاهرة بحالة ظاهرها الرحمة و باطنها سلب الحقوق والاموال والقوة والسلطة من أيدى المستعبدين : انتجت تلك الاعمال المؤسسة على قواعد القرآن المجيد وقصد وجه الله الكريم واحياء سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ان أكثر المخالفين من النصارى واليهود والمجوس سارعوا الى الاسلام واعتنقوه بسرور ويقين كامل واعتقادانه الحق وقاموا لخدمته بعد أن تركوا لغتهم ودينهم وعوائدهم بغضا الكل ذلك وحبا فى لغة القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقنوا اللغة العربية وخدموا القرآن بالتفاسير الجميلة و بحثوا عن أحكام الدين و بينوها و بينوا غرائب أسرار القرآن وأسرار فصاحته و بلاغته . ولو نظر العاقل الى ما ألف من الكتب فى فنون الفصاحة والبلاغة والتفاسير وعلوم حكم القرآن وغير ذلك لرأى أكثر ذلك منسوبا الى غير العرب . لم يكن هذا لسياسة عمياء يريدون بها التقرب الى الامراء والوزراء . لا ولكن باشر اليقين الحق قلوبهم فانعقدت على محبة القرآن ومحبة السنة ومحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وان كان بعض الاعاجم بلغ به الحب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عترته الشريفة الى أن تغالوا فى تعظيمهم فذلك لما عاينته أبصارهم وفقهته قلوبهم من أخلاق فاضلة . وأسرار غالية . وعلوم عاليه . وهكذا يكون تجدد هذا المجد واعادة هذا الشرف بالعمل بالسنة والكتاب ومجاهدة النفس والحظ والهوى ابتغاء مرضاة الله تعالى . على أنى لا أقنط من روح الله تعالى ولا أزال على يقين أن الله تعالى يأتى بقوم يحبهم و يحبونه يجدد بهم سننه و يحيى بهم معالم القرآن ومناهجه . يزهدهم فى الدنيا و يرغبهم فى الآخرة و يمنحهم الاخلاص لذات الله فى القول والعمل والحال والعقيدة حتى تزول تلك السحب الظلمانية عن شموس القرآن العلية وترتفع ستائر الحظوظ والاهواء والطمع والغرور عن قلوب المسلمين . والله سبحانه وتعالى بشر بذلك فى كتابه المجيد بقوله سبحانه (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم : مما يدلك على جمال القرآن الذى اذا تجلى للارواح تألهت بحبه وشاهدت من كنوزه الخفية وأسراره الغامضة مالا يحصر من الحكم والعلوم جميعها ما تراه قام به علماء الاسلام غير العرب من الروم و بلاد العجم . فقد دونوا رضى الله عنهم فى أسرار القرآن مما يتعلق بأعجازه و بلاغته وفصاحته

وكشف ما فيه من أسرار علوم الطب والحكمة والفنون والقوانين التي أنزلها الله تعالى لعمارة الكون وسعادة العباد وشرح أسرار ما أودع في الكائنات من الخواص والآيات والآثار وما جاري به العقل من البراهين القائمة على حقيقة التوحيد وجميل الأخلاق وتزكية النفوس وأسرار تكميلها حتى تبلغ من الكمالات أن يكون الانسان في مقعد صدق عند مليك مقتدر وما فوق ذلك من الاسرار الغيبية المتعلقة بمعاني الصفات الالهية والاسرار الربانية مما لا ينطق به الا مشاهد لاسرار الملكوت الاعلى عالم بغوامض أسرار الحكمة مطلع على مراتب الوجود عالم بالنسب التي بين تلك المراتب من العلوم والفهوم التي لم يتكلم بها الا نبي مرسل أو صديق لرسول من أولي العزم . ولم يختص بهذا الفضل مسلم دون مسلم بل عم ذلك فترى علماء بخارى وخوقند وسمرقند ونيسابور وعلماء العراقين وأفغانستان والهند وعلماء الشام والروم والاندلس ومصر والمغرب ممن لا يحصى عددهم قد قاموا فاستنبطوا جميع العلوم من القرآن وخدموا القرآن الكريم بجميع العلوم فكانت العلوم منه ماخوذة وكانت العلوم وسيلة لادراكه وفهمه . لم تختص تلك الانوار والاسرار للعرب دون العجم لان القرآن أنزله الله للناس كافة فكانت بشاشته تباشر القلوب فتطمئن بها والانفس فتتأله لها فتنطلق الالسن بالحكمة العالية . وقد استقبل جماعة المسلمين كتب العلماء من غير العرب برضاء تام واستحسان تام وقبول واقبال . وكان العلماء يكدون لنوال أرزاقهم ويفرون من الشهرة من معرفة الامراء والولاة وابتغاء مرضاة الله وخدمة للصالح العام . ولن يزال هذا النور ساريا وتلك الشموس مشرقة . ولو أن الملائكة والعلماء العاملين اجتمعوا جميعاً لكشف غوامض أسرار القرآن لما كوشفوا منه الا بقدر ما تاخذ العصفورة من المحيط وما يعلم تاويله الا الله تعالى

﴿ اليقظة من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم (ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد وجلاؤها ذكر الله تعالى) وقال سبحانه وتعالى (يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) من هذا الحديث الشريف نفهم أن نوم الغفلة هو صدأ القلب بالغفلة عن ذكر الله

ونعلم من الآية الشريفة أن رقدة الجهالة من الغرور بالحياة الدنيا وبأطاعة شيطان الحظ والهوى والشح والاعجاب بالرأى . ولما كان ذكر الله تعالى جلاء القلوب من الصدأ لزم أن نبين المراد من الذكر هنا بيانا يشرح للمطالع حقيقته . معلوم أن الغفلة عن الشيء لا تكون الا بالاشتغال بغيره والغرور بالشيء لا يكون الا بحبه وعلم أنه خير وسعادة ولذة حتى يجنح اليه ويميل عن غيره متساهلا . فاذا حصل هذا فانما يكون للجهل بحقيقة مارغب فيه ومارغب عنه . اذ من رغب فى الفانى وجد فى طلبه تاركا الخير الباقى الحقيقى نحكم عليه بالجهل والحمق . ونبين له ضرر مارغب فيه وخير مارغب عنه ليتحقق خطأه ويعلم ضلاله فيتوب ويرجع الى الصراط المستقيم ويندم على مافرط فى جانب الحق . فاذا تنبه من نومة غفلته وأيقظ من رقدة جهالته ولم تنبه علمنا أنه شقى لا حظ له فى السعادة الانسانية ولا قسط له من الخيرات الحقيقية الا أنه يجب علينا أن نعالجه بالادوية المفيدة من الحكمة والموعظة الحسنة حرصا على نجاته بالهداية واتباع سبيل المؤمنين . ويكون بتعليم وكشف مبدئه ومعاده وبيان نعم الله عليه وتذكيره بعاقبة البغى والجهالة واظهار مافى نفسه ومافى آفاقه من غرائب قدرة الله وعجائب حكمته سبحانه . كل ذلك مع ادخال البشائر عليه والمسرات ليحسن الاصغاء فلا ينفر ولا ينزعج . حتى اذا قام المرشد بهذا العمل ولم ينجح فى هذا الانسان يكون الداعى قام بالواجب عليه حق القيام . فيظهر من هذا أن ذكر الله تعالى محصور فى نوعين . تذكير بالله فى البداية حتى يعلم المريد قدر من الله عليه ويذوق حلاوة نعمه سبحانه ويعرف نفسه ومافيها من الآيات حتى تنكشف له الآيات ويسكن الى الله سبحانه . وهذه هى الرتبة الاولى للذكر ثم يكون الذكر فى الرتبة الثانية وهو قسمان . الاول ذكر القلب خاصة والثانى مايشترك فيه القلب مع الجوارح

﴿ ذكر القلب ﴾

قال الله تعالى (فاذكروني أذكركم) إشارة إلى ذكر القلب (واشكروا لي ولا تكفرون) أشارة الى ذكر الجوارح لان الظاهر عنوان الباطن وتارك الشكر بأعمال الجوارح كالكافر لنومة قلبه بالجهالة ورقدته بالغفلة عن مراقبة القادر الحكيم . وانما تذكر الجوارح بالمحافظة على شعائر الله إذا علم القلب العلم الحقيقي الذي تكون به الخشية من جلال الله تعالى قال الله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) والخشية عمل من أعمال القلوب والعلم خزانته القلب . وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى (من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين) وشرح ذلك والله أعلم . أن السائلين الذين يثني عليهم الله تعالى بانه جل ذكره يعطيهم الفضل انما يسألونه فضله ورضوانه وليس شيء أفضل من الفضل والرضوان إلا المتفضل بهما سبحانه . فمقام الذكر هو هنا أرفع المقامات ولا يكون ذلك إلا بالقلب فان قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث (شغله ذكري) أي شغل قلبه لانا نرى كثيراً من الذاكرين بجوارحهم قلوبهم مشغولة بغير معاني المذكور فهم مع ذكرهم بالجوارح مشغولون عن الله تعالى . إذا تقرر هذا . فذكر القلب هو أولا بعد ذكر الابيات الآتية وهي

تلك المظاهر والشئون مرائي * فيها تلوح لمن صفوا اسمائي
فالعارفون يرون سر تنزلي * والجاهلون مرادهم آلائي
أنا ظاهر لأولى القلوب مشاهد * لاولى الصفا من صفوة الأمناء
أنسوا بأنواري فطابوا وارتقوا * عن ظلمة الاكوان والاهواء
فهموا مني بقلوبهم ومرادهم * نظر لوجهي بعد نيل رضائي
لم يشهدوا غيري مريدا خالقا * فمنحتهم مني جميل عطائي
فرحوا بفضلي فانجلت لقلوبهم * شمس التجلي في سما الارجائي
شربوا مدام محبتي فتحققوا * بعد الشراب بصحة الانباء

طابوا بها وعن الوجود بأسره * غابوا بحبي لايرون سوائي
شغلوا بذاتي عن شئون تنزلي * فأنا وليهم بسر قضائي
مابين شكر لي وذكر خالص * وتبتل وتضرع بفنائي
عكفوا على ذاتي بنور قلوبهم * فأبحتهم رؤيا جمال بهائي
فهم العبيد سرورهم بي دائما * وأنا القريب لهم بعز خفائي
طربوا براح مدامتي ومحبتي * فهمو شموس أشرقت بسمائي
لم يلههم كون الفناء عن الصفا * وعن البقاء بصحبة الامناء
فقلوبهم عمرت بنور مكانتي * ونفوسهم تاقت الى العلياء
نهجوا على سنن الحبيب محمد * حتى به وصلوا بكل هنائي
يارب صلي مسلما ومباركا * أبدا على شمس الهدى وضيائي
والآل والاصحاب وامنحنا الرضا * وتولنا بالنور والآلاء

العلم بآيات الله تعالى المشرقة أنوارها في الانفس والآفاق ثم بأسرار القدرة والحكمة ثم مشاهدة تلك الآيات عن قادر حكيم . ثم شروق أنوار معاني الصفات لبيان حقيقة النفس للمشاهد وانكشاف مراتب الوجود وتميز المكانتين . مكانة واجب الوجود وممكن الوجود وظهور النسب الحقيقي بين العبد وربه ظهورا يتحقق به العبد بكمالات منزلته من الفقر والاضطرار والعدم وغيرها ويتيقن بكمال ولاية الله ورأفته ورحمته حتى يذوق لذة أنه سبحانه أولى به من نفسه فتمتزج الرهبة بالرغبة والخشية بالرجاء والخوف بالطمع والعظمة بالمحبة . عند ذلك يكون الحق أقرب للعبد من حبل الوريد . وليس شيء هو أقرب للانسان من حبل وريده الا قلبه الذي هو منبع حياته وقوام حواسه وخزانة ذخائره وكنز تحفه . وهو مقام يكون القلب فيه بيت الحق لاحيطة وادراكا ولا علما للحقيقة والكنه . ولكن بعلم يتحقق به أنه سبحانه القادر الحكيم المبدع المصور المعطي الوهاب القريب المجيب الى آخر الاسماء والصفات علما جعله يحب الله تعالى ويخشاه سبحانه فلا يغيب ولا يغفل ومتى كملت مشاهد القلب والقلب سلطان الجوارح . قال صلى الله عليه وسلم (ألا وان في الجسد لمضغة اذا صلحت

صلح الجسد كله واذافسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ألا وهى القلب) ومعنى هذا الحديث الشريف أن القلب اذا صلح صلحت الجوارح لان تقوم بما أوجبه الله تعالى عليها و رغبها فيه قياما يكون فيه رضوان الله ومحبته

ياقلب حال الصفا تبدو معانيه * تكون عرش استواء عن تجليه
تكون يا قلب معمورا ومبتهجا * بما تنزّل نورا من أياديه
يدوم أنسك بالمحبوب ان ظهرت * شمس المثال برمز عن مجاليه
ياقلب يابيته الاعلى وصورته * تقلّبا فى المعانى لامبانيه
أنت المحيط بانوار مقدسة * قدضاق عنها محيط الكون عاليه
وسمت شمس المجالى عن تنزلها * والعرش قدضاق عنها ذوق مباديه

وللقلب مراتب فى الذكر فأول مرتبة من مراتب ذكره بعد العلم المتقدم مقام التوبة وهو مقام على تنال به محبة الله تعالى . قال سبحانه (ان الله يحب التوابين) وقد شرحنا مقام التوبة فى كتاب أصول الوصول شرحا بين مجمل مسائله فليراجعه من أحب أن يتجمل بهذا المقام

الرتبة الثانية من مراتب ذكر القلب : مقام المحبة : فالخشية فالخوف فالطمع والرجاء فالصدق فالاخلاص فالتوكل فالتفويض فحق اليقين بالتوحيد . فمراتب الكمال لذكر القلب تقدم الاشارة اليها رمزا فى المواجيد النظمية اذ حقائق التوحيد لا تسطر فى الاوراق ولا تسعها العبارة . ولذلك كان بيانها من اللسان الاذن للقلب بالاشارة . ورسمها فى الكتب بالرمز صونا لسر الحق جلت قدرته من ان تتناوله الانفس اللقسة فوضع بالرموز والكنايات والاشارات ليذوق منه الواجد على قدر مقامه من الذكر . وهذه مقامات ذكر القلب وقد شرحنا جملا منها فى كتاب أصول الوصول وكتاب معارج المقربين وكتاب مذكرة المرشدين وفصلنا بعض ماأجمل منها فى كتاب شراب الارواح فراجعها عند احتياجك لتزن حالك وتعلم مقامك والله ولى المؤمنين

واليك مايمكن وضعه فى مثل هذا المختصر من الابيات التى تشير الى أسرار القلوب من غير خفاء ولا رموز

أيها القلب بالجمال العلىّ * وأنساً لازهرة ودنىّ
يافؤادى وأنت بيت علاه * عرش أنواره بمعنى جلىّ
واجهاً نوره به وتنعم * بجمال مقدس أزلىّ
ومن الافق أفق جهل وظلم * فتجرّد لأفق أعلى أخىّ
أيها الروح بعد صفوى وقربى * فاكشف الحجب عن جمال خفىّ
سالمى هيكلى وكونى سراجا * فى سبيلى ومؤنسا فى رقىّ
ناوليه بقدره الراح حقى * يتهنى فى حصنه الشرعىّ
ولدى الحال لاحظيه برفق * كى ينال البشرى بمعنى الوفىّ
أيها الروح أنت ملك كريم * والمبانى من عنصر آدمىّ
ركّبت من عناصر واستعدّت * للمقام الدنىّ أو للعلىّ
هى بيت إمّا لابليس مأوًى * أو لنور منزه واحدىّ
إن تزكت من حظها وهواها * فهى كالعرش لاستواء الولىّ

***

ان أضاءت للروح شمس التجلى * أشهد الوجه حيث كنت أولىّ
هى شمس ان أشرقت لفؤاد * صار بيتا مجملا لمصلى
شمس قدس تلوح فى حال صفو * لمراد صفا بسرّ التخلى
أيها القلب ان أضاءت تراءى * ان ذا القلب عرش مجد ووصلى
يتجلىّ ناسوته بجمال * وهو لوح لآتى نور وقولى
آه لو أنها تراءت لعين * شهدت نور مبدع متجلّى
لا تراها الا قلوب تحلت * وتخلت عن مقتضى كل سفلى
أيها القلب بعد أن صرت عرشا * لظهور المعنى وسر التجلى
هل تفيض الانوار حتى أهنّى * بشهود المراد من غير ظلّ

***

القلب في بهجة بجمال رؤيته * والروح سكرى بكشف جميل طلعته
والعين في لهفة تشتاق تشهد ما * به فؤادىَ في أنس بهجته
والنفس ما بين قلبي بل وباصرتي * تأّلهت لمان من حقيقته
فيها أضاءت ولكن سترت بسنا * أنوار غيب بمعنى سر صورته
تُرَى الزجاجةَ والمشكاةَ وهي علىّ * غرامها في اصطلام في معيته
إن شاهدت آىَ معناه منزهة * تاقت الى الغيب في وَلهٍ لحيطته
وان محا نورَه الاعلى معالمَها * حنّت الى مَظهر عن نون نسبته
وان تجلّت معانى سر وحدته * تنبي بعظموته وعجيب حكمته
تتيمّت بشهود الآى واجدة * وجد المؤلّه من آيات قدرته
ما بين نفسى وروحى بل وباصرتي * كالثلج والنار قد جُمِعا برحمته
للروح مجلى كمال في نزاهته * والقلب كشفُ التجلي عين بغيته
وعين رأسىَ سر الآى مَطلبها * والآى قد سترت بجمال عزته
صرت المؤلَّه لا أنفك من وله * نفسى وروحى وعيني بعد رؤيته
لا ينتهى ولهى أبداً وقد جمعتْ * كما علمتَ معالمي بحكمته
عناصرى هي أركان الوجود إذا * فقهتها سكنتْ نفسى لحضرته
عجيب قدرته وغريب حكمته * وجليُّ آياته وعميم نعمته
قد حيّرت انفُسا طهرت لطائفها * وأوقفتْ كلّ عقل عند رتبته

﴿ الذكر الذى يشترك فيه القلب مع الجوارح ﴾

هو الذكر العملى الذى يسمى شكرا قال الله تعالى (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) فعمل الجوارح ذكر وشكر فى آن واحد كما قال الله تعالى (يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) فجميع الجوارح تشترك فى عمل الذكر ولا يكون هذا

العمل عملا شرعيا معتبرا إلا اذا كان صادرا عن القلب بحسن نية واخلاص وُجهة ويقين حق عن شهود أو علم حتى تكون المواجيد القلبية والارادة والعزيمة لذات الله فى مقام حق اليقين أو لنوال الفضل والرضا فى رتبة عين اليقين أو خوف من جلاله وعقوبته فى منزلة علم اليقين . وتكون أعمال الجوارح بعد هذا التحقيق على طريقة سنية واقتداء بالأئمة الهداة الراشدين المرشدين مع ملاحظة مقتضى كل نفس عند أهل التمكين وكل وقت عند أهل التلوين وكل يوم عند السالكين حيث تكون الأنفاس عند أهل التمكين فى مشاهدة ومراقبة . والساعات عند أهل التلوين فى خوف ورجاء وحيرة وأحوال . والايام عند السالكين فى توبة واستغفار وقياما بالتكاليف وطلب فى التعرف والفوز بالخير الابدى الذى هو خير فى منزلتهم . هذا هو الذكر الذى يشترك فيه القلب مع الجوارح

اذا لاح من قلبى ضياء بصيرتى ۞ تنوّر ناسوتى بانوار شرعتى
ولاحت له أنوار غيب مصونة ۞ تعالت عن التشبيه أو عن إشارة
وذاق من العين العلية راحها ۞ شرابا صفا من حضرة واحديّة
وفى الوادوادى القدس يرتع سابحا ۞ يشاهد أنوار العلوم الجلية
ويشرب من حوض الشهود سلافة ۞ مداما صفا يعطى لاهل المعية
لديها يلوح النور من ظاهر إلى ۞ عوالم أرجاء الفؤاد الخفية

فاذا لم تصدر أعمال الجوارح عن مواجيد القلب فذلك عناء وغفلة وإن صدرت أعمال الجوارح عن قلب يقصد غير الله وغير رضوانه وفضله وغير ثوابه والنجاة من عقابه بان صدرت عن القلب لشهرة وسمعة أو لعلو فى الارض ورياء أو لطلب دنيا فانية فذلك النفاق بعينه نعوذ بالله منه . والنفاق هو أن تكون العلانية علانية الصديقين والسريرة سريرة الشياطين والمغرورون الذين يطلبون الدنيا بعمل الآخرة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) فما من عمل من أعمال الجوارح إلا وهو يتعلق به عدة أحكام شرعية فى كل مرتبة من مراتب الرجال . منها ما يختص بالقلب وهو من أعمال القلوب كأن يلاحظ العامل القادر الذى منحه القدرة على الحركة وخلق له الأعضاء التى تتحرك والمكان الذى يتحرك فيه وأمده

بالنسيم الذى يتنفس منه . والنور الذى يرى به الاشياء فيتحرك إليها والعضو الذى يبصر به الشيء الذى تحرك إليه و يشاهد الحكيم سبحانه الذى منحه العقل يدرك به النافع فيتحرك إليه والضار فيجتنبه . يدرك به خواص الاشياء وفوائدها فيستعملها فيما لا بد منه وأكمل فيكون بقلبه مشاهداً لربه حاضراً معه و يستحضر القلب فى هـذا الوقت حكم الشرع فى تلك الحركة واجبة هى أو مندوب إليها أم مباح عملها أم منهى عنها . فيكون عامل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هذا ما يتعلق بالقلب مما لا بد منه للمريد السالك حتى يتجمل بحقيقة علم التوحيد فاذا قصر عن هذا فهو غافل القلب بعيد عن الرب محجوب عن مشاهد المقربين والابرار . أما ما يتعلق بالجوارح فيلزم أن يلاحظ فى كل عمل من أكل وشرب ونوم وتحية وا كرام وتعظيم و بيع وشراء وحرفة وصناعة وصلاة وصيام وزكاة وحج و زواج وختان ومجالسة ومعاشرة وجيرة وغير ذلك من جميع الاعمال كيف كان يعمل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقتدى فى ذلك بأئمة الهدى ولا يعمل عملا إلا بعد العلم اليقين أنه مطابق لسنة رسول الله وعمل السلف الصالح حتى يكون على طريقة سنية وحالة سنية . فان كان واجيد قلبه وعمل بجوارحه على غير الطريقة السنية متساهلا بتعاليم سنته والتلقى عن العلماء حبا فى العمل وجهلا بقدر العلم وأهله فذلك قد عين الله عليه لكمال اخلاصه بمحبة العلم والعلماء حتى ينتقل إلى السير على المنهج الحق . وان ترك التعلم لجهله بقدر نفسه فذلك مبتدع ربما ابتلى بمرض الكبر والعياذ بالله فانساه الغرور ذكر الله قال الله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم)

﴿ الاعمال المشتركة بين القلب والجوارح ﴾

محصورة فى أعمال بدنية خاصة . أو مالية خاصة . أو بدنية مالية . أما الاعمال البدنية فالصوم والصلاة وذكر الله تعالى القلبي فكرا واستحضارا ويقينا ورغبة ورهبة وتعظيما وخشية وخوفا وطمعا وحبا . وغير ذلك من مقامات اليقين والجهاد فى سبيل الله بالنفس للمعدم ومعاونة المسلمين بغير المال كالعيادة وحمل الجنائز وتشييعها واماطة الاذى عن الطريق

وقيادة الأعمى والمساعدة بالجاه وترغيبة المسلم وكطلب العلم وتعليمه وحفظ القرآن المجيد والاصلاح والصلح بين الناس كغض البصر عن العورات والبشاشة وحسن الاصغاء والمخاطبة وحمل أحوال الاخوان على اجملها والاحسان إلى المسيء بالقول الحسن والعفو وكظم الغيظ والصبر عند لزومه وحب المسلمين لانهم مسلمون وبغض أعمالهم المخالفة للسنة بغضا يجعله يكره العمل ويكره أن يقع فيه وينفر منه وتنزعج نفسه من رؤيته أمامه ولو كان العمل ملائما للطبع ولذة عاجلة أو خيرا فانيا من حظ أو شهرة أو سيادة أو مال أو أصدقاء ما دام هذا العمل منهيا عنه شرعا فيكون لبغضه فيه متمثلا قبح صورته ومستحضرا عاقبته ومشاهدا حقارته وعالما أنه رذيلة لان الشارع سبحانه حرمه ويبغض الكافر لانه كافر وينفر منه بقلبه وجوارحه . اللهم إلا أن يتقي منهم تقاة فالمداراة أسلم وليحذر ذات الله تعالى من أن توقعه الملابسة والمجالسة في المجانسة فيبوء بسخط الله وغضبه نعوذ بالله من ذلك وليستحضر قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب) استحضارا يعلم بها سبل النجاة من السقوط فيما يسلب الايمان من القلوب ولو كانت الابدان عاملة بالطاعات قال صلى الله عليه وسلم (ان الله لا ينظر الى صوركم ولا الى أموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم و إلى أعمالكم) والمداراة اما طمعا في تأليف للدين أو دفعا لمضرة لا قبل له بها وليس هذا بالدعوى فان علام الغيوب لا تخفى عليه خافية . ومن الاعمال البدنية النظافة لله وتحسين الهيئة تحدثا بنعمته وتعليم حرفة أو صنعة أو عمل يعمله ليستغني عن سؤال الناس بالله تعالى ومنها تعليم السباحة والرماية والكتابة وتدبير النفس والمنزل حتى يكون عضوا عاملا في الجسد الاسلامي مقتديا بالسلف الصالح و إماما لمن بعده . والاعمال البدنية الخاصة بالبدن لا تخفى على بصير خصوصا أعمال الفطرة كاعفاء اللحية وحف الشارب وقص شعر الرأس ونتف الابط وقلم الاظفار وحلق العانة والختان والخفاض ونظافة الجسم وغير ذلك

مع النية بان هذا العمل لله تعالى اقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يتشبه به صلوات الله وسلامه عليه بقدر الاستطاعة

﴿ الأعمال التي يحتاج فيها الى الاشتراك مع غيره ﴾

إما أن تكون في المجتمع المنزلي كمعاملة والديه واخوته واخوانه وزوجته وأولاده ومواليه . وهذا المجتمع الصغير هو الكبير في حقيقة الامر وأحوج الى الحكمة والتدبير من كل مجتمع وأحق بالمحافظة عليه والعناية به والحرص على أن يكون منظما تنظيما يضمن رغد العيش وطيب الحياة ودوام الراحة وإسباغ النعمة والحكيم الحقيقي من أمكنه أن يدبر منزله تدبيرا حقيقيا فان المنزل هو أم الامة وأس المجتمع وسبيل سعادة الافراد والجماعة ومن أمكنه حسن نظام منزله أمكنه أن يكون إماما لاكبر مجتمع . فان تدبير المنزل به تربية رجال عاملين لخير المجتمع ونساء عاملات لسعادته ومتى أهمل تدبير المنزل ساءت حالة الامة وشب الابناء على الاهمال والاسراف في الوقت وفي المال والعرض وتولدت الضغائن في قلوب الاهل والاقارب وجهلوا قدر التعاون وقدر حقوق النسب وصلة الرحم وغفلوا عن معرفة قدر المجتمع المنزلي مع شهود فوائده حسا وتحقق كل فرد باحتياجه الشديد لمعاونة الآخر المعاونة التي لا يمكنه أن يعيش بدونها الامر الذي يكفي أن يكون داعيا لتوثيق روابط المحبة وتبادل أسباب الالفة والاخاء وتربية النفس على حب الاهل وبذل المال والجاه لاستجلاب مودتهم وألفتهم لانهم هم الاعضاء المتممة لجسمه ولغيره بل لجميع ضرورياته . فاذا تمت تلك المحبة الطيبة لنمو الجسم وسرت تلك الفضيلة في أفراد العائلة بل في أعضاء الجسد الممثل لعائلة كان كل فرد كعضو نافع لجميع الجسد بقدر صحته وعافيته بحيث لا يستغنى عنه . ويكون للجسم من القوة والراحة والسعادة بقدر ما يكون للجسد من المنفعة باكمل أعضائه فيكون الاخ الشقيق أو الاخ لام أو الاخ لاب في المنزلة الواحدة كاليمنى بالنسبة لليسرى أو كالعين بالنسبة لاختها ويكون الاخ كاملا بالنسبة للولد فتكون الابناء مقتدين بالآباء يرى الولد عمه بالعين التي يرى بها والده

وخاله بالعين التي يرى بها والدته . يبذل كل رخيص وغال فيما فيه سعادة الجميع ليعيش المجتمع المنزلي سعيدا راقيا بحسب الخير لكل فرد منهم لان خير كل فرد هو خير الجميع . فاذا كمل المجتمع المنزلي وتكمل مجتمع المحلة أو السكة يتكمل بهما مجتمع القرية ثم المدينة ثم تتكون الامة على نمط المجتمع المنزلي حتى تكون الامة جميعها كجسد واحد قائم بكل عضو منه وكل عضو قائم بكل الجسد بحيث تكون السعادة الحقيقية منقسمة على كل فرد بقدر منزلته من الجسد الاسلامي ففرد كالقلب وآخر كالعين وكاليد وكالرجل وكالاذن وكاللسان وكالاصابع وكالمعدة والامعاء والكليتين والطحال وتكون أعمال الامة منقسمة على الافراد كتقسيم اعمال البدن على جميع اعضائه ويكون الرئيس هو القلب والنور الذي يستمد منه القرآن المجيد والسنة النبوية وهدى الائمة الراشدين المرشدين ويمد بهذا النور جميع اعضائه العاملة عمل الوزراء كالكبد والكليتين والرئتين وكاعضائه المنبثة في النواحي كالعينين والاذنين والانف والذوق واللمس الممثلة بكبار الجند وكاعضائه العاملة لحفظ الجسد والعناية به كالمعدة والامعاء والاسنان واللسان المعين على بلع الطعام والاجهزة البولية وغيرها وهم الصناع والعملة أهل الكد في المجتمع الاسلامي . فيكون الامام الاعظم عالما بقدر فوائد أصغر عامل للجسد وأصغر صانع ومقدرا قدر المزايا التي تنال الجسد الاسلامي منه ناظرا اليه بعين الاخ النافع والعضو العامل حتى يكون كل فرد في عون كل فرد لعلمه بضرورة ذلك وتحققه من أن ذلك هو السعادة في الدنيا والآخرة ويكون أصغر صانع عالما بقدر النفع العائد عليه من بقية الافراد من الامن والعدل والسلامة واعلاء الاسلام واحياء السنة وسعادة المسلمين فيحصل الحب الحقيقي لله تعالى ولجميع الاخوان المسلمين ويكون المجتمع الاسلامي في أي بلد وأي جهة متماسكا تماسكا حقيقيا مؤتلفا ائتلافا حقيقيا ينمو في كل نفس ويعلو في كل يوم وتدوم سعادته وخيره وبره أبدا بل ويكون سكان الارض من مشارقها الى مغاربها في سعادة وسرور بهذا المجتمع . المسلمون وغيرهم . وهذا التدبير المنزلي وغيره لا يمكن ان يكون كاملا حقيقة الا اذا كانت التربية مطابقة للقرآن المجيد وسائرة على وصايا النبي صلى الله عليه وسلم وعمل الائمة بعده حتى يكون في كل قلب غيرة على الحق وحب في الحق ورغبة

في نوال السعادة الحقيقية التي لا تنال الا بكمال التمسك بالكتاب والسنة قولا وعملا وحالا . فاذا أهمل المسلم تربية نفسه حتى فسدت أخلاقه وساءت عقيدته وصار كالحيوان الاعجم أو الشيطان المارد أفسد المنزل كما ترى الآن : ترى المسلم وهو يدعى الاسلام يقطع رحمه ليصل الدنيا او يعق والديه لينال شهوته و يتمنى لقريبه الموت ليرث ماله بل تراه يقتل أخاه لابيه وأمه لينال مالا يدخره لاولاده و يجهل المغرور ان أخاه أولى به من اولاده وان اولاده الذين يرثون ما جمع لهم بظلم أخيه يأتى عليهم وقت ربما قتلوه ليأخذوا أمواله وعمل كل واحد منهم في أخيه ما عمله أبوهم في أخيه : انظر الى المسلم تردوا قفا أمام الحاكم الذى يحكم عليه بغير الكتاب والسنة ينتظر أن يحكم على أخيه له ثم يطالب عقوبة أخيه بالحبس فيخرج فرحا مع أولاده ومع زوجته وأقارب زوجته كأنهم فتحوا بلاد المسلمين . فهل مثل هذا يكون قد هذب أولاده وعلمهم صلة الرحم لا والله ولكنه أفسد اخلاقهم وجعلهم كالطاعون لبعضهم . ثم انظر الى المسلم يسعى ليسقط أخاه المسلم عند من له عليه سلطة من غير المسلمين لينال وجاهة أخيه او منزلته او ماله ليؤذيه و يضره بدون ان ينال كسبا الا السرور بأذية أخيه على يد غير المسلم ثم يتوجه فيخبر زوجته وأقاربها امام اولاده و يفتخر بهذا العمل و يمدح من عمل مثله فيتخلق الحاضرين بأخلاقه . وقد يسعى بهمة في اظهار عيوب المسلمين امام غيرهم ليتمكنوا من مؤاخذتهم عليها واذلالهم . هذا لعمرى عمل الشياطين وأشر الوحوش الضاربة . فمن كان هكذا فهو والله من أشر الشياطين . وأضر الامراض على المسلمين . كيف يفرح مسلم أن يحكم على اخيه غيره بغير الكتاب والسنة له فيرضى بحكم غير القرآن و يفرح باساءة أخيه و ينسى قدر الاساءة التى أساءها الى نفسه والى الاسلام والمسلمين والى المروءة والفضيلة و يجهل قدر ما خسر فى جانب ما اكتسب والله سبحانه وتعالى يمن علينا بالنور والهدى آمين

﴿ أول مراتب اليقظة ﴾

العلم بالحسن شرعا والقبيح شرعا بعقل يعقل علما يمكن النفس من استحضار فوائد الحسن العاجلة والآجلة حتى يحصل له الشوق والميل الى عمله مع ما فيه من ألمها وهجر مشتهياتها لما تناله فى العاجلة من حسن السمعة والاحترام والقرب من اهل الجاه والتقوى فى عاجلة الامر وما هى واثقة بنيله بعد مفارقة كون الفساد ودار الزوال ومنزلة النقلة الى النعيم المقيم فى دار البقاء ونُزل السعداء مع ظهور قبح القبيح حسا وان كان يلائم النفس وتشتهيه لما تجده من الالم العاجل لتعلم من سوء السمعة ونفور الناس والشهرة بالرذائل وقبح الحال حتى أن ضمير الانسان قد يحكم عليه بالدناءة والخزى ويكون دائما محتقرا أمام نفسه يستحى ان ينكر القبيح ويخجل من مقابلة الناس العقلاء الصالحين المصلحين ويشتد خوفه اذا ذكر عقوبة ذنوبه يوم الحساب اذا لاحظ الانسان تلك الملاحظات دل ذلك على يقظة قلبه وتلك الملاحظة تجعله يقلل المعاصى ويميل الى الطاعات

المرتبة الثانية ـ التوبة والاقلاع عن فعل القبيح مطلقا خلقا وعملا اوقولا نادما على ما حصل منه عازما على ان لا يعود الى الذنوب ولا تكون التوبة خالصة حقيقة الا اذا كان الداعى اليها التصديق الجازم عن علم يقين بيوم الحساب والرغبة الحقيقية فيما عند الله بالقلب المخلص لا لفقد ما يعينه على العمل او فقد ما يعمل به او خوف عقوبة الخلق أو طلب شهرة وسمعة امام الناس أو منزلة ووظيفة حتى اذا تمكن عمل . فمن اخلص لعلمه اليقينى واقلع وأناب عازما على أن لا يعود ووقع فى الذنب فله ان يتوب «والله يحب التوابين» ومن أقلع لمرض او مرض او فقد فليس بتائب عند العلماء ولو لم يعد حتى يطهر قلبه من المرض الملم به ويجد لذة التوبة الخالصة فمن وجد تلك اللذة رعلامتها طول الحزن على الذنوب وتمثيل مشتهياته بهاوية تهوى به فى نار جهنم على ان لا تخطر على قلبه الا وهى مبغوضة مرذولة متيقن انها باب العذاب الاليم . وبذلك يتحقق بصحة التوبة والله هو التواب الكريم الغفور الرحيم

المرتبة الثالثة المجاهدة . وهي ثلاث مراتب مجاهدة النفس وقهرها على عمل الواجب والمستحب . ثم مجاهدتها على ترك الحرام والمكروه . ثم مجاهدة العدو

اهل السلوك على الطريق الاقوم * ساروا باخلاص وصدق عزائم
زكت النفوس وطهرت من رجسها * فتجملوا بجمال دين قيم
وتخلصوا بجهادهم من غيهم * نالوا القبول وأكرموا بغنائم
حتى اذا زكت النفوس تجملت * بحقيقة التوحيد نور العالم
شربوا شراب الجمع بعد جهادهم * منحوا الوصول الى الولي الدائم
حجب المجانس والمفارق أشرقت * أسراره بهم بنور أعظم
الغيب أشرق بالصفا لقلوبهم * فتهيموا بشهوده بعالم
فهم النفائس حجبت لاتظهرا * في حال جمعهم بغير طلاسم
حتى يصافوا بالطهور فتجتلي * بالعرق أوصاف الحبيب الراحم
وهم الائمة أنجم تهدي الى * سبل النجاة بمحض وهب الراحم
أبدال رسل الله وراث الهدى * ال أنجم في أفق شمس القائم
وهم الهداة الوارثون أئمة * وصلوا على وسط الصراط الاقوم
أخلاقهم وصفاتهم وعلومهم * وهبت لهم من ذى الجلال المنعم
ورثوا بفضل الله نور رسوله * فهم البدور بها ضياء المظلم

الرتبة الاولى من مراتب المجاهدة : مجاهدة النفس على عمل الواجب والمستحب فالواجب مالا بد منه وهو ما بتركه تحصل المضرة في الدنيا والعقوبة في الآخرة . و بالقيام به على الوجه الاكمل تحصل السعادة في الدنيا والآخرة — والواجب إما واجب للنفس او عليها فالواجب للنفس الذي يجب المحافظة عليه عند حصوله والعمل لجلبه عند عدمه هو . العافية . والامن . والقوت . فاذا تحصل الانسان على تلك الضروريات لزمه ان يحافظ عليها بكل غال ورخيص . ثم يجب على النفس تحصيل السعادة الحقيقية بتلك المعاني أي بالامن والعافية والقوت . فكأن تلك الواجبات لابد منها حتى تتمكن النفس في عالم البقاء والنعيم ودوام

المسرات . وهذه الواجبات للنفس قد سهل الله تعالى سبلها فانه سبحانه منح الخلق العافية فضلا منه ومنحهم الرسل والعقل الذى يعقل عنهم وصاياهم فبينوا للناس طرق الخيرى ووضحوا لهم سبل النجاة وخوفوهم من كل الرذائل وأنذروهم عاقبتها . فمن أحب ان يكون آمنا على نفسه من سلب العافية وعلى ماله من الضياع وعلى نفسه من الهلاك بعد الموت فعليه بالتمسك بالسنة المحمدية . وتفصيل ذلك لا يحتاج الى بيان . فان أوامر الله تعالى محصورة فى خيرى الدارين ونواهيه سبحانه محصورة فى ترك الشرور . أما القوت فقد اوجد لهم سبحانه فى الارض معايش وأنزل لهم سبحانه من السماء ماء ثجاجا فاخرج به سبحانه حبا ونباتا وجنات ألفافا وسخر سبحانه وتعالى الشمس والقمر والكواكب وأجرى الانهار وخزن الماء تحت طبقات الارض ليحفظه لنا وجعل البحار العظيمة ملحة ليحفظ لنا الماء من التعفن فجعل رزقه من الضرورى لجميع خلقه بوسعة بحيث ان الهواء والماء والضوء والنبات والاثمار والحيوانات النافعة والمعادن وغير ذلك من الجبال والكواكب اكثر مما يحتاجه الخلق بما لا يحصى من العدد « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

هذا وتحصيل السعادة لا يكون الا بمجاهدة النفس على القيام اولا بما هو واجب لها من تحصيل الكمالات التى من اهمها العلم بالنفس وبمبدئها ومعادها وبما أودعه فيها مبدعها سبحانه وبما اكرمها به سبحانه من النعم فيها وحواليها مما لا بد لها منه وأكمل حتى تتحقق برتبتها فى الوجود وتعلم مقدار النعم بالعجز عن حصرها وتتيقن بحقيقة الاضطرار الى جناب المنعم المتفضل فيحصل لها السكون الى حضرته العلية ويحصل لها الحب والرهبة والرغبة وعند ذلك تتمكن النفس من العمل الواجب لها والقيام بالواجب عليها حقيقة . وقد شرحت طرفا من هذا فى كتاب معارج المقربين فى باب قسم علوم النفس فليراجع .

﴿ الواجب على النفس ﴾

لما كانت معرفة الواجب لا تكون كاملة الا بعد معرفة الانسان نفسه التي وجب عليها الواجب والحقوق الواجبة عليها ومعرفة من يجب له الواجب والعلم بكيفية تأدية الواجب لزم لمن أحب أن يعلم الواجب عليه ليقوم به أن يسعى في علم مالا بد له أولاً ـ الواجب على المسلم أنواع . اما واجب لله تعالى أو واجب لرسوله صلى الله عليه وسلم أو لأولي الامر منا أو للوالدين أو لمعلم الخير أو للارحام والزوجة والاولاد ومن استرعاه الله عليهم وما استرعاه الله عليه ولجيرانه وأهل محلته وأهل المدينة ولخاصة المسلمين وعامتهم ولاهل الذمة ممن داموا على ذمة المسلمين ماوفوا بعودهم . وكل نوع من هذه الحقوق يحتاج في تفصيل اجماله إلى اسفار ولكني أكتفي بشرح مابه يدرك المريد مالا بد له منه و يستبين للعالم بقية اللازم عليه مما أبينه فيتضح له مالم أذكره خشية الاطالة وخوف الملل قال صلى الله عليه وسلم . من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم . وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن يكفيه قليل الحكمة) وقبل البيان نقدم مقدمة .

معلوم أن مقاصد العمال محصورة في أربع . اما أن يكون المقصود الله تعالى . أو الدار الآخرة . أو المال . أو الذكر الحسن والشهوات النفسانية . فمن كان مقصوده الله تعالى يفز بقسط وافر من كل تلك المقاصد بدون أن يكون مقصودا لذاته بل لانها وسائل للسالكين ومظاهر لمشاهدة معاني صفات الحق للمقربين فيكون قاصداً الله تعالى فائزا بكل تلك المقاصد بدون قصد منه لها لانها معارج له لان من طلب الله مخلصا أقبلت عليه الدنيا راغمة وملأ الله قلبه غنى به وأمنا ومنحه حال الكمال التي يكون بها وسطا عاملا من عمال الله تعالى عارفا بالله . ومن طلب الآخرة أضر بالدنيا وهو الزاهد . ومن طلب الدنيا (المال) أضر بالآخرة من حيث صرف جميع همته في جمع المال قال تعالى (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) وقال صلى الله عليه وسلم (من كانت الدنيا أكبر همه جعل الله فقره في قلبه وملأ يديه شغلا ولم ينل منها الا ما كتب له) وهو المغرور . ومن كان مقصده شهوات نفسه

أضاع دنياه وآخرته والذاكر الحسن وأفسد صحته وهو الشيطان أو البهيم . اذا تقررت تلك المقدمة فأقول وبالله التوفيق والمعونة

﴿ الواجب لله تعالى ﴾

هو أوّل الواجبات وأحقها بالأوّلية شرعا وعقلا بحيث لا يتقدم عليه واجب قط وليس بانسان من أهمل فى معرفة الواجب عليه لله والعمل بما علم . أقول ليس بانسان وان كان انسانا صورة فان الصورة الانسانية قد تنقص عضو السمع أو البصر أو هما مع اللسان أو مع اليد ويحكم عليه بانه انسان صورة ولكنه لا يعتبر انسانا بمعنى الانسانية علما وعملا ونفعا وضرا فكذلك قد تكون صورته صورة الانسان كاملة فى المبنى وهو فى الحقيقة والمعنى حقيقة سبع مفترس أو سعالة (ثعلب) خادع أو خنزير سفاد أو نملة حريص أو طاووس معجب بجماله أو بهيم لا يحسن تدبير نفسه أو شيطان مارد إن أغناه الله تعالى استعان بنعمة الله على مخالفة أوامره وان أفقره دعاه الفقر الى الكفر وارتكاب المعاصى وان توسط حاله نظر الى ما فى أيدى الناس من النعم فحسدهم ورأى نفسه مظلوما وسب البخت وكفر بالقضاء . هذه الانواع من الناس صورهم صور الانسان وحقائقهم غير حقيقة الانسان وفى البحار أسماك على صورة الانسان وفى الغابات قردة على صورة الانسان والمعانى تتفاوت فكذلك المعانى فى صورة الانسان تتفاوت . ومن هذه الدلائل الحسية نحكم أن من لم يهتد بالواجب عليه لله تعالى مبدع الكائنات وممد الكل بالايادى والعطايا ليس بانسان

﴿ الواجب له سبحانه وتعالى ﴾

أول واجب معرفة الله سبحانه وتعالى وقد اختلف العلماء فى طريق معرفته سبحانه على مذاهب شتى حتى تفرق الناس فرقا وأحزابا يرى كل فريق منهم أنه على الحق وأن

من خالفه على الباطل . وقد بينت أشهر مذاهب المختلفين وشرحت طرقهم فى كتاب معارج المقربين . اجمالا و بينت أنهم جميعا لا خلاف بينهم إلا فى اللفظ فان أصول الدين الاسلامى لا توجب الاختلاف بين المسلمين وانما الخلاف حصل فى الطريق التى تكون به المعرفة . فمنهم من قال الرياضة والمجاهدة . ومنهم من قال النظر والاستدلال واختلفوا فى وضوح الدلائل وغموضها حتى كان القائلون بالنظر والاستدلال فرقا مختلفة ومن أراد الاطالة فى هذا الموضوع فليراجع كتاب معارج المقربين . هذا والانسان بمناط التحقيق يمكنه أن يتحقق أن القرآن المجيد بيّن للناظر بين معرفته سبحانه وحصرها سبحانه فى التدبر فيما أبدعته قدرته وأحكمته حكمته سبحانه وتعالى وأمدنا به من الفضل العظيم بحيث لو نظر العاقل فى نفسه نظر عالم بها فاهم لما أودع فيه من غرائب الحكمة وعجائب القدرة ولما فى أعضائه الظاهرة والباطنة من الاسرار المدهشة والحكم الجبيرة للألباب والمنافع الجمة وتفكر فى أعضائه الظاهرة وفى أعمالها الغريبة من شحمة تبصر ولحمة تسمع وأخرى تشم وأخرى يذوق بها وأخرى تحس ولسان ينطق وعقل يعلم الغيب بالاستنتاج ويدرك حقائق الاشياء بالاستنباط ونظر الى ما حوله من مجموعة الافلاك المنتظمة وتصريف الرياح المختلفة وتسخير السحب الهاطلة وجريان الانهار والبحار المفيدة وما بين ذلك من نباتات وحيوانات وجمادات ومعادن وما فى كل ذلك من خواص ومزايا وأسرار وقوى فاعلة ومنفعلة وما يتجدد فى كل نفس من الشؤون والاحوال والمحو والاثبات يعلم حق العلم أن له مبدعا أبدعه وأمده بما به كماله وبقاؤه ودوامه . ومن قرأ القرآن متدبرا يتحقق من آياته خصوصا الآيات التى ذكر فيها التفضل على الانسان بما فيه وما حوله والتمنن عليه بايجاده وهى آيات لا تحصى يعلم حق العلم أن الطريق الى الله سبحانه وتعالى هو النظر فى آياته الكونية وفهم آياته المتلوة وهنا أورد ما قاله سيدنا على كرم الله وجهه فى تنزيه الله تعالى قبل أن أنبه فكرك بآيات الآثار المحيطة بك لتذوق رحيق الائمة وتقتطف أزهار رياض العلم بتنزيه مبدع الكائنات والله الموفق

الحمد لله الذى لم يسبق له حال حالا . فيكون أولا قبل أن يكون آخرا . و يكون ظاهرا قبل

أن يكون باطنا . كل مسمى بالوحدة غيره قليل . وكل عزيز غيره ذليل . وكل قوى غيره ضعيف . وكل مالك غيره مملوك . وكل عالم غيره متعلم . وكل قادر غيره يقدر و يعجز . وكل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات و يصمه كبيرها و يذهب عنه ما بعد منها . وكل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام . وكل ظاهر غيره باطن . وكل باطن غيره غير ظاهر . لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان . ولا تخوف من عواقب زمان . ولا استعانة على ند مثاور . ولا شريك مكاثر . ولا ضد منافر . ولكن خلائق مربوبون . وعباد داخرون . لم يحلل فى الاشياء فيقال هو فيها كائن . ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن . لم يؤده خلق ما ابتدأ . ولا تدبير ما ذرأ . ولا وقف به عجز عما خلق . ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر . بل قضاء متقن . وعلم محكم . وأمر مبرم . المأمول مع النقم . المرجو مع النعم

هذا ولما كانت الحكمة أشد تأثيرا على النفوس اذا ظهرت للنفوس فى ألفاظ منظومة أحببت أن أورد لاخوتى المؤمنين روحنى الله واياهم بريحان آياته الظاهرة فى مكوناته ومنحنا طمأنينة القلب بشهود أسراره الباطنة فى آياته فانما هى مكونات قائمة بآيات وتلك الآيات دالة على أسرار مكون الكائنات وأنبه القارئ لتلك المواجيد النظمية أن يلتقط لآلئها الحكمية الغالية من أصدافها اللفظية غير منتقد على عدم مراعاة المحسنات اللفظية فان المقصود منها الروح العالية لا المبانى . والله أسأل أن يمنح القارئ نورا يستبين له به سر تلك المبانى وخفى تلك المعانى انه مجيب الدعاء

﴿ كيف تتفكر فيما أحاط بك ﴾

أيا أيها الانسان من طين فخار * تكونت كى ترأى مظاهر أسرارى
ومن نطفة أنشئت آيا جلية * وصرت بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فانت الطين والماء فاشهدا * جمالى وأحسانى وسرى وأنوارى
أكنت سميعا أو بصيرا وعالما * ولكننى أنعمت بالمدرار
نسيت جمال الله فيك تبطرا * فمن ينسه يلقى سعير النار

أياطينة الصلصال من بجماله * تحليت بالانوار بعد نخار
أتنسى مفيض الفضل والجود والعطا * وتهجر أورادى وتترك أذكارى
وللدون والدنيا تميل وترتجى * نوال الرضا والعفو واحسان غفار
تذكر جميلى من ألست وبعدها * وتابع سبيلى مخلصا ياسارى
ولا تنسى احسانى اليك ورحمتى * وكن مخلصا فى خفية وجهارى
ولا تشتغل بسواى ترفع للعلا * وتحظى بفضلى صحبة الاخيار
فلا ينسى احسان الجميل وفضله * سوى مبعد أو جاهل ومماری

* * *

ياصورة الرحمان والنور العلى * يانسخة الاوصاف والغيب الجلى
فيك العوالم كلها طويت فهل * أدركت سرا فيك من معنى الولى
خفيت بذاتك من معانى القدس ما * لا يشهدها ألا لذى قلب خلى
أأنست بالاكوان بعد شهوده * وسجود أملاك العلى بتنزل
أولا سمعت ألست عند شهوده * توحى بأن القدس أول منزل
فاهجر سكونك للكيان وبادرا * بالعزم كى تسكن بوطن أول
فيك المعانى مشرقات بالذى * يرقى به أهل الصفا بتأهل

* * *

حيطة الكون آية الامكان * قد أضاءت بها بنور البيان
وبها الآى أشرقت منبئات * عن معانى الدليل والبرهان
حيطة دون دركها كل عقل * لخفا سرها بطى المبانى
وهو كالدر نسبة وانتسابا * لمعان فى باطن الانسان
لم تسع ما نقلب فرد قريب * وهى قد أعجزت سويدا المعانى
قد أحاطت بهيكلى بحدود * وهو سور لكنز غيب مصان
عجبا للعقول تعجز عما * هو آيا لمشهدى وعيانى

ضاق عما وسعته يقين * كل عال من الكيان وان
أنت يا كون حيطتي حال فرقي * عند فوزي بحظوة في الجنان
وانفصالي بعد اتصالي وحجبي * بعد كشفي في هيكل لي ثاني
وأنا حيطة وأنت خفي * حال جمعي وحظوتي بالتداني
أفق مشرق بنور علي * قد أضاءت به شموس المعاني
حيطتي الوجه بعد محو وجودي * ببقائي عن مقتضى الامكان
كان عقلي قبل اتصالي وفصلي * يعقل الآتي بانتساب المكان
ثم لما لاح الجمال بمعني * من معاني الجميل بالاحسان
فتح الكنز كنز ذاتي باحسان قريب ومنعم حنان
وهب العقل عنه عقل معني * هو سر التوحيد والقرآن
صار صور الامكان بعقل عني * وأنا العقل صورة الرحمن
في سر وفي نور جلي * يشرقا ظاهراً لروح المعاني
ومعان قد نزهت عن مبان * قد أضاءت للمفرد الانسان

***

نغمات الآثار لا الاوتار * وأغاني الافكار لا المزمار
ومدام الذكرى بحانات صفو * لا مدام في حانة الخمار
وجهاد للنفس كي تتحلى * لا جهاد في الحظ والدينار
وتخل عن الرذائل أولى * لا تخل عن حكمة واعتبار
أيها النفس في الفضائل مجد * وحصون من سقطة في النار
وهي عز في عاجل ونعيم * وبقاء في نعمة وقرار
أيها النفس في الرذائل خزي * فاهجريها خوف العنا والشنار
أقبلي فالكمال خلق جميل * وشهود الآيات في الآثار
بعد علم بأن تلك المزايا * هي تاج العلا وحال الفخار

أيها النفس حظ دنياك فان * بادري تسلمي بغير اعتذار
وانظري في الوجود نظر حكيم * تشهدي سره من الانوار
واعلمي باليقين ان شئونا * قد احاطت آيا بغير ستار
أي عذر يانفس بعد التجلي * وظهور الآيات كالاقمار
كنت ماء يانسل آدم قبلا * وأبوك المعلوم من فخار
صرت لي صورة سميعا بصيرا * وعليما بحيطة الادوار
ثم ترقى عالين نزل شهودي * بين خدم الاملاك والانوار
أو بسجين دار سخطي و بعدي * في لظى القهر منزل الكفار
فتدبر ياماء ثم تحلى * بجمال الاقبال لا بالادبار
كيف ترضى بلذة ونعيم * تدخلا بعدها سحيق النار
جاهد النفس في جناب علي * واليه فاسعى بصدق الفرار
وتشبه بالرسل صدقا وعدلا * و باخلاقهم بصدق افتقار
ودع الدون للدنيء وبادر * فمعالي الامور للابرار
واخلع الكون لابسا درع زهد * في سوى الله فهو كنز ادخار
وانظرا نظرة بعين يقين * لا بعين العقول والانظار
ترى فيك الانوار لاحت جهاراً * وترى الافق لاح بالاسرار
أهل عالين لايرون الدنايا * لاشتغال الافراد بالستار
ستر الكون عنهم فرأوه * بعيون وهبت من الغفار
فتراهم بالله لله قاموا * عاملوه بشرعة المختار
ذكروه لما رأوه فذكروا * بلسان الاملاك كل نهار
ثم غابوا به وذكروا فذكروا * بلسان السلام والجبار
وتحلوا منه بخلق وحال * وجمال القرآن والاذكار

نور العقول لآتى الكون ميزان * والكون أجمعه للعقل ميدان
يجول فيه ليبدى سره فيرى * مافيه مرتبطا والفكر برهان
فلم يجاوز حدود الكون لوسبقت * انواره تحجبنه عنه اركان
ماللعقول اذا ظهرت مشاهدة * للغيب فى ستره لوصح امكان
لكنها ان صفت من افق حيطتها * تقرّ بالحق والاقرار ايمان
حتى تمدّ بنور الوحى يكشف ما * عنها تحجّب والتحقيق احسان
فضل من الله يوليه بسابقة * لذى مقام علىّ وهو انسان
كالشمس رادُ الضحى يهدى الى سبل * بها الوصول وروح ثم ريحان
له يسلّم اهل الاصطفاء ومن * فازوا بسابقة والفوز رضوان
فمنحون عيون الكشف من احد * بها يدوم لهم كشف وغفران
وعندها الغيب والسر المصون يرى * لاعين القلب والبرهان قرآن
نور من الله شمس للهدى ظهرت * فيه شفاء واسرار وتبيان
فشاهدا نوره واشرب مدامته * ولا تمل للهوى فالحظ شيطان
أسلم لمولاك تشهد نور طلعته * تجليه للقلب آيات وأكوان
واتبع سبيل مراد الذات متصفا * بالصدق فى حبه فالصدق ايقان
ترقى الى حضرة الملاء العلىّ الى * حظيرة القدس والمحبوب رحمن
وخل مقتضيات العقل متبعا * هدى النبىّ فان الحق سلطان
وفى معيته فادخل بسنته * وحافظا فهى للافراد ميزان
والفرد شمس الهدى باب الوصول الى * نيل القبول وقد وافاك فرقان
صلاة ربى على المحبوب كعبتنا * بها تكون لنا البشرى ورضوان

———— ※ ————

﴿ كيف تتفكر فيما أحاط بك ﴾

لما كان جهل شيء من تلك الآيات المودعة في الانسان والمحيطة به المسخرة له مؤديا الى الجهل بالحق سبحانه بقدر ما جهل من آياته لانه سبحانه وتعالى أقامها حججا واضحة وبراهين ساطعة على كمال تنزيهه سبحانه وكمال قدرته وحكمته وعلى أحديته ذاته وأسمائه وصفاته المقدسة

* معالم الكون آيات تنبئنا * من سر غيب بدا فيه لخالقنا
وفي السموات والارضين آيته * لاحت لاهل النهى جهرا أفهمنا
شهدت علانية للناظرين لها * وأشرقت شمسها تنبي بوجدنا
وبرهنت لذوى الالباب قائلة * الحق لاح جهارا أشاهدته بنا
انا حجب ولكنا دلائله * تبدو شمائل أوصاف العلى عنا
تعمى العيون التي قد أبعدت عنا * ونظهرا لذوى الحسنى حقيقتنا
المؤمنون بنا شهدوا صفات على * والغافلون رأونا لا مكوننا
وقفت عزائمهم عند الكيان فما * نفذت بصيرتهم في سر مبدعنا
صرنا حجابا لاهل الغي نبعدهم * والحال أنا لنيل القرب قد صغنا
عجبا لمن حجبوا عن نور خالقهم * بنوره اذ بدا جهرا لهم علنا
أسماؤه ظهرت للعين مشرقة * وأشرقت شمسها حقا لمن حسنا
تلك السموات والارضون نور هدى * تبدى محاسنه كيما توصلنا
فشاهد أحسن ما فيها وكن يقظا * ولا تقف عندها تأتى عن السننا
ونزها حضرة الاسماء عن نسب * وعن قيود بعقل وانهضا معنا
فنوره بعيون القلب تشهده * وبالبصيرة تراه وتصحبنا
لا يبدو نور العلى إلا لمن سبقت * بالفضل منه له الحسنى ووافقنا
حظر على العقل نور الغيب يشهده * والعقل قيد فشاهد نور رنامنا

نور المكون للبصيرة لاحا * فى الكائنات فأشرقت مصباحا
لم يبق فى ذا الكون من جزئية * إلا ولاحت بالضياء صراحا
دلت على سر العلى تنزهت * أسماؤه بل أفصحت إفصاحا
لاحت لأهل الفكر شمس صفاته * فرأوا بها آثارها مصباحا

ولا بد لى فى هذا الموضع من أن أفصل هذا الاجمال بالماع الى تلك الآيات الظاهرة فى الارض وفى السموات وفى نفس الانسان مما هو محسوس بالجوارح ولا يحتاج الى بحث وتنقيب حتى تتنبه قوى الفكر فتجول فى هذا العالم الفسيح جولة متدبر يرى بها أنه عاجز عن شكر المنعم سبحانه مضطر فى كل نفس الى معونته جل جلاله فيقوى عامل الفكر بعد الذكر حتى يرتقى من عالم الحس الى عالم الخيال ولديها يمكنه أن يتمثل الآيات العلوية فتلوح عليه أنوار مبدع الكائنات وتتبلج له أسرار القادر الحكيم الحى القيوم ولديها تقوى عوامل الحيرة والدهشة فيرتقى من عالم الخيال الى العجز المطلق ولديها يحضر فلا يغيب وليس بعد العيان بيان ويكون شبيها بالعوالم الروحانية ممن وصفهم الله تعالى بقوله (الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

﴿ وجوب تعليم العلوم النافعة ﴾

هذا وان بعض اخواننا كرهوا بعض العلوم التى تبين بعض الآثار الكونية ظنا منهم أن ذلك يخالف السنة والكتاب والحقيقة التى لا مراء فيها أن المؤمن لا يعادى علما من العلوم كائنا ما كان ولكن المؤمن يبحث عن الحكمة أين كانت وهى ضالته المنشودة فهو يطلع على

كل علم ليأخذ منه الحكمة و يرفض سواها كما قال صلى الله عليه وسلم (الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها) وليس المؤمن العالم باسرار القدرة السارية فى الآثار الكونية علويها وسفليها كالمؤمن الذى لم يعلم فان المؤمن العالم على اليقين الحق وهو حجة الله القائمة على الخلق المتحقق حقيقة بخشية الله تعالى كما قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقال الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وسلم (وقل رب زدنى علما) ولا أبعد بك أيها الاخ عن القصد ولكن تدبر معى سر الاسراء وحكمة المعراج الصريحة فى القرآن المجيد التى هى قوله تعالى (لنريه من آياتنا) تر أنك مفروض عليك أن تكون عالما علم يقين بما كان حق يقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتكون من أهل اليقين وتأمل معى الى قوله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء) فاذا تأملت ببصيرتك وتحققت أن الله حكم أن الذين يخشونه سبحانه هم العلماء حقيقة بعد ذكر تلك الآيات العجيبة تحققت أن العلم بالله تعالى لا يكون الا بالعلم بآياته الظاهرة فى آثاره وعجائب قدرته وغرائب حكمته المنبلجة فى مكوناته و بقدر ما فاتك من علم شىء منها فاتك من العلم بالله . والله ينبه أخوتى المؤمنين فى جميع بقاع الارض الى العمل بالقرآن الشريف واحياء السنة المطهرة . ولو نظرت معى أيها الاخ أرشدك الله فيما ورد من الآيات القرآنية الحاثة على الفكر والاعتبار والنظر فى آيات الله الظاهرة فى مكوناته لتحققت أن أوجب الواجب على المؤمن معرفة آلاء الله بالنظر والفكر واليك بعض آيات تكشف لك الحقيقة فى هذا المقصد العظيم قال الله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) وقال الله تعالى (و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون)

وقال سبحانه (أن فى خلق السموات والارض واختلاف الليـل والنهار لآيات لأُولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهـم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عـذاب النار) وقوله تعالى (الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مدّ الارض وجعل فيها رواسى وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون و فى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب و زرع ونخيل صنوان وغـير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأُكُل أن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) وقوله تعالى (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بأمره و يمسك السمـاء أن تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف رحـيم) وقوله سـبحانه تبارك الذى جعل فى السمـاء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) وقوله تعالى (وآية لهـم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه ياكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) وقوله جل جلاله (ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا و بنينا فوقكم سـبعا شدادا وجعلنا سراجا وهّاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) وقوله تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) وقوله تعالى (فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع) وقوله جل شانه (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصـبت والى الارض كيف سطحت) وجماع تلك الآيات قوله تعالى (وان من شىء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا)

هذه بعض الآيات التى تنبه فكرك وتيقظ قلبك من نوم الغفلة وعقلك من رقدة الجهالة وتشغلك عن عكوفك على خدمة جسمك وقصر همتك على شهوات بطنك وفرجك واجتهادك فيما ييسر لك هذه المطالب السافلة والحظوظ الفانية واللذائذ الموبقة لك يوم الحساب فعليك أيها الاخ المسترشد أرشدنى الله واياك ان كنت تحب أن تكون من المطيعين لله الممتثلين لاوامره التى جاءت بها الرسل عليهم الصلاة والسلام العاملين بسنة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ان تقبل بكليتك على ما يقربك الى ربك ولا تنسى نصيبك من الدنيا واياك ان تكون منكبا بكليتك على الدنيا ناسيا يوم الحساب فتكون من الذين قال الله تعالى فيهم (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) واليك أيها الاخ الراغب فى نوال العلم النافع طل من وابل الآيات الظاهرة لفكرك يكون وراءه بمعونة الله وابل اليقين وكشف التمكين ولتقريب ذلك . اضرب لك مثلا . لو نظرت الى طيارة فى الهواء تحمل انسانا أو سفينة تجرى فى اليم بدون الهواء أو عربة تجرى فى الارض بدون خيل تجرها لحصلت لك الدهشة والحيرة لقصورك عن معرفة سبب ذلك مع ان ذلك سهل عليك لو تأملت ويمكنك ان تعمل مثله لو تفكرت فيه ولكنك عند أول نظرة الى تلك الاشياء الغريبة ينطلق لسانك بالتسبيح قائلا سبحان الله مع انك يحيط بك ما أنت تشهده طول عمرك حساوذوقا ولمسا وشما ورؤية من الآيات التى تتحير فيها عقول العقلاء وتدهش فيها نفوس الأذكياء وتعجز عن ادراك حقائقها افكار الحكماء ويرجع البصر عنها خاسئا وحسيرا ويرتد الطرف عنها كاسفا وكليلا وأنت جامد لا تتعجب وهامد الجسم تنزل عليك امطار الحكمة فلا تهتز كأنك لم تسمع ولم تبصر ولم تفقه ولك سمع وبصر وقلب . أنظر بعين بصيرتك الى هذه الاجسام السماوية الرفيعة وشدتها وصلابتها وحفظها من التغير والفساد الى ان يبلغ الكتاب أجله فان الارض والهواء والبحار بالاضافة اليها كحلقة ملقاة فى فلاة قال الله تعالى (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون) ثم الى دورانها مختلفا فان بعضها يدور بالنسبة الينا رحوية وبعضها حمائلية وبعضها دولابية وبعضها يدور سريعا وبعضها يدور بطيئا ثم الى دوام حركاتها من غير فتور والى امساكها من غير عمد تعمد بها أو علاقة تدلى بها ثم انظر الى كواكبها

وكثرتها واختلاف ألوانها فان بعضها يميل الى الحمرة وبعضها الى البياض وبعضها الى لون الرصاص ثم الى مسير الشمس فى فلكها مدة سنة وطلوعها وغروبها كل يوم واختلاف الليل والنهار ومعرفة الاوقات وتمييز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ثم الى أمالتها عن وسط السماء حتى وقع الصيف والشتاء والربيع والخريف . وقد اتفق الباحثون على انها مثل الارض آلاف مرة وفى لحظة تسير أكثر من قطر الارض وقد وضح ذلك جبريل عليه السلام عندما ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم هل وجب الظهر يا جبريل فقال لا نعم فقال له صلى الله عليه وسلم ما معناه ماهذا فقال له من وقت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس خمسمائة عام أى مسافة يقطعها المجد فى خمسمائة عام . ثم أنظر الى جرم القمر وكيفية اكتسابه النور من الشمس لينوب عنها بالليل ثم الى امتلائه وامحاقه ثم الى كسوف الشمس وخسوف القمر ومن العجائب السواد الذى فى جرم القمر فانه لم يسمع فيه قول شاف الى زماننا هذا وكذلك فى المجرة وهى البياض الذى يقال له شرج السماء وهو على ذلك يدور بالنسبة الينا رحوية وليست تلك الكواكب المنثورة فى هذا الجو الفسيح ولا حركاتها المنتظمة حصلت باتفاق أو عبثا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل فى كل كوكب من الكواكب الصغيرة فى عين رأسك خواص ومزايا وفوائد لا تحصى ولا تعد بحيث لو اختلفت حركة من حركات دورانها واختلفت عن مركزها لاختل نظام جميع العالم علوا وسفلا فسبحان الحكيم القادر الذى خلق الاشياء مرتبة منظمة وربط أعلاها باسفلها كما قال سبحانه وتعالى (أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شىء حى) فكل الكواكب السماوية مرتبطة بكل العوالم الارضية فما من ذرة من الذرات من مركز الارض الى العرش العظيم الا وهى مرتبطة بكل ذرة أخرى متوقفة عليها بحكمة وتدبير وارادة كما قال سبحانه وتعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) ومع هذه الاطراف المتنائية والاجواء الواسعة ترى الاتصال من كل العوالم علويها وسفليها حاصلا محسوسا فترى كل كائن فاعلا ومنفعلا وكل ذلك بمشيئة الله وقدرته وهو الفاعل المختار لا شريك له كما قال

سبحانه (وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير) فالكل في الكل مسخر كما دبرته الحكمة وابرزته القدرة والله أسأل ان يشهدنا آياته لتطمئن قلوبنا وتسكن اليه سبحانه نفوسنا آمين . ثم انظر الى ما بين السماء والارض من انقضاض الشهب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والامطار والثلوج والرياح المختلفة المهاب وتأمل في السحاب الكثيف المظلم كيف اجتمع في جو صاف لا كدورة فيه وكيف حمل الهواء الماء المجتمع من قطرات صغيرة حتى صارت كالجبال فتلاعب بها وساقها الله الى المواضع التي أراد احياءها فترش وجه الارض وترسله قطرات متفاضلة لا تدرك قطرة منها قطرة ليصيب وجه الارض بلطف ولو صبه الله صبا لأفسد الزرع بخدشه وجه الارض وهدم المنازل ويرسلها سبحانه وتعالى مقدارا كافيا لا كثيرا زائدا على الحاجة فيعفن النبات ولا قليلا ناقصا عن الحاجة فلا يتم به النمو كما قال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) ثم انظر بعد ذلك الى ما ينزله الله تعالى من الامطار على رؤس الجبال وبطون الاودية ثم يجمعه سبحانه فيكون سيلا جارفا تتلاقى فروعه المختلفة ومجاريه المكتنفة للجبال حتى تجتمع في مجرى واحدة فتجرى منه الانهار كالروح السارية باذن الله تعالى في جسم الارض فيحيي الله بها الارض بعد موتها فمنها ما يجرى من الجنوب الى الشمال ومنها ما يجرى من الشمال الى الجنوب بحكمة حكيم قادر وتدبير مريد مقدر وعناية معط وهاب . وانظر الى ما ينتج عن ذلك من الخير العميم للنباتات والحيوانات والانسان وما يسهل به من المواصلات بسير الفلك المواخر فيها لنبتغي فضلا من ربنا سبحانه ولنشكره على نعماه ولنعلم عدد السنين والحساب كما قال سبحانه وتعالى (وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) ثم انظر أيها الاخ بنور فكرك الى اختلاف الرياح فان منها ما يسخره الله تعالى ليحمل السحب ويسوقها الى الارض الميتة ومنها ما ينشرها ومنها ما يجمعها ومنها ما يعصرها ومنها ما يلقح الاشجار ويحمل البذور الى المراعى والاودية باذن الله تعالى ومنها ما يربى الزرع والثمار ومنها ما يجففها ثم انظر الى الارض كيف جعلها الله قرارا لتكون فراشاً ومهاداً ثم الى سعة أكنافها وبعد أقطارها حتى عجز الآدميون عن اكتشاف القطبين للآن مع ما أظهره الله تعالى على أيدى الصناع من عجائب الآلات المسهلة للرحلة

وما من الله به على العقول من استخدام البخار وتيارات الكهرباء والانتفاع بزيت البترول والفحم المتحجر وما أمد الله به الافكار من كشف خواص كثير من الكائنات النافعة لبني الانسان ومع هذه التسهيلات فالانسان عاجز عن علم أطراف الارض المتنائية وهي مسخرة له بما فيها ولا يزال في الكائنات الحية الارضية وفي الجمادات خواص لم ينكشف منها الا النذر اليسير قال الله تعالى (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) فسبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته : اذا كان الانسان المسخر له ما في السموات وما في الارض عاجز عن ادراك الخواص الضرورية له كيف يحيط بالآيات الخفية عنه الا بنور يهبه الله لمن يشاء بعد أن يوفقه للعمل بالقرآن المجيد والسنة المطهرة بعد هذا العجز البين الذي قام عليه برهان العيان كيف يمكن الانسان العاجز أن يحيط علما بواجب الوجود . العلي قدرا عن أن تدركه أبصار البصائر . المنزه قدرا عن أن تحيط به سبحانه الارواح الطاهرة أو النفوس الزكية فسبحان من أعجز العقول عن ادراك حقيقة المعقول من الكون المحسوس وأعجز الارواح عن أن تحوم حوالى عزته وجبروته أو تشرف على علي عظمته وكبريائه وانما العجز عن ادراك حقائق الآيات الظاهرة وسر ابداعها وغريب امدادها برهان على سجود الخيال عن تمثيل هذا الجناب العلي . ودليل على حيرة الالباب عن ادراك القادر الحكيم . وليس الانسان وحده هو الطالب الحائر في عظمة هذا المقام العلي بل كل كائن من عوالم الملكوت الأعلى يطلبون الله كما تطلبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملأ الأعلى ليطلبون الله كما تطلبونه وقال الله تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم انظر أيها المسترشد نظراً ثانياً ترظهر الارض محلا للاحياء وبطنها مقر اللاموات فتراها وهي ميتة كما قال الله تعالى (وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) ثم اظهرت أجناس المعادن وأخرجت أصناف الحيوانات قدرة باهرة وحكمة محيرة للعقول . ثم انظر يا أخي نوّر الله قلبك الى صنع ربك سبحانه في أحكام الجبال الشامخات التي جعلها الله سبحانه وتعالى أوتادا للارض تمنعها من أن تميد ثم تأمل الى اسكان الماء في الارض وايداع أوشال

الماء في خزانات فوق قمم الجبال وجعل الارض ذات مسام فتوصل تلك الاوشال الى الواحات البعيدة عن الانهار التي لم يقدر الله سبحانه وتعالى أن ينزل عليها الامطار حتى اذا وصلت الى تلك البقاع فكانت كعيون تجرى على سطح الارض بقدرة اللطيف الرءوف وحكمة الرزاق الكريم . وقد تجتمع تلك الاوشال في الاماكن المرتفعة وعلى قمم الجبال وتجرى مجتمعة حتى تتكون منها الانهار فسبحان مسخر السحاب ومصرف الرياح ومجرى الانهار . ثم انظر الى خفى الالطاف وجلى الاسعاف تر البحار العظيمة كبحر الروم (البحر الابيض المتوسط) وبحر القلزم (البحر الاحمر) وبحر فارس (الخليج الفارسى) وبحر المانش وغيرها من البحار المتسعة كالمحيط الهندى تراها كخلجان صغيرة للمحيط الاعظم الذى يحيط بالارض الذى يسمى بالمحيط الهادى وبحر الظلمات (المحيط الاطلانطيقى) وترا اليبس كجزيرة في وسط هذا المحيط تتخللها خلجانه وتجرى في جسمها الانهار والعيون وتعلم أن اليبس من الارض جزء صغير بالنسبة للمغمور من ماء المحيط لحكمة غفلت عنها أيها الاخ الراغب فيما عند الله : أشير لك الى شيء من أسرار هذا المحيط الجلية المحسوسة . منها مزج الهواء باجزاء متناسبة من الابخرة المتصاعدة منها ليكون صالحا للتنفس ولولا ذلك لاختنق الاحياء . ومنها حفظ عنصر الماء الزمن المقدر من أن يصير آننا أو نتنا والماء كما علمت سر حياة العوالم الحية وقدر الله تعالى بحكمته وتدبيره أن يجعل منه جزأ صالحا لحياة الانسان والحيوان والنباتات وجعل لذلك أسبابا جلية لعقلك وواضحة لفكرك لاتختل ولا تفتر أحكم ابداعها وأكمل نظامها قدرها بتقديرها نافعة لكل حى وزيادة وما زاد منها عن اللزوم جرى بقدرة الله تعالى وحكمته حتى يرجع الى مصدره ومقره ثم انظر الى ما في تلك البحار والانهار من الكنوز التي أوجدها الله تعالى ذخيرة للانسان قال الله تعالى (وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) فترى فيها من أنواع الحيوانات والجواهر ما لا يحصى عددها الا الله تعالى . فما من صنف من أصناف حيوان البر الا وفي البحر أمثاله وأضعافه وفيها أجناس

لا يعهد لها نظير فى البر . ثم انظر الى خلق اللؤلؤ فى صدفة تحت الماء وأنبات المرجان واليسر فى
صميم الصخر تحت الماء وهو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم الى ماعداه من العنبر
والى أصناف النفائس التى يقذفها البحر وتستخرج منه : ثم الى السفن كيف سيرت فى
البحار وسرعة جريها والى ايجاد الانهار ومعرفة الربان موارد الرياح ومهابها وسواقيها
وعجائب البحار كثيرة لاتحصى : والمؤمن البصير يكفيه قليل الحكمة . ثم التفت عن يمينك
وانظر ما أبدعته القدرة وأحكمته الحكمة من أنواع المعادن المختلفة وأصنافها المتفاوتة التى
أودعها الله سبحانه وتعالى تحت الجبال وجعلها كنوزا للانسان وميز سبحانه وتعالى بين
خواصها وفوائدها والوانها وأشكالها . فمنها ماينطبع كالذهب والفضة والنحاس والحديد
والرصاص والقصدير ومنها مالاينطبع كالفيروزج والياقوت والزبرجد . وانظر بفكرك
الى معادن الارض كالنفط والقير والكبريت وأنواع النطرون والشب والبترول وغيرها
وأقلها الملح الذى لو خلت منه بلد لسرى الفساد الى أهلها وتدبر ما أودعه الله تعالى فى العقول من
معرفة استخراج تلك المعادن وتنقيتها وكشف خواصها حتى انتفع بها الانسان فسبحان
الهادى الموفق . ثم انظر يا أخى الى أنواع النباتات المختلفة الالوان والاشكال والى أنواع
فواكهها المختلفة الطعوم والروائح والالوان والازهار وتامل الى أنها غرست فى أرض
واحدة وسقيت بماء واحد وفكر فى قدرة القادر الحكيم وعجيب صنعة الصانع البديع
وتدبر قوله سبحانه وتعالى (وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع
ونخيل صنوان وغير صنوان تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك
لآيات لقوم يعقلون) فسبحان من أنبت من أرض واحدة نباتا يسقى بماء واحد ويمر به
هواء واحد مختلفا اختلافا بينا كالاختلاف بين العسل والخل والملح والصبر وغير ذلك
من التفاوت ويخرج سبحانه من نواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب ومن حبة بر واحدة سبع
سنابل فى كل سنبلة مائة حبة : هذا ولو تاملت الى أرض البوادى وتشابه أجزائها وفكرت
فى حالتها اذا أنزل الله عليها الامطار فانك تراها قد اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
تنبت أنواعا متشابهة وغير متشابهة اختلفت طبائعها وكثرت منافعها فمن ورقة تنبت

من الارض الا وفيها منفعة أو منافع لا تحصى يقف فهم البشر دون أدراكها : ثم انظر أمامك الى ما أنعم الله به عليك من أصناف الحيوانات وانقسامها الى ما يطير و يقوم و يمشي على بطنه أو على رجلين أو على أربع وما يعيش في الهواء وما يعيش في الماء وما يعيش في جوف الارض وما يعيش في الاودية والصحارى والغابات وما يعيش في النار كالسمندل وتعجب في أشكالها وألوانها وصورها وأخلاقها وأفعالها تر عجائب تحير العقول وأعمالا تندهش منها الالباب من تشييد المساكن وادخار المأكل وتنظيم المعيشة وأعداد العدة للطوارئ والحيلة لدفع الاعداء والسياسة العجيبة في جلب ما لابد منه . ولو نظرت الى أقل حيوان كالبقة أو النملة أو النحلة وتتبعت أعمالها لحكمت ان الانسان في حاجة الى تلقي دروس من تلك الحيوانات الصغيرة وكيف لا ولو نظرت الى بناء النحلة بيتها وجمعها الغذاء وادخارها القوت للشتاء وحذقها في هندستها وتطرت الى العنكبوت في نصبها الشبكة للصيد وتفننها في الحيلة لذلك لتحققت أنه ما من حيوان صغير ولا كبير الا وفيه من الاسرار والحكم والخواص ما به يتحقق المؤمن بعجائب قدرة الله سبحانه وتعالى وغرائب حكمته وكأن كأنه في معية الله تعالى لا يغيب عنها وشهد بعين بصيرته سر قوله سبحانه (الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين) وشهد لطف اللطيف بكل خلقه حيث منح كل حيوان صغيرا كان أو كبيرا ما به يحفظ حياته و يجلب غذاءه و يدفع عن نفسه شر العدو والحر والبرد . وانظر أيها الاخ الحاضر القلب الى ما حولك من النباتات التي جعل الله سبحانه ثمارها غذاء لك وأوراقها وأغصانها غذاء لحيواناتك وسوقها تستعملها في مساكنك وآلاتك اللازمة لك وخزن لك فيها سبحانه حرارة الشمس التي تشع على الافق لتستعملها عند حاجتك لها فتكون لك نارا تنضج بها خبزك وأدمك وتدفع بها عن نفسك قر البرد وتدير بها حركة آلاتك البخارية : تفكر في قوله تعالى (أفرأيتم النار التي تورون أأنتم انشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) ثم تناول شراب التوحيد ورحيق الالطاف الالهية من قوله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم) : خلق الله النباتات وسطا بين أنواع المعادن وأنواع الحيوان فجعله

سبحانه أ كمل من المعادن ودون الحيوان فهو يزيد عن المعادن بالغذاء والنمو وينقص عن الحيوان بالحس والحركة واللطيف الخبير لم يهب له موهبة الحس رحمة به ورأفة عليه لان الله رءوف لطيف رحيم وذلك لان النباتات تصادمها الاجسام الصلبة ويقطع منها الانسان الفروع والاغصان فى كل حين وقد يقطع الشجر قطعا قطعا فلو وهب الله لها الحس لكان ذلك تعذيبا لها فسبحان اللطيف الرءوف بخلقه غمر كل نوع من مخلوقاته برحمته فكما وسع الملائكة والانس والجن برحمته وسع الحيوانات والنباتات والمعادن بما قال الله تعالى (ورحمتى وسعت كل شئ) ولم يهبها الحركة لحكمة ولطف : أما الحكمة فلان الاشجار لو تحركت لافسدت صغار النباتات بالمساكن ولطفه بها سبحانه وتعالى أنها لو وهبت الحركة لاضر ذلك بها فسبحان اللطيف الخبير . وانظر يا أخى الى الحب والنوى اذا وضعتهما فى الارض الندية وأصابهما حر الشمس انشقا بقدرة الله تعالى وامتصا الاجزاء الصالحة من الارض ومن الماء وتراكمت تلك الاجزاء عليهما بحكمة الله وتدبيره وقدرته وصار لها عروق وقضبان وأوراق وأزهار وأصبح شجرا عظيما ذا ساق وأغصان وفروع وثمر فسبحان الخلاق العظيم ما أعظم شانه وأوضح برهانه : وأعجب من ذلك اختلاف روائحها فترى بعض الاشجار لها رائحة زكية وبعضها لها أزهار لا رائحة لها وبعضها تكون أزهارها وأوراقها طيبة الرائحة وبعضها يكون جسمها طيب الرائحة وبعضها تكون لا رائحة لها فاذا احترقت فاح شذا عرفها وبعض النباتات تؤكل كلها وبعضها تؤكل أوراقها وبعضها تؤكل ثمارها وفاكهتها مع كثرة اختلاف اللون والطعم والشكل ومامن ورقة من أوراق الاشجار الا وهى تخالف الاخرى فلا ترى نوعا من أنواع النباتات يشابه الآخر . وانظر الى أبداع شكل الازهار المختلفة مما تتحير الالباب فيه من قدرة القادر الذى أحكم هذا الصنع البديع فهى بهجة للابصار وطيب لعضو الشم ولذة لعضو اللمس ولعضو الذوق وشراب وغذاء ومشهد لاولى الآيات ومظهر لاسرار التجليات لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وهنا اشارة بديعة تشير الى ان الانسان شجرة الرب وان النباتات شجر الانسان ولذلك فانك ترى يا أخى الانسان رأسه فى العلو وأغصانه

مدلاة على الارض فهو يتغذى و ينمو و باب الغذاء عند رأسه والاعضاء الباحثة عن جودة الغذاء وطيبه عند رأسه فالانف يشم الطعام قبل ادخاله فى الفم ثم ياذن بقبوله والعين تنظر اليه قبل ادخاله ثم تحكم بجودته واللسان يذوقه قبل بلعه ثم يرى صلاحيته فيرسله الى المعدة والاسنان تهضمه الهضم الاول وكذلك النبات فان رأسه فى جوف الارض وله عروق شعرية كاشفة وعروق نباتية ماصة فاذا وجدت الرطوبة دنت فمصت واذا وجدت اليبوسة انكمشت وتحولت وكما ان الانسان يمرض بترك الاكل او بفقده فكذلك النباتات تذبل بفقد الغذاء فالراغب فى نيل مشاهدة الله تنكشف له تلك الآيات فتجلى له معانى التجليات قال الله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) ولو كتبنا ما يفهمه انواع الناس فى زهرة واحدة لما وسع ذلك مجلدات ضخام اورد لك نموذجا من ذلك : لو ان عالما كيماويا اخذ زهرة وحللها وكشف ما فيها من انواع المعادن والغازات المختلفة والجواهر ذات الرائحة الطيبة وعضو التذكورة والانوثة فيها ثم بين خواص كل نوع منفردا وخواصها مجتمعة وجاء الطبيب فبين لنا ما تزيله من الامراض وما تفيده من تنبه القوة وما يحصل منها من الضرر اذا لم تستعمل بحكمة وتأثيرها على الاجسام الحيوانية وعلى المعادن وجاء الشاعر العبقرى والناثر البليغ فوصفها بالعبارة وصفا يمثلها بالخيال بأكمل حقيقتها وجاء المصور فرسمها رسما نظريا وجاء الفيلسوف فشرح لنا قواها القابضة وما فيها من الرطوبات وأبان لنا عن توسط عناصرها وامتزاجها وعما فيها من قوة الادراك التى تتحول بها الى الشمس شرقا وغربا والخواص التى بها هذا التجاذب الغريب ثم جاء الحكيم العارف بالله تعالى فابان لنا اسرار عجائب قدرة الله وشرح لنا الآيات الظاهرة فيها بعباراته الروحانية واشاراته القدسية لما وسع ذلك مجلدات وهذا فى زهرة صغيرة ورب عاد دخل الانسان روضة فتحت ازهارها وتناجت اطيارها وتمايلت اغصانها وجرى الماء تحتها فى اخاديد كانه سبائك الفضة يجرى فى جداول من مسك فلا يلتفت لفتة متدبر ولا ينظر نظر مستبصر ولا يصغى لتسبيح تلك الازهار لمبدعها الحكيم القادر لغفلة قلبه وعمى بصيرته فسبحان الظاهر الذى لا يحتجب عن الافكار لظهور آياته . الباطن الذى لا تدركه الابصار علوا وعظمة وكبرياء وهو اللطيف الخبير

﴿ أقسام النباتات ﴾

اعلم يا أخي منّ الله عليك بنور الفكرة حتى تشهد آياته الظاهرة في السموات والارض انى لم أجعل هذا المختصر لاشرح فيه جمل علم النباتات بل لالمع فيه ما ينبه فكرك لتلك الاسرار الخفية عن الغافلين المحجوبة عن الجاهلين ولتتمم الفائدة المقصودة من كتابي هذا اشرح لك ما لا بد منه مما يضر جهله بالمفكر السالك في طريق الله تعالى العامل بكتاب الله تعالى فان القرآن المجيد حثنا على الفكر في كل ذلك وشنع سبحانه في كتابه على الذين لا يعقلون ولا يتفكرون ولا يتدبرون ولا يستبصرون ولا يتوسمون ولا يفقهون ولا يسمعون ولا يبصرون أعاذني الله واياك أيها الاخ الفاضل من ان نكون محلا لتشنيع الله وأهلا لما يوجب سخطه وجعلني الله واياك واخوتي المؤمنين ممن اثنى الله تعالى عليهم ومدحهم وبشرهم آمين . اذا تقرر هذا فاقول لك وبالله التوفيق . النبات قسمان شجر ونجم . وفي كل قسم من الخواص النافعة والاسرار الغامضة ما ثبتت بالحجة على الوحدانية وظهرت به محجة الفكر للسير الى حضرة القرب ولكن لاولي الالباب . فالاشجار ما له ساق . والنجم ما لا ساق له والاشجار العظام كالحيوانات العظام والنجوم كالحيوانات الصغار وترى الاشجار العظيمة جدا لا ثمر لها كشجر الساج والداب والعرعر لان القادر الحكيم خلقها لينتفع الانسان بخشبها فقدر سبحانه وتعالى أن تصرف جميع المادة الى نفس الشجر وجعل مادة الاشجار المثمرة ينصرف بعضها للثمار وبعضها للشجر كما ترى في الغالب حال الذكور والاناث في الحيوان فان الذكر اعظم بدنا من الاناث للحكمة التي قدرها الله تعالى بان جعل الانثى محلا للحمل والوضع فتتجزأ المادة الى غذاء الجنين وغذاء أمه . أنظر الى حكمة الله تعالى في خلق الاوراق كيف جعلها سبحانه زينة للاشجار ورفعها عن الثمار لتقيها حر الشمس وتدفع عنها قر البرد وفرق بين الاوراق لتتغذى الثمار من حرارة الشمس ومن رطوبة الهواء بحكمة حكيم قادر فليست متكاثفة على الثمار فتحجب عنها مادة غذائها ولا بعيدة عنها فتفسدها شدة الحرارة والرطوبة ولو حصل

ذلك لما تم نضجها فاذا نمت الثمرة وصلحت تناثرت الاوراق حتى لا تضعف الشجرة بامتصاص مائيتها كما ترى في الحيوان اذا اكملت الام رضاع ابنها ابعدته عنها فسبحان من ألهم النبات وعلم الانسان مالم يعلم ومن أراد تفصيل تلك الانواع وفائدة خواص كل نوع فليطالع كتب المفردات لابن البيطار أو التذكرة لداود أو القانون لابن سينا أو غيرها من الكتب فان مختصرنا هذا وضع ليقظة القلوب من الغفلة وتنبيه العقول من نومة الجهالة وبيان الواجب على الانسان لمولاه تعالى

(النظر الى مافي الحيوانات من الخواص والآيات)

أنظر الى ما لا بد لك منه مما لا يخلو منه منزل انسان من الحيوانات الداجنة التي جعلها الله ليتغذى الانسان ببيضها ولحومها وغيرها مما جعله الله للانسان يتغذى بألبانها ولحومها وينتفع باصوافها وظهورها وأوبارها وأشعارها . يسر الله لها الغذاء فتخرج صباحا الى مراعيها وتعود اليك في المساء وقد خزن الله لك الالبان في ضرعها وبارك لك فيما تحمله في بطونها فكلها نافعة لك ومنها ما خلقه الله لتركبه وزينة لك . ولما كان قصدنا في هذا المختصر بيان الآيات الظاهرة الجلية وما بين كل مرتبة من مراتب الوجود وبين بقية المراتب من الاتصال ليكون ذلك نبراسا الفكرك تهتدي به في آيات مبدع السموات والارض . واعلم يا أخي آنسك الله بشهود آياته الكونية وفقه آياته القرآنية ان الحيوان وسط بين الانسان والنبات فهو بالنسبة لغذائه ونموه أشبه النباتات وهو بالنسبة لانه يحس ويتحرك أشبه الانسان فتراه زاد عن النباتات بالحس والحركة ونقص عن الانسان لانه لم يهب له الوهاب النفس الناطقة لحكمة أكشف لك ظاهرها على قدر ما يدرك عقل المريد المسترشد ووهب له الحس والحركة رحمة منه وفضلا وهذه القوى من الله سبحانه وتعالى بها على جميع افراد الحيوان حتى على أنواع البعوض التي لا ترى بالعين المجردة بل ولا ترى بالنظارات المعظمة

وقد شد وهدان قطرة ماء آسن نظر اليها بنظارة معظمة فوجد فيها من أنواع الحيوانات المختلفة الالوان والاشكال مالا يحصى عدده ونظر في جو متمدن الى جزء من الهواء بتلك النظارة بعينها فوجد فيه من أنواع الطيور المختلفة مالا يحصى عدده ووراء ذلك مالا يمكن ان يشهد بالنظارة لصغر حجمه ودقته وفي كل حيوان من تلك الحيوانات عيون تبصر بها وآذان تسمع بها وأرجل وأجنحة ورأس وقلب وامعاء قال الله سبحانه وتعالى (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) صريح هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى يضرب الامثال ولو باصغر حيوان لا تراه العين المجردة ولا يرى بالنظارة المعظمة فيكون غيبا يصدق به الذين يؤمنون بالغيب وينكره الكافرون وقال بعضهم

يا من يرى مدّ البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحّل

اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الاوّل

وبالجملة ففي كل حيوان لا يشهد بالنظارة المعظمة من الاعضاء ما في أكبر حيوان فسبحان القادر الحكيم الذي لا تحصى آياته ولا تستقصى أسراره . هذا وفي كل حيوان من تلك الحيوانات فوائد ومنافع وخواص أو مضار بحسب تدبير الحكمة الالهية وتدبير المشيئة الربانية

﴿ حكمة الحس والحركة للحيوان ﴾

أذكر لك أيها الاخ البار حكمة الحس والحركة اللتين وهبهما الله تعالى للحيوان . اعلم ان الله تعالى لما قضى لكل حيوان أمدا معلوما وأبدان الحيوان متعرضة للآفات المفسدة لها والمهلكة اياها اقتضت الحكمة الالهية ان تهب لها القوة الحساسة لتشعر بواسطتها بالمنافي فتدفعه عن نفسها اذا احست بالم فلولا هذه القوة لما احس الحيوان بالجوع الى ان يموت بغتة فجأة من عدم الغذاء ولكان اذا نام فاصاب يده أو رجله نار لم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فاذا هو بلا يد ولا رجل . وأما الحركة فان الحيوان لما كان محتاجا الى الغذاء ولم يكن غذاؤه يحفه

في جميع الاوقات اقتضت الحكمة الالهية آلات الحركة ليتحرك بها الى الغذاء ولولا القوة لاحتاج الحيوان الى الغذاء ولم يقدر على المشي اليه لقات جوعا كشجرة لا تجد الماء حتى تجف ولكان اذا أصابه آفة من حرق بقي على مكانه حتى يدركه الغرق أو الحرق . ولما كانت الحيوانات بعضها عدو لبعض اقتضت الحكمة الالهية لكل حيوان آلة يحفظ بها نفسه من عدوه فمنها ما يدفع العدو بالقوة والمقاومة كالفيل والاسد . والجاموس ومنها ما يسلم من عدوه بالفرار فاعطى آلة الفرار كالظباء والارانب والطيور . ومنها ما يحفظ نفسه بسلاح كالقنفذ والشيهم والسلحفاة وما يحفظ نفسه بحصن كالفار والحية والهوام . ومقتضى الحكمة الالهية ان الله تعالى خلق لكل حيوان من الاعضاء ما يتوقف عليه بقاء ذاته ونوعه لا زائدا ولا ناقصا ولذلك اختلفت أشكالها وأعضاؤها وتنوعت أنواعها بانواع كثيرة . روى عن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (ان الله تعالى خلق في الارض ألف أمة ستمائة منها في البحر وأربعمائة منها في البر) ومن أراد ان يرى بعض الانواع التي تحيط به من الحيوانات فليوقد نارا في وسط غيضة بالليل ثم ينظر ما يغشى تلك النار من أنواع الحيوانات فانه يرى صورا عجيبة وأشكالا غريبة لم يكن يظن ان الله تعالى يخلق شيئا منها في العالم . على ان الذي يغشى تلك النار يختلف باختلاف المواضع من الغياض والجبال والبحار والصحارى فان سكان كل بقعة تخالف سكان غيرها وما يعلم جنود ربك الا هو فسبحانه ما اعظم شأنه وأعز سلطانه وأوضح برهانه لا اله الا هو سبحانه فاذا نظرت يا أخي الى هذا الفضل الواسع ونظرت الى ما فيه من آثار رحمة ربك سبحانه وتأملت فوجدت طبقات الارض لا تخلو من الحيوان وفسيح الاجواء لا يخلو من الحيوان واعماق البحار عامرة بالحيوان بل والغابات والاودية وقمم الجبال بل وأجواف النيران لا تخلو من الحيوان و بطون الصخور وأدركت الحكمة في ابداع تلك الكائنات وكيف رفع السماء وخلق الابل وكيف نصبت الجبال وكيف بسط الارض وشاهدت الاتصال بين مراتب الوجود علمت كيف تتقرب الى واجب الوجود ومقتضى تلك النعمة على كل موجود وعرفت قدر نفسك بالنسبة لجنابه العلي فسبحته بلسانك وقلبك وشكرته بجوارحك وأعضائك وتحققت العجز عن ادراك

حقيقته وابتغيت الوسيلة اليه وفوضت جميع أمورك اليه متوكلا عليه سبحانه وفررت منك ومن كل من سواه حتى تصل الى مقام القرب وتفوز بحقيقة الحب قال الله تعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وخوفا عليك أيها الاخ من الملل اقتصر على ما بينت لك مما ينبه فكرك و يقظ قلبك و يلفتك الى معادك وما تعرف به ان الله تعالى سخر لك ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه فتخلص له العبادة كما قال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون) فان دعاك داعى العلم الى تحصيل أسرار الكائنات وعلم ما خفى فى تلك الآثار فجاهد نفسك وزكها واعمل بما علمت يورثك الله علم ما لم تعلم ولا تطمع يا أخى ان ينكشف لك سر فوق مدرك فكرك وعقلك الا بجهاد أكبر فى ذات الله وعمل فى سنة ماضية على صراط مستقيم لا فى بدعة محدثة وطريق معوج ولديها تظهر لك خفيات الاسرار من تعلق سر القيوم بكل شئ وشروق أنوار القادر فى كل شئ وانبلاج أنوار الحكيم فيك وفى الآفاق ثم ترفع ستارة الوهم عن الخيال و يزول حجاب التقييد عن الاطلاق وتظهر لك حقيقة قوله تعالى (سخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه) بعلمك سر التسخير وحكمة التدبير فتكون لك ما تشاء عند ربك ويكون ربك سبحانه وتعالى اقرب اليك من حبل وريدك بل واقرب اليك من كل محيط بك ومشهود لك يستجيب لك لاستجابتك له و يواجهك بمواجهتك له و يقبل عليك باقبالك عليه سبحانه وكل ذلك فضل منه سابق . قدر ذلك أزلا وامدك بالمعونة والتوفيق حتى صرت انسانا كاملا أو صديقا . وقد ألمعت اليك يا أخى فى الكتب السالفة بشئ من مجاهدة النفس فى الذكر والفكر و بينت لك الطريق المستقيم وشرحت لك المقامات والاحوال فيما كتبته لك أيها الاخ من الكتب الجامعة لمقامات الائمة واحوالهم وعباراتهم واشاراتهم وفقنى الله واياك لما به نجاة أنفسنا مما يوبقها ومن الله على وعليك بالعمل بالكتاب والسنة وعلمنى الله واياك علم ما لم نعلم انه مجيب الدعاء

﴿ النظر فى الانسان ﴾

أفعمت الدفاتر بشرح خواص الانسان فلم يبق طبيب ماهر الا وشرح حقيقة جسمه وبين أسرارها وفصل أعضاءه وبين وظائفها وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها لها أن فقدت فما من مفصل من المفاصل ولا وريد ولا شريان ولا عضو من الاعضاء العاملة الا واختص به طبيب ماهر حتى صار للسن طبيب خاص وللجلد كذلك فلم يبق فيلسوف الا وجعل الانسان كعبة بحثه وأظهر غوامض أسراره وقام علماء النفس فبينوا أنواع النفوس وما يحفظ عليها صحتها وما يعيدها عليها ان فقدت وقسموا فضائل النفس ورذائلها وما به ترقى الى منازل كمالاتها حتى يكون الانسان انسانا حقيقيا بمعناه • وكل تلك العلوم مأخوذة من القرآن الشريف لان الله سبحانه وتعالى بينها بصريح العبارة حيث جعل الانسان خليفة لجنابه العلى وصورة مذكرة لحضرته العلية ومخلوقا منحه القوة على أن يتحمل الامانة وجعله سبحانه وتعالى أن زكى نفسه وطهرها ووفى بعهده وعمل بما أمره يجلس يوم القيامة على كرسى من نور حول العرش فى جوار ربه جلت قدرته وتنزهت ذاته وأن ظلم نفسه وخالف أمر ربه وجحد نعمة المنعم هوى فى هاوية البعد ولظى القطيعة وأليم العذاب ولما كان هذا المختصر وضع ليقظة القلوب أحببت أن أتكلم على الانسان بما يناسب هذا المقصد

﴿ الانسان ﴾

الانسان هو النوع الوسط بين الملائكة والحيوانات فهو بالنسبة لغذائه ونموه وحسه وحركته حيوان • وبالنسبة لادراكه وقوة تصديقه بالغيب وتخيله الغائب بالمشهود ورقيه فى مراتب العلو حتى يدرك ما وراء المادة ويبلغ درجة ان يأنس بالمفارق ملك مقرب هذا هو الانسان • فالانسان حان الشراب للسالكين ودنان الراح للواصلين والشراب الطهور للعارفين ظهر مبناه وغاب معناه • وأن الانسان بمعناه لا بمبناه • وكم من وحش كاسر وشيطان ماكر وخنزير سفاد فى صورة انسان • وكم من ملك روحانى وكروبى هائم فى جلال ربه وعال آنس بعمية

مولاه في صورة انسان فمن وقف عند الصورة وحكم عليه قال حيوان . ومن نظر بعين البصيرة اليه قال مخلوق تخدمه الملائكة و ولى تولاه الله ومحبوب قربه الله وانسان سخر الله له ما في السموات وما في الارض جميعا منه . الانسان صوّره الله بيده طينة صلصالية ونفخ فيه من روحه القدسية وأسجد له ملائكته فقربهم بسجوده وعلمهم وأبى السجود له ابليس فأقصاه وأبعده اتركه السجود للانسان . الانسان قرّب الله به من قرب وأبعد به من أبعد . الانسان صوره الله وهو مني في رحم أمه فهو المصور له أولا والمصور لكل انسان ثانيا قال الله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وقال سبحانه وتعالى (هو الذى يصوركم في الارحام كيف يشاء) الانسان جمع الله فيه الضدين وأقامه حجة على عجز العقول عن اكتناه الغيب . جمع فيه بين العناصر المختلفة حقائقها المادية و بين الروح المجردة الكاملة النورانية وألهمت الروح العناصر وهي مفارقة لها فسبحان القادر الذى لا يعجزه شيء . الانسان مركب من النفس والبدن وهو الوسط وخير الامور الوسط ولذلك كان أهل القرآن خير بني الانسان لانهم أمة وسط . ركبه الله في أحسن صورة روحا وبدنا . وميزه بالنطق والعقل سرا وعلنا . زين ظاهره بالحواس والحظ الأوفى وجعل باطنه بما هو أشرف وأقوى . ومنحه الذكر والفكر والحفظ . فالانسان مملكة عظيمة . وعالم صغير النفس سلطان المملكة والعقل وزيرها والقوى جنودها والحس المشترك صاحب بريدها والاعضاء خدمها والبدن كله محل المملكة والحواس يسافرون في جميع الاوقات في عالمها وتلتقط الاخبار الموافقة والمخالفة تعرضها على الحس المشترك الذى هو واسطة بين النفس والحواس لانه بواب المملكة وهو يعرضها على القوة العقلية لتختار ما يوافق وتطرح ما يخالف فسبحان من جعل هذا الجسم الصغير عالما تنطوي فيه العوالم . اذا تحققت هذا يا أخي وعلمت أن الانسان جهات شتى جهة يكون فيها مقرب من الله آنس بشهود جماله سبحانه وتعالى وجهة يكون بها في روضات الجنات وجهة يكون بها في أسفل سافلين مع مردة الجنة والشياطين ونظرت بعين بصيرتك فيما انطوى في هذا الجسم الصغير من الاسرار والحكم ثم جاهدت نفسك أن تنكشف لك أسرار النفس وكيف تعلقها بالبدن أمتصلة هي أم منفصلة وهل هي

جوهر أم لا وأين مكانها منه ان كانت متصلة وظهر لك من غرائب أسرارها انها ليست جوهرا ولا عرضا ولا محل لها في الجسم وأنها تعلقت به تعلق تدبير فانك اذا رأيت أنها تقبل صور الكائنات كلها معقولها وغير معقولها ماديها ومجردها وتحفظ ذلك ولا يمحى بقبول غيره ظهر لك أنها ليست جوهرا وليست عرضا لان العرض لا يقوم بغيره ثم تدبرت أفعالها الخاصة بها حكمت على نفسك بالعجز عن ادراك حقيقتها سر قوله تعالى (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا) عند ذلك تحققت بعجزك عن ادراك ربك سبحانه لانك عجزت عن علم حقيقة مخلوق من مخلوقاته فكيف تحيط علما بالخالق تنزه وتعالى عن أن تدركه الابصار أو تحوم حوالى عزته وعظمته الارواح الطاهرة والنفوس الزكية • اذا صرف الانسان همته يا أخي الى جهة من تلك الجهات المتقدمة لا لتحق بها • فان وقف همه على حظوظ البهيمية رضي من أمر دنياه بالتغذي وتنقية الفضلات وان صرفها الى الحيوانية كان اما غضوبا كسبع أو أكولا كبقر أو شرها كخنزير أو جرعا ككلب أو حقودا كجمل أو متكبرا كنمر أو ذا روغان كثعلب أو جامعا لكل تلك الصفات فيكون شيطانا مريدا وهو في صورة انسان • فلا تغتر يا أخي بالصورة فكم من انسان جميل الصورة ذي هيئة وبذة ومال يعظمه الناس ويكون يوم القيامة أقل من الذر • وأن صرف همته الى الجهة الملكية يكن متوجها الى العالم الاعلى ولا يرضى بالمنزل الاسفل والمربع الادنى فيكون مرادا بقوله عز وجل (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) والله الموفق . وبذلك فضّل كثير من العلماء الانسان الكامل على الملائكة وذلك لان الملك روح مجردة والانسان دائم الجهاد لم يخلص من مقتضيات عناصره ودعوات حظوظه وشهواته مما الاخلاص منه الا بشق الانفس قال الله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما) فانت ايها الاخ الراغب فيما عند الله تبلغ بجهادك الاكبر درجة تكون بها أفضل من الملائكة لانك مجاهد وهم ليسوا بمجاهدين

﴿ الفكر فى نفس الانسان ﴾

تقدم الكلام على النفس فى (معارج المقربين) وشرحنا فيه جملا تتعلق بالنفس الناطقة الملكية وألمعنا الى شيء من أفعالها الخاصة بها اجمالا ترغيبا لطالب المزيد وتعليما للمسترشد نكتفى به عن اعادته فى هذا المختصر لان القصد فيه يقظة القلوب من نوم الغفلة وشحذ الفكر ليجول هذا العالم الفسيح جولة يرجع منها بقبس الانوار التى تبين له ما هجره وتزكو بها نفسه ويكون بها ممن أثنى الله تعالى عليهم بقوله (أن فى ذلك لآيات لاولى الالباب) وقوله تعالى (أن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وغيرهما من الآيات التى مدح بها المتفكرين فى آياته وشكرهم وأثنى عليهم وحيث أن المقصود البحث عن النفس بحثا يؤدى الى الفكر فالواجب على أن أتكلم على أنواع النفوس وعلى أفعالها الخاصة بها وأبين هل يمكن أن تكون نفسا واحدة مسارعة الى جناب القدس الاعلى مقبلة على الله سبحانه أولا —

اعلم أن النفوس سبعة أنواع نفس جمادية ونفس معدنية ونفس نباتية ونفس حيوانية ونفس انسانية وروح قدسية وبحثنا هنا فى الانواع التى تكون فى الانسان . اعلم أيها الاخ المسارع الى مغفرة ربك الراغب أن تفوز بالنعيم المقيم فى جنات عرضها السموات والارض كما قال الله تعالى (وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) أن الانسان أول ما يخرجه الله تعالى من بطن أمه يكون مجردا عن قوى النفوس كما قال سبحانه وتعالى (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون) فاول ما يجعل الله من قوى النفوس القوى الغاذية التى بها يتغذى لانه كان فى بطن أمه كالنبات يتغذى بالامتصاص وليس ذلك يمنع من أن يكون متجملا بقوتى الحس والحركة ثم يجعل الله له قوى الحس بانواعها فيحس بها الملموس مثل الحرارة والبرودة والطعوم والروائح والاصوات والالوان والمبصرات ويجعل له قوة الميل فى قلبه فيشتاق الى ما يحبه أو يكرهه ثم يجعل له سبحانه قوة أخرى هى القوة المتخيلة يحفظ بها ما رسم فى نفسه من المحسوسات بعد غيبتها عن مشاهدة هذه الحواس لها وهذه القوة المتخيلة

تركب المحسوسات بعضها على بعض وتفصل بعضها عن بعض تركيبا وتفصيلا مختلفا بعضه كاذب وبعضه صادق ويجعل الله له فى قلبه قوة ميل الى ما تخيل أو عنه ثم بعد ذلك يجعل الله تعالى فيه القوة الناطقة التى هى النفس الانسانية الحقيقية الخاصة للانسان المميزة له عن بقية أنواع الحيوانات وهى التى يمكن أن يعقل بها المعقولات ويميز بين الجميل والقبيح وبها يحوز العلوم والصناعات ثم يمده الله سبحانه بقوة فى قلبه يميل بها الى ما يعقله ويشتاق الى أن يعمل بالحكمة وأسرارها ولكل نوع من تلك القوى أعضاء منها رئيس ومنها مرؤس مسخرة بقدرة الله تعالى وحكمته ولسنا فى حاجة الى تفصيلها وان كان المريد الصادق يجب أن يشهد الآيات الظاهرة فى نفسه الدالة على حكمة الحكيم القادر وتدبير الصانع المبدع ليكون ذلك أدعى الى كمال معرفته واخلاصه فى العبادة لربه سبحانه وصرف جميع أوقاته فى الاشتغال بشكره سبحانه فاشير الى ذلك بالماع خفيف : اعلم يا أخى أن القلب ملك المدينة برأس ولا يرأس وتحته رؤساء أتباع له فالقوة الغاذية رئيسها فى الهم وخدمها متفرقة فى سائر الاعضاء مثل المعدة والكبد والطحال والامعاء والمثانة التى تخدم الكلية والكلية التى تخدم الكبد والكبد الذى يخدم القلب وعلى هذا تتركب القوة الغاذية . والقوة الحاسة رئيسها القلب وخدمها الحواس الخمس المشهودة عند الجميع المتفرقة قواها فى العينين وفى الاذنين وفى الانف وفى اللسان وفى الراحتين وكل عضو من هذه الخمس يدرك ما يخصه فكأنها أصحاب أخبار موكل كل عضو منها باخبار ناحية من نواحى المملكة : والقوى المتخيلة محلها القلب ليس لها خدم وهى حاكمة على المحسوسات تفرد بعضها عن بعض وتركب بعضها الى بعض بحالة قد تكون موافقة للمحسوس أو مخالفة له : وأما القوة الناطقة فهى الرئيسة على الكل لا يرأسها شىء :

وأما قوة الميل الى الشىء أو عنه التى تسمى بالنزوع وهى القوة التى تشتاق الى الشىء أو تكرهه وبها تكون الارادة فان الارادة ميل الى ما أدركته أو عنه وهذه القوة لها خدم فانها تتلقى نتائج أفعالها الخاصة أما بالحس أو بالتخيل أو بالقوة الناطقة وتحكم فيه بانه ينبغى أن يؤخذ أو يترك والميل قد يكون الى علم أو عمل أو ترك والعمل أما بالبدن جميعه وأما بعضو منه فالميل الحقيقى يكون بالقوة النزوعية لان محلها القلب والاعمال بالبدن تكون بقوى منبثة فى جميع

أعضاء البدن من القوى الرئيسة فسبحان من حير الالباب وأدهش العقول بما أبدعه بقدرته وحكمته ونظمه بارادته وتدبيره (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) : ولو أني فصلت لك يا أخي كيف ينزل الطعام في المعدة ثم تتولى خدمته القوى المنبثة فيها من القادر الحكيم وبينت لك انه سبحانه جعل في المعدة أنهارا من عسل يصب على ما تأكله من الاملاح مزاجا مناسبا وأنهارا من خل وأخرى من ماء ملح وأخرى من ماء حريف وأخرى من ماء مر ليعتدل غذاؤك في معدتك وتلك الانهار تجرى من غدد تصب عند اللزوم بحكمة وتدبير المقدار المطلوب بميزان وتدقيق بحيث لو نقصت نقطة أو زادت اختل توازن الامزجة وحصل المرض للجسم : ولو علمت أن الله سبحانه وتعالى جعل للمعدة حركة لا تفتر سواء كنت نائما أو متحركا يصير بها الغذاء قطعة واحدة ولونا واحدا وطعما واحدا ليسهل الامتصاص والانحدار وعلمت كيف جعل الله بين المعدة وبين الامعاء من الصمام الذي يفتح عند اللزوم ويقفل عند اللزوم فلا يفتح الا بعد تمام هضم المعدة واشتياق الامعاء بعد فراغها الى الطعام لتحققت أن الله جعل ملائكته تتولى هذا العمل النافع بتدبير وترتيب ونظام ولا لوم على أن قلت ملائكة فان الملك هو قوة مسخرة باذن الله تعالى (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) وهذا النظام العجيب والترتيب الغريب لا يكون اتفاقا تعالى الله عما يصفه الواصفون وهذا نذر يسير من الآيات المتعلقة بالمعدة فكيف لو ألممت اليك فافعال الامعاء ومسامها الشعرية التي تمتص الصالح من الغذاء عند انحداره من المعدة الى الامعاء وعلمت أن الامعاء منها ماهو طولك ثمان عشرة مرة ومنها ماهو طولك اثنتا عشرة مرة وان الطعام يمر في كل جزء منها ويمتص منه في كل جزء من تلك الاجزاء مواد تغاير الاخرى وما يمتص تقوم الكلية فتمتص منه المائية فتنقيه من الماء ويقوم الطحال فينقيه من الكدر وما صفا منه يذهب بقوة الله تعالى الى الكبد فيطبخه طبخا جيدا ويصبغه بالحمرة ثم ينتقل الى القلب وهناك يطهره الله تعالى بالتنفس بواسطة الرئتين ثم يصرفه الله سبحانه وتعالى من القلب الى جميع الاعضاء بحكمة وتدبير وقوة مدبر فيصرف الى العين ما يناسبها من الغذاء وما يصلح الحدقة والى الاذن كذلك والى الانف والى بقية

الاعضاء عقاديرمتناسبة بحيث لو كان اتفاقا وتحول ما يغذى الفخذ الى العين لاصبحت العين ناتئة مفسدة بقوتها مشوهة للوجه وأصبح الفخذ كخلاف الزهرة فسبحان الحكيم القادر العليم . تنبه أيها الاخ فما خلقت عبثا الا انك حملت الامانة وما خلقت لتكون ترابا لا انك خلقت لتكون أبدى الوجود فلا تنظر الى آيات ربك وحكمه نظرة الغافل اللاهى الذى لاهمّ له إلا شهوة بطنه وفرجه أو أهل الغواية الذين يجمعون الاموال لكبت الاعداء واساءة الحساد والعلو فى الارض بغير الحق أو أهل الضلالة المترفين الذين يعتقدون أن هذه الدار لادار بعدها

﴿ آلات العلم ﴾

واعلم يا أخى أن علم الشىء قد يكون بالنفس الناطقة وقد يكون بالمتخيلة وقد يكون بالاحساس فاذا كنت أيها الاخ ملت الى تحصيل علم للنفس الناطقة فان ذلك العلم لا يمكنك أن تحصل عليه الا بقوة أخرى فى الناطقة التى نحن فى صددها وفى الحث عليها وهى القوة الفكرية التى تكون بها الفكرة والروية والتامل وهى الضالة المنشودة لنا أسال الله تعالى ان يمنّ علينا بالشوق الى علوم النفس الناطقة ونمو قوة الفكر حتى يحصل الاستنباط وثلج القلب بالايمان بالغيب وان كان الميل الى علم شىء يدرك بالاحساس كان الذى ننال به فعل مركب من عمل بدنىّ ونفسانىّ فان اشتقنا الى رؤية شىء احتجنا الى رفع الاجفان فان كان بعيدا مشينا اليه وان كان مستورا رفعنا عنه ستارته بيدنا فالاحساس نفسانىّ والحركات بدنية . وهكذا يمكنك أيها الاخ الحكيم المتدبر أن تجول بفكر جولة فى الآفاق وفى نفسك وفى الارض حتى يتبين لك الحق وعندها تحصل لنفسك البهجة الحقيقية واللذة الحقيقية التى لا نسبة بينها وبين الملاذ الحسية بوجه من الوجوه وتسرى تلك البهجة من النفس الناطقة الى بقية النفوس والقوى التى جعلها الله فيك حتى تكون أيها الاخ بكل قوة من قواك

مقبلا على الحق ناهجا على الصراط المستقيم كما قال الله تعالى (صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) وتكون مسلما حقيقيا لكل معانى مادة أسلم من التسليم والاستسلام والسلام والسلامة والسلم والاسلام وتكون على ملة أبيك ابراهيم عليه السلام كما وصاك ربك سبحانه وتعالى فيجملك ربك بحلة (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وتتحقق بقوله تعالى (انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) و يمنحك الله الروح الملكية التى تقتدى بها جميع قواك وتتشبه بها بقية النفوس التى قامت بها حقيقتك ولديها تتحد تلك النفوس فى الوجهة وتكون كنفس واحدة وتكون أيها الاخ ملكا فى صورة انسان تشرق أنوارك على الملكوت الاعلى بما يصعد اليه من أفعالك الملكية وأحوالك النبوية وأعمالك الشرعية وعقيدتك الحقة ولديها تشتاق الى الموت لا لانك تموت ولا لان الموت يكون له سلطان عليك بل لتتصل ﴿بالذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) وتفارق المفارق لك من بنى جنسك وان كانوا مشاكلين لك فى الصورة لان المجانس لك فى الصورة فارقك فى الاعتقاد والقول والعمل والحال والمفارق لك فى الصورة وهو عالم الملكوت الاعلى صار مشاكلا لك فيما تقدم قال الله سبحانه وتعالى (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) وقال صلى الله عليه وسلم (الموت تحفة المؤمن) وكان الصحابة وأهل العلم بالله تعالى من التابعين وغيرهم يلقون بانفسهم على الاعداء عند الجهاد حنينا الى لقاء الاحبة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه وفى هذا المقام تنفخ فيك روح من القدس يمدك الله بها فتكون فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وأسرار هذا المقام غامضة وأحواله خفية وعلومه قلبية لا يمكن الاشارة الى شىء من ذلك فى مثل هذا المختصر وقد ألممت الى هذا المعنى فى الابيات الآتية

فى هيكلى سرّ غيب لا بتحديد * بحيطة أو حلول أو بتجريد
سر علىٌّ عن الادراك ظاهره * ينبى بعلم به قد صح توحيدى
بعين قلبى أرآه وليس له * كيفٌ بمثله سرى بمشهودى

اذا تجردت عن قيد العناصر فى * فك الطلاسم عن وهمى وترديدى
وعن خيال به المعنى ممثلة * وعن عناصرى الا ولى وتقييدى
يلوح فىّ جمال عين صورته * منزه لا ببدء أو بتجديد
به أرى الوجه ماوايت مشرقة * أنواره لسويدا القلب بشهودى
ياصورة الحق والاسرار غامضة * عن العقول بدرك أو بتحديد
اليك طال حنينى بعد معرفتى * هل من شهود بمحض الفضل والجود
يانفخة القدس فى سور حوى حكماً * بغير مزج وخلط أو بتشبيد
اليك قد ألهبت نفسى و بغيتها * عندية تمح اطلاقى وتقييدى
حتى أكون بلا كون يقيدنى * عن مشهد الوجه فى أنسى وتجريدى
أوّاه لى ساعة لولا العناصر قد * حجبت لطائف قلبى بحث بمهودى
لكنّ نفسىَ فى أنسى محصنة * بحصن متفضل بالحفظ وودود
وفى معية فرد الذات سابحة * فى كوثر الحب أو فى حوض مورود

***

جلا النفس بعد يقينها بشهودى * ورفعتها عندى بحفظ حدودى
وطهرتها التحقيق بالغيب عندما * تناولْ راح حقيقة التوحيد
وبهجتها مرأى جمالى منزها * بمرآة هذا الكون لا بقيود
لديها هى النفس الزكية جملت * بسر فلاحى أو بنور شهودى

ولا أقف بك الى هذا الحد من العلم ولكنى أحثك أيها الاخ ان تهتم أوّلا بالبحث عن المرشد الذى منحه الله تعالى العلم به سبحانه وبأيامه وآياته وأحكامه فاذا ظفرت به وأنست من نفسك حسن الاقتداء والاتباع وجملت لك عملا خاصا ينشرح صدرك اليه وأحبّ ان يكون نفسانيا الا أعنى بالنفسانى الا الاخلاص النية وحسن الارادة فى أعمال البر التى ييسرها الله لك أن بلسانك ويدك وأن بمالك وأن بجاهك حتى تكون يا أخى جاهدت فى الله بمالك ونفسك مجاهدة تنتج المشاهدة

﴿ أفعال النفس الخاصة بها ﴾

النفس الملكية أفعالها الخاصة بها اكتساب العلوم الالهية والمعارف الربانية والفكر فيما ظهر من الآيات والاستعداد لليوم الآخر واستحضار عظمة العظيم والتدبر فى حكمة الحكيم وقدرة القادر ومشاهدة معانى الصفات فى جلى الآيات ولذلك فانها تفر من أفعال الجسم الخاصة به فكلما كان للانسان شوق الى أعمال النفس الملكية ومنحه الله الهمة والتوفيق ومنع عنه العوائق كلما تزايد فضله وكوشف باسرار الحكمة وصار روحانيا كاملا فعليه أن يعتنى بنفسه و ينصرف عن الامور العائقة عن بلوغ كمالاته فان الانسان قديتهاون بهذا الامر حتى تعوقه الرذائل والخبائث والحظوظ والشهوات والاطماع والغايات عما خلق له و يظن لجهله أن ماهو فيه من الشهرة وكثرة الاموال ونفوذ الكلمة والترف والنعمة والملاذ البدنية أنه هو الكمال النفسانى و يفتخر لجهله بكثرة المال وكذب فان الفخر انما هو للمال وجمال بيته وجودة ركائبه وحسن ملبسه وجمال وجهه ولا فخر له فى هذا كله للمفتخر وانما الفخر للبناء وللجواد والخياط ولامه التى كانت جميلة الوجه وانما الفخر بالكمالات النفسانية والفضائل الحقيقية التى هى خاصة بالانسان لا بمنكح شهى وفراش وطى وعيش هنى وثوب بهى فان أدنى الحيوانات مبتهج بكل تلك المعانى أكثر منه

عليك بالنفس فاستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

﴿ المجاهدة لنيل الكمالات النفسانية ﴾

اذا نظرت بفكرك فيما ألمعنا اليه من الآيات وتحققت انك لم تخلق عبثا وأن أعمالك محصاة عليك وان أنفاسك معدودة عليك ولا ملجأ ولا منجى لك من الله الا اليه وتحققت الحكمة التى لاجلها خلقك الله وسخر لك عوالم ملكه وملكوته وأعد لك مقعد صدقه لتكون

فى جواره العلى قمت من نومة غفلتك و رقدة جهالتك و بذلت مافى وسعك وطاقتك لتنال الغاية القصوى التى بنالها عبد مسلم آمن بالله ورسوله و بالقرآن المجيد محتقر از ينة الحياة الدنيا و بهجتها فارا من غرو ره وسالكا طريق الاستقامة التى هى أقرب طريق فيه السلامة والنجاة وهو طريق أئمة الهدى الصرط المستقيم الذى بينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتجنب الشرور العائقة لنا عن هذا الكمال ونفارق الخليل والصديق والصاحب اذا عاقنا عن هذا الكمال بل والزوجة والولد بل ونهمل الاكل والشرب والنوم ونهاجر من الاوطان ان كان فى ذلك نيل الكمالات النفسانية والفوز بالنعيم الابدى وتجريد الفكر للنظر فى الآيات وكيف يرضى العاقل أن يبيع النعيم الابدى بدفع ألم بزول . ان كل ما نراه لذة فى هذه الدار هو فى الحقيقة ليس بلذة وانما هو دفع ألم . أسأل الله سبحانه وتعالى ان يمنحنى واخوتى المؤمنين جميعا الخير الحقيقى فى الدنيا والآخرة انه مجيب الدعاء حتى نسارع الى مقامات القرب والملك الكبير والنعيم الابدى والسرور الحقيقى ونصل الى قرة الأعين التى بشرنا الله تعالى بقوله (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) من هذا نتحقق ان أفضل الاعمال التى تصدر عنك أيها الاخ و بها تتقرب الى ربك وتنال بها السعادة الحقيقية هى أفعال النفس الملكية الخاصة بها من الفكر فى آلاء الله واستنباط مابه الخير من الافعال ومراقبة القريب والشوق الى جنابه العلى والاجتهاد فيما يقربك اليه من أعمال البر والتقوى ثم تكون أعمال النفوس الاخرى مع الروية والاقتداء بالنفس الملكية والعلم بأن تلك الاعمال موافقة للكتاب والسنة صادرة عن اخلاص وصدق . و بذلك تكون أيها الاخ من أولياء الله تعالى المقربين ومن عباده المخلصين ومن العارفين الروحانيين الذين يبشرهم تعالى بقوله (لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون)

سلم الارتقا وباب التدانى * حسن ظن بالله فى كل شان
ويقين به الفؤاد مضىء * بشموس الهدى من القرآن
وجهاد للنفس بعد يقين * واجتهاد فى ذات ذى الاحسان
وتخل عن الغرور بمال * وبجاه أو رغبة فى الكيان

وتحلّ بالزهد في كل فان * بكمال التصديق والايمان
واشتغال بطاعة الله دوما * مع رغب في الذات لا في الجنان
وفناء عما سوى الله تبدو * لك منه شمس الصفا بالتهانى
والتفات اليه بالعزم رغبا * في نوال الرضا وفضل الحنان
كل هذا متابعاً هدْى طه * فهو حصن الوافي وكهف الامان
وهو نور الهدى صراط قويم * من يخالف يهوى الى النيران
وحمى الله أمره وهداه * قول طه وفضله بالبيان
فاتبعه تنل رضا الله تحظى * بنوال الزلفى وبالاحسان
أحى سنن النبي فيك بعزم * وانشرنها بحكمة الفرقان
والى التوب بادرا أن تخالف * في صغير وخل عنك التوانى
كل ذنب وان تراه صغيرا * فهو نار ان لم تنل غفرانى
صغّر الذنب جاهل بمقامى * وبفضلى وعزتى وحنانى
هفوة العارفين أكبر ذنب * فابذل النفس تنحا رضوانى

﴿ كمال النفس ﴾

ان الله تقدست ذاته وتنزهت صفاته خلق نفس سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا من نوره سبحانه وتعالى منزهة مطهرة أكمل النفوس على الاطلاق من الرسل والملائكة وأمد نفوس الرسل عليهم الصلاة والسلام من هذا النور المحمدى فهى أكمل النفوس بعد نفس سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم طهرها الله تعالى وزكاها وعصمها لانه سبحانه وتعالى جعل نفوس الانبياء أئمة لعباده وقدوة لخلقه وأظهر على أيديهم صلوات الله وسلامه عليهم مالا يقدر على ايجاده الا الله سبحانه وتعالى من عجائب الآيات.

وغرائب المعجزات ولما كانت أنوارهم أفاضها الله تعالى عليهم من نور سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم كما هو صريح القرآن المجيد وسر بشائر أسفار الرسل عليهم الصلاة والسلام خصوصا ما صرح به سيدنا عيسى بن مريم ر واية حواريه برنابا عنه صلى الله عليه وسلم بقوله (الرسول الذى يأتى من بعدى محمد أتمنى أن أكون حاملا لحذائه) ولا أقول ذلك تنقيصا لمقامات رسل الله صلوات الله عليهم أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ولكن اظهارا لفضل الله علينا جماعة المسلمين وتحدثا بنعمته علينا ودليل ذلك قوله تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلك أصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) ولست فى مقام التفاضل ولكنى فى مقام الفكر فى النفوس فانظر ياأخى الى النفس التى جعل الله لها الارض بحرا أجيا وأحياها فى سفينة هى ومن أحبت وانظر الى النفس التى جعل الله لها النار روضة من رياض الجنة والى النفس التى جعل الله لها العصا كلمة (كن) فجعلت البحر يبسا وصارت حية ذات روح تسعى وفجرت ينابيع الماء العذب من الحجر الصلد وتفكر فى النفس التى منحها الله الكلمة فأحيت الموتى وأبرأت الاكمه والابرص وخلقت من الطين كهيئة الطير ثم أقبل بقلبك وقالبك واعلم بأن تلك المعجزات آيات للاثبات قد تمت لمن شهدها الكمالات وقد لا تنتج وانظر الى الروح القدسية التى هدى الله بها بعد الضلالة وجمع بها بعد التفرقة ونور بها بعد الظلمة وأحيا بها بعد الموت وأعز بها بعد الذل وقوى بها بعد الضعف ومكن بها بعد الخوف . تناول ياأخى من صافى هذا الشراب الطهور كيف أقام الله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم مقاما لم يقم فيه قبله نبى مرسل ولا ملك مقرب وكيف لا وقد أقامه مقام نفسه سبحانه وذق ذلك من آيات القرآن الحكيم فان هذا المختصر ليس محلا لهذا . أسأل الله تعالى ان يعيننا على شكر النعمة التى أنعم بها علينا بحبيبنا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ومن النفوس الكاملة نفوس الاولياء الذين طهرهم الله وزكاهم وجعلهم ورثة لرسله ونجوما فى أفق صراطه المستقيم وأظهر بهم غرائب وعجائب فكم أحيا بهم قلوبا ميتة وهدى بهم نفوسا فاسقة وكم شفا عند دعائهم من الامراض وأنزل الامطار

وأزال البلاء ونفّس الكرب وجعل السباع لهم مركبا والوحوش تأنس بهم والطير تتساقط عليهم وغير ذلك من الآثار العجيبة التي لا يقصدون عملها ولكن الله سبحانه وتعالى يكرمهم بها لانهم أولياؤه المخلصون ويظهر ذلك على أيديهم ليظهرهم لعباده ولينبه بقدرهم عند خلقه ليحسن الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم فاذا تفكرت في تفاوت تلك النفوس وتباينها وفي خصوصياتها علمت يا أخي قدر وسعة الفضل العظيم وذقت حلاوة التوحيد

وهنالك نفوس أهل الفراسة . وهنالك نفوس يا أخي يكشف لك أهلها من وراء الستائر بعض ما جرى به القدر تلويحا لا تصريحا فتشير بما يلوح لها وتبشر قال الله تعالى (ان في ذلك لآيات للمتوسمين) وقال صلى الله عليه وسلم (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) وكم من بشائر كانت يقينا ومن أشارات كانت أقوى من التصريحات وهي نفوس فاضلة مؤهلة لمقامات الولاية ومنازل العناية وتلك النفوس كثيرا ما تستدل بالاحوال الظاهرة على الامور الباطنة

ومنها نفوس اصحاب القيافة والقيافة أما قيافة البشر وأما قيافة الاثر فقيافة البشر أن تدرك النفس ان هذا المولود ابن فلان أو ابن فلانة فيؤتى للرجل منهم بالمولود ومعه عشرون رجلا وعشرون امرأة فيقول هذه أمه وهذا أبوه فيكون كما يقول وكم حصلت منهم عجائب ويكثر هؤلاء القوم في بني مدلج أما قيافة الاثر فتكثر في بلاد المغرب وقد رأيت في بلاد السودان كثيرا من الناس يقفون الاثر حتى قد يسرق من الرجل ماله ليلا فيحضر الرجل منهم فيمشي معهم حتى يصل الى المال الضائع ويحضره ورأيتهم يعرفون قدم الشاب من الهرم والرجل من المرأة ولكن ذلك لا يكون الا في الاراضي الرملية التي تظهر فيها الآثار

ومنها نفوس الكهنة . وهي نفوس تتلقى الروحانيات وتكتسب أحوال الكائنات التي تدل عليها المنامات وغيرها من الحادثات ولهم حوادث لا تحصى وغرائب لا تستقصى أشهر ذلك ما أخبر به سطيح وشق الكاهنان من قرب بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وما يكون من الفتح والنصر له صلى الله عليه وسلم

ومنها نفوس اصحاب العرافة . وهي نفوس تستدل ببعض الحوادث على بعض لمناسبة

بينهما أو مشابهة وكثيرا ما أخبروا عن أشياء وافقت الحقيقة ولا يخلو كل زمان من وجود كثيرين من أهل تلك النفوس

﴿ النفوس المؤثرة ﴾

هذه النفوس لها قوة تأثير فنها ما يؤثر بالنظر فاذا نظر الرجل منهم الى آخر أو الى ماله نظر تأثير أضره ذلك وقد ينظر أحدهم الى نفسه أو ولده أو ماله . وتلك النفوس تأثيرها بالانفعال الذى ينتجه الحسد أو التعجب . وقد ورد فى العين أحاديث كثيرة وقد وردت الادعية النبوية والرقى لدفع شر العين . ومن قرأ المعوذتين فى كل يوم صباحا ومساء بعد خواتيم البقرة وقال أعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم اللهم صلى على سيدنا محمد الرءوف الرحيم وأعذنى من شر كل ذى شر فى الارض وفى السماء ياحفيظ ياسلام ياالله حفظه الله من شر العين ومن تلك النفوس : النفوس المؤثرة بالقسمة والعزائم واجتماع الهمة لدفع ضر أو جلبه لعدوهم ولا يلزم أن تكون تلك النفوس مؤمنة بل قد يقع ذلك من المؤمن والكافر ومن الرجل والمرأة والحر والعبد لانها نفوس مستعدة لذلك وربما كان لها ذلك التأثير قبل سن البلوغ ويعرف ذلك بشدة التأثير من المؤلم وظهور الذل والالتجاء الى الدعاء ومن تلك النفوس المؤثرة نفوس أهل الطلسمات والمتمائم العالمين بطبائع الحروف والانسان والحيوان وبطوالع الافلاك ولهم تأثير عجيب فى أعمالهم بقوة تأثيرهم خصوصا على أهل النفوس القابلة للتأثير ويكون ذلك بعلمها أشد . فكم فرقوا بين الزوج وزوجه وجعلوا بعض الناس فى ذهول عن لوازمهم الضرورية وأثروا على بعض الناس باضعاف الخيال حتى يرى كأن آتيا يأتيه ويتكلم معه ليلا أو يتخيل ذلك نهارا ومن هذه النفوس المؤثرة نفوس الذين يبينون الضائع ويكشفون خبايا الارض فان لهم تأثيرا عجيبا على بعض النفوس حتى يجرد الذى يؤثر عليه من عالم الحس مع يقظته كأنه نائم يسمع ويجيب ويمشى وذلك بتأثير نفسانى على قوى النفس

الانسانية ولم يكن للمسلمين عناية بمثل هذه الامور التى نهى عنها الدين الاسلامى ولكن كان يعتنى بها أهل النفوس المؤهلة لها بالفطرة فبقيت آثارها الآن ومتى كملت عقيدة التوحيد وطهر الخيال من تمثيل الحقائق بغير حقيقتها لا تؤثر تلك النفوس على من اتصف بتلك الصفات وقد ظهر ببلاد بنى الاصفر تأثير تلك النفوس وهو الذى يسمونه بالنوم المغناطيسى . ومن تلك النفوس نفوس تؤثر بازدواج بعض النغمات وأصوات الطبول تأثيراً عجيبا يفضى الى زوال بعض الامراض كالفالج واللوقة ومبادى النقطة وأمراضا من أنواع التشنج ولكن أصحاب تلك النفوس لابد أن يكونوا حكماء ليعملوا تلك الاعمال بمقادير متناسبة وفى الامراض المخصوصة . وقد أدعى أهل الغواية عمل هذا العمل بحالة مزعجة حتى أفسدوا خيال كثير من الناس وأوهموهم ان هنالك عفاريت تأتيهم وشيوخ تزورهم لا للاستشفاء بل لخديعة الناس وسلب أموالهم ويسمونه الآن بالزار والضرب به صار عاما والمصاب به صار طاما وماذلك الا من استيلاء الجهالة على العامة . وقد كثر بذلك الفساد فى النساء حتى صار الرجل يأخذ زوجته بيده ويذهب بها الى محل الزار وربما صنعه فى بيته وقد يكون من أهل الفضل والعلم وهذا كله من كيد النساء أن كيدهن عظيم . ومن تلك النفوس نفوس تؤثر على النفوس التركيب بعض عقاقير وتآلفها وسرعة الحركة فى ذلك وعمل ما يخيل للرائى صورا وأعمالا غريبة وأصحاب هذه النفوس يلزم أن يكونوا علماء بخواص العقاقير أو تلقوا هذا العلم ويسمى بعلم النار نجيات وله تاثير غريب فى هذا الباب وهذا لا باس به ان لم يجر فسادا بان كان المراد بالعمل به أظهار أسرار العقاقير منفردة ومزدوجة كما يحصل ذلك فى التراكيب الكيماوية . وأما أن جر الى فساد بان يوهم الناس بان ذلك من فعل العفاريت وأن هنا كنزا يريد فتحه أو أنه يمكن أن يحضر العفريت الفلانى يتكلم معه فاذا حصل منه فساد فيحرم شرعا . وتاثير النفوس لا ينكره الا من لا نفس له فان الله سبحانه وتعالى كما جعل لكل نبات ولكل معدن ولكل حيوان خواص وتاثيرات فان الله تعالى جمع ذلك فى نفوس الانسان وأكثره وكم رأينا من أعمال الحواة والمشعوزين وتاثير نفوس السحرة مالا يصدق به الانسان الا برؤيته . وفى تأثير نفوس أولياء الله الكاملين العجيب الذى ورد فى الكتب السماوية ما فيه البرهان على

ذلك فان آصف بن برخيا ولي وأحضر صرح بلقيس في أقل من لمح البصر وان مريم ابنة عمران صديقة وكانت تاتيها الفاكهة التي ليست موجودة في الارض كل يوم . وانطق الغلام شاهد سيدنا يوسف الصديق واكرام الله تعالى للصديق الاكبر سيدنا أبي بكر رضي الله عنه عندما أمر بارسال الجيش الى بني حنيفة والى الروم وفارس وقام الصحابة جميعا منكرين ذلك وقال له سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل بالملائكة فالزم بيتك ومحرابك فغضب وقال والله لو لم يكن الا أني أقاتل منفردا لما قعدت عن الجهاد وأثر على جميع الصحابة فكان ما كان مما لا يخفى على مسلم وما أكرم الله به الفاروق رضي الله عنه وهو يخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي أثناء الخطبة نادى ياسارية الجبل والقصة مشهورة وذكر ما أكرم الله به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين واتقياء المسلمين الى وقتنا هذا لا تسعه الاسفار وما وهبه الله تعالى للنفوس من الافعال الخاصة بهار وض زاه زاهر تقتطف منه الافكار المؤهلة لمشاهدة آيات الله فسبحان الواسع العليم القادر الحكيم . ومن النفوس المؤثرة نفوس تعلم الحوادث الكونية الغائبة عنها بتركيب أعداد وتحليلها وتلك الاعداد تجمع من جمل الطالع الفلكي والسؤال المقصود وتوضع بجداول مقسمة على نسبة أصول معلومة لديهم تنتج الجواب المطلوب نظما أو نثرا وتسمى بعلم الزايرجي وتلك النفوس لها تاثير عجيب في تقسيم الاعداد الى اجزاء متناسبة ووضعها في أوفاق واستخراج أسماء منها واستحضار قلب صاحب النفس بتلاوة بعض العزائم عليها فيحصل من ذلك تاثير عجيب على النفوس الاخرى . ومن تلك النفوس نفوس تخط في الرمل خطوطا مقسمة الى نقاط ثم تسقطها زوجا زوجا وتركب ما بقي أمهات وتستنتج منها بنات وأوتادا وموازين وهناك شكل من هذا يمكن ان يخرج منه ست عشرة حرفا فيه الجواب المطلوب ومنها ما يؤثر بالحصى وقد رأيت ببلاد مصر نساء يستعملن الفول والملح وفي بلاد السودان يستعملن الودع ويخبرن بجواب السؤال فيحصل ما يقلن وذلك من تاثير النفوس . ومنها نفوس تنظر الى الكف فتعلم منه علوما حصلت وتحصل وأصحاب هذه النفوس اصطلحوا على ان يجعلوا للخطوط التي في الكف معاني مخصوصة

و يستدلون بها على أشياء ولو نظرت ياأخى فى بنى الانسان نظرة متفكر يظهر لك ان لكل فرد منهم مزايا وخصوصيات وعلوما وأسرارا لا يمكن ان تجمع فى واحد ولا بد أن تكون منتشرة لكل فرد قسطا والعلم كله فى العالم كله قال الله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد أيحسب أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسبغة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) هذه بعض الآيات التى يمكن أن تسطر فى بطون الاوراق . أما ما يتلقاه المؤمن بعمله بعلم عن الالهام الالهى من تصريف القدرة وأسرار الحكمة ومعانى التجلى وظهور معانى الاسماء ومشاهدة الكائنات قامت بآيات الصفات فذلك لا يتلقى الا بالالهام لانه ذوق والذوق فوق العلم لانه شهود . وليس كل عالم وهب له الذوق ولكن كل من وهب له الذوق حصل له العلم ولا أريد بالعلم الذى يعمل به المريد فى البداية ما زاد عن الواجب ليورثه الله علم ما لم يعلم فان كل مسلم مطالب ان يتعلم ما يجب عليه شرعا وما لا بد له منه مما به تحصيل معاشه وبر والديه وصلة رحمه وتربية أولاده والقيام ببقية الواجبات الشرعية من حج وجهاد وصدقات وتعاون على البر والتقوى فان ذلك كله واجب عند وجود مقتضاه فاذا عمل المسلم ما وجب عليه عملا بعلم ورثه الله علم ما لم يعلم . والى هنا أرى انى جعلت لك نموذجا تنهج عليه فى سيرك بفكرك فى هذا العالم واختصرت لك على ما يمكن ان يكون مثالا تزن به وبقى على أيها الاخ المخلص ان أبين لك ما يجب عليك لخالقك ومبدعك ولرسله صلوات الله وسلامه عليهم ولجميع الخلق بنسبتهم اليك راجيا منك أيها الاخ السائر على الصراط المستقيم ان تجتهد فى العمل بما تعلم وأن تستمد من الله سبحانه وتعالى ان يعينك على ذلك وان يمن عليك بعلم ما لم تعلم وتحقق أيها الاخ البار أنى لم أكتب هذه المواضيع اتفقى بنفسى أنى العالم الحقيقى أو المحيط بعلوم السنة والكتاب أو لتكون لى المنزلة عند الناس أو لاجمع به مالا أدخره وان كنت أعلم من نفسى انها لا تزال لقسة ولكنى انزلتك ياأخى منزلة نفسى وأحببت لك ما أحبه لها ورأيت أكثر أهل زمانى هذا تركوا آداب الدين وفضائله وراء ظهورهم وعلوم العلماء

المدونة فى كتبهم هجر وها والتفتوا الى القشور التى وضعها الفرنج مما نسخوه أو مسخوه من كتب سلفنا الصالح ورأيت أعجاب أهل زمانى بآداب بنى الاصفر وشعرهم وعلومهم ولو أنهم أطلعوا على علوم آبائهم وآداب أسلافهم وحكمة أجدادهم والكنوز الخفية التى كنزها لنا أخواننا الذين سبقونا بالايمان لميزوا بين الثرى والثريا وبين الحق والباطل فاعاد الله عصر دمشق وزمان بغداد وأيام الاندلس والمغرب وأوقات مصر والعراق ونبه الله اخوانى أهل عصرى الى فتح تلك الكنوز الخفية فى بطون الكتب فى متاحف أوروبا ومكاتبها من آثار اجدادنا الكرام وأسلاف العلماء العاملين انه مجيب الدعاء .

يا أخى ليس علم من علوم الدين او الاخلاق أو النفوس أو القوانين العمرانية أو المعاملات أو علوم الآداب والمعاشرة والمجالسة أو علوم الصناعة والتجارة والطب والحكمة وعلوم الزراعة والسياسات بل وكل علم من العلوم مما يحتاج اليه المجتمع العمرانى الا وانزله الله تعالى اما مفصلا فى القرآن أو مجملا وبينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الحكمة النظرية والعملية فى علوم الدين وما يتعلق به ونظريا فى علوم الصناعات والزراعات وغيرهما وقام العلماء من أئمة المسلمين ففصلوا ذلك الاجمال حتى انحصر العلم كله فى جماعة المسلمين والفنون كلها والحرف كلها فلم يكن خليفة من الخلفاء ولا قاض من القضاة ولا قائد من القواد الا وهو سابق فى علم أو فن أو صنعة أو حرفة فكنت ترى منهم العالم الدينى الذى ورث اسرار الرسل عليهم الصلاة والسلام يستنبط الاحكام بما منحه الله من قوة الاستنباط وما من به عليه من الاجتهاد وما تفضل به عليه من القياس وترى الطبيب الماهر الذى كشف اسرار الاعضاء ووظائفها وخواص النباتات ومزاياها وسر تولد المعادن ونموها وترى منهم العالم الرياضى الذى بلغ به العلم الى حد حتى وضع علم الجبر المنسوب الى جابر أو وضع علم استخراج قوى العدد المسمى الآن لغارت المنسوب للخوارزمى . ومنهم من وقع به العلم اليقين فى علم المعادن حتى وضع قوانين تحليلها وتركيبها وتطهيرها من الاجسام الغريبة وكيف تتولد وتترقى حتى أمكنهم ان يوجدوا بعض المعادن بتركيب مواده الاصلية بالنسب الاصلية ومنهم من استكشف خواص كثير من النباتات والمعادن والحيوانات بالتجارب العملية . ومنهم من بحث فى النظام

الشمسى بحث عالم متقن بقوة الفكر والعلم حتى علم مقاديرها الحقيقية والنسب بينها ومقدار بعد كل فلك عن الآخر وتأثير كل فلك بقدرة الله تعالى على الاجسام الحيوانية والنباتية والمعدنية والجمادية وعلى النفوس. ومنهم من علم تأثيرها الروحانى على بعضها وعلى ماعداها بالرياضة الفكرية والبدنية. ومنهم من اجتهد بعد الرياضة بالحكمة النظرية الى أن أثبت بالحكمة العملية خطوط الطول والعرض ومقادير درجات الارض وأنواع علوم تخطيطها ومزجوا بذلك علم طبقاتها وتفاوت أقاليمها وحاصلات كل أقاليم وأثبتوا أنواع دوران كل كوكب دورانا حقيقيا وبالاخص دوران الارض وما يتولد من ذلك وأثبتوا قوة التجاذب بين المجموعة الشمسية بما أزال المجهولات العلمية عن تلك الحقائق ومحا أباطيل وخرافات اليونانيين والرومانيين والفراعنة والآشوريين والفنيقيين والبابليين وبيضوا ماسودبه هؤلاء المتقدمون صحفهم من الاكاذيب على العلم والتاريخ. ومنهم العالم المخترع الذى خدم الصناعات بما من الله به عليه من من الاخلاص فى الدين فيسهل عليك أيها الاخ أن تطالع تراجم الصحابة رضوان الله عنهم فى طبقات ابن سعد وتراجم الاطباء فى طبقات ابن طفيل وتراجم الادباء والامراء فى تاريخ ابن خلكان وتراجم الفقهاء والصناع والمحدثين والمتكلمين والرياضيين والمؤرخين فى كتب التراجم لتعلم يا أخى أيدك الله ما أودعه الله من العلوم والاسرار فى القرآن الشريف

ولتعتقد أن فى الانسان كنوزا وأمامه مراقى لو فتحت له تلك الكنوز ورقى على تلك المراقى لبلغ من الكمالات ما به تنكشف الحقيقة عن سر تسخير الله له ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه

﴿ الواجب الثانى لله سبحانه وتعالى الشكر ﴾

الشكر فى حال الجمال ثناء * والشكر فى حال الجلال دعاء
والشاكرون هم العبيد تحققوا * بمراد مولاهم وذاك صفاء

شهدوا بعين قلوبهم مولاهموا * فرضوا به عنه فدام هناء
ما بين شكر أو دعاء حالهم * وهموا الى مولاهمُ فقراء
فالعسر يجذبهم اليه تضرعا * واليسر يوصلهم وهم أمناء
لم يلههم عن ربهم فقر ولا * يشغلهمُ عنه غنى ورخاء
معه نعم بقلوبهم ووجوههم * بيقينهم فى ربهم نضراء
دامت بشائرهم بكشف قلوبهم * ولهم توالت ما بذاك خفاء
دخلوا الحصون حصون حفظ وليهم * بملابس الحسنى لهم أضواء
العلم هذبهم وزكى نفسهم * والعلم نور للهدى وشفاء
نعم العبيد لربهم صدقوا له * صدق العبيد فدامت الآلاء
دنياهمُ كشفت لهم فتحققوا * أن السكون الى الدنىّ الداءُ
والدار دار نعيمه وشهوده * ظهرت فعشقوها فصحّ وفاء
ولهم جمال الحق أشرق نوره * فتحققوا أن الكيان هباء
فروا الى مولاهمُ بعزائم * والفضل من مولى الجميل عطاء
الله ربى والحبيب محمد * هو قبلتى ووسيلتى وهناءُ

هو شكره سبحانه وتعالى وحمده والثناء عليه بالقلب واللسان والجوارح واعتقاد أن له سبحانه وتعالى صفات هو وصف بها نفسه سبحانه وأثبتها العقل بشهود دلائلها اليقينية وانكشفت للارواح بعد الخلاص من ظلمات الكثافات الكونية وهى أنه تعالى حىّ قادر مريد سميع بصير متكلم حكيم واحد أحد فرد صمد منزه عن النقائص والاشباه والنظراء والوكيل والوالد والولد والصاحب والزوجة قيوم كل شئ قريب مجيب منعم وهاب ويجب أن نسميه باسمائه التى وردت فى كتابه العزيز على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم المثبوتة فى النصوص الشرعية . ويجب أن نتدبر معانيها الكمالية بما يليق بجنابه العلىّ من النزاهة والتقديس ونفهم أنوارها الظاهرة فى الآثار الكونية المنبئة عن علىّ العظمة وعظيم القدرة والحكمة واللطف والحنان والرحمة والعطف والود والنعمة والرأفة وجميل المنة والكرم

والفضل والاحسان لتشرق أنوار تلك الصفات والاسماء على القلوب فتعمرها بحقيقة الايمان وكمال اليقين . ويجب أن نؤمن بالملائكة الروحانيين الحافين حول العرش وسكان السموات والسفرة الكرام وأمنة الوحي والموكلين بالامطار والرياح والحفظة والكتبة ومنكر ونكير وبخزنة الجنة وخزنة النار وبالملائكة الكروبين الهائمين في جلال العظمة الالهية وبالملائكة العالين وبانوع من الملائكة لا يعلمهم الا الله تعالى . ويجب أن نصدق بالكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله الكرام على نبينا وعليهم الصلاة والسلام كاسفار سيدنا نوح وسيدنا ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وتوراة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وزبور سيدنا داود عليه الصلاة والسلام وانجيل سيدنا عيسى عليهم الصلاة والسلام . ويجب أن نصدق أن القرآن مهيمن على جميع الكتب وهو كتاب الله وحجته البالغة على جميع الرسل والناس أجمعين جمع جميع كتب الله سبحانه وزاد عليها وبين ووضح وأقام الحجة وبين المحجة وشرح الاخلاق والعقائد والعبادات والمعاملات بامثلة يعقلها العالمون وأخبر عن القرون الماضية بعبر وبصائر وتذكرة يتنور بنورها العاقلون فاعجز البلغاء وأدهش الفصحاء خنع له العقل وسجد له الخيال وانقادت له الارواح الطاهرة والانفس الزكية (مافرطنا في الكتاب من شيء) ويجب أن نجعل القرآن اماما متبعا وقاضيا نافذ الامر والنهي نعمل به نحل حلاله ونحرم حرامه ونرتله حق تلاوته نشاهد فيه أسرار المتكلم سبحانه ونتناول منه شراب القدس الطهور ونأنس أرواحنا عند تلاوته بمشاهدة الجمال والجلال والكمال الالهي أنسا بمعنى المعية الحقيقية مع التنزيه حتى كأن التالي للقرآن يسمعه من ربه سبحانه وتعالى . تقشعر الجلود عند ترتيله . وتلين القلوب عند سماعه . وتشتاق الارواح عند تدبره لعالم القدس الاعلى . فالمسلم الحقيقي يحب القرآن ويجب أن يكون عاملا بالقرآن ويجب أن يكون العمل بالقرآن أكثر من محبته لنفسه لانه بترك القرآن يخسر نفسه ويتمنى أنه كان ترابا أولم يكن شيئا مذكورا وبالقرآن يفوز بالسعادة الابدية في جوار رب العالمين . والمسلم الذي لا يغار للقرآن أو يتساهل باحكام القرآن أولا يسعى في اعلاء كلمة القرآن ليس بمسلم عند العلماء وان كان مسلما عند نفسه . وأول بلاء نزل بالمسلمين تساهلهم في

اقامة أحكام القرآن وميلهم الى الهوى حتى صاروا ليسوا أهلا للقرآن ولا لبشائره ولا لآيات الله بهم حتى سلط عليهم الكفار وأذلهم بأذل العالم قال الله تعالى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) بشرى فى القرآن . وانما المؤمن من كان عمله بالقرآن وحاله بالقرآن وماله بالقرآن ونومه وأكله وخلقه بالقرآن يحب ما حببه فيه القرآن ومن حببه فيه ويعادى من أمره القرآن بمعاداته ولو كان أقرب قريب وأحب حبيب يغضب للقرآن ويرضى للقرآن هذا اجمال الواجب بالنسبة للقرآن والمسلم البسيط يعلم تفصيل هذا الاجمال والله الموفق . ويجب أن نصدق بالرسل عليهم الصلاة والسلام خصوصا من ذكرهم الله تعالى فى القرآن وأثنى عليهم ونعتقد أنهم صادقون أمناء بلغوا الرسالة ونصحوا للناس وأن الله أرسلهم لهداية الخلق ليكونوا حجة لله سبحانه على عباده وحجة لعباده يوم القيامة . ويجب أن نعتقد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم رسل الله سبحانه وأفضلهم وأكملهم . بعثه الله على فترة من الرسل فأتم به حقيقة العقيدة وأكمل به مكارم الاخلاق وأفضل المعاملات علّمنا بعمله وقوله وحاله كل محبوب لله تعالى من القول والعمل والحال والعلم ونهانا عن كل ما يكرهه الله من الاعمال والاقوال والاحوال فهو الرحمة الحقيقية الواسعة والنعمة العظيمة على الانس والملائكة والجن والحيوانات . سنّ السنن ووضح المناهج وأقام الحجة لله على العباد برحمة وحكمة ورأفة وحرص على الناس من الهلاك ويجب علينا أن نقتدى بهديه ونتجمل بأخلاقه ونتشبه به صلى الله عليه وسلم فى معاملاته وأقواله حتى نفوز برضاء الله الاكبر الذى لا سخط بعده . ومن خالف سنته أو ابتدع بدعة فى دين الله فقد أهلك نفسه وغيره . أعوذ بالله وبوجهه الكريم من مخالفة سنة سيد المرسلين . ويجب أن نؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سابق إرادته وتدبير حكمته بلا شك ولا ريب ولا بحث عن ذلك بل نعتقد حق الاعتقاد أن كل شئ حدث لا بد وأن يكون صدر عن علم الله تعالى به وتقديره له وارادته بحيث يستحيل أن يخلق الله شيأ لا يعلم به أو يكون بغير تدبيره ومشيئته وحكمته وقدرته تنزه الله سبحانه وتعالى علوا كبيراً عما يصفه الواصفون . ونؤمن أن كل ما أحدثه الله تعالى هو عدل لحكمة تخفى على الجاهلين . وعلينا أن نبغض المعصية

ولو وقعت منا لانها منهى عنها ونعتقد أنها بقضاء الله وقدره سبحانه وأنه يؤاخذ عليها لانها مخالفة لامره ومعصية لسنن رسله وليس لنا حجة عليه سبحانه لانه أمرنا بترك المعاصى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وفى كتابه العزيز وأخفى عنا ما قدره علينا وعلينا أن نندم ونتوب اليه سبحانه ونسأله العفو والمغفرة لمخالفة الامر لا لانا أوجدنا مالا يقدره علينا أو مالا يعلمه سبحانه وتعالى أو ما أوجدناه بحولنا وقوتنا تنزه الله سبحانه أن يكون له شريك فى ايجاد شئ ما أو معين فى عمل ما وأنت أيها المدعى ذلك بن تعمل العمل اذا سلب الله القوة والحول الذى أمدك بهما انظر الى الميت ترى جسمه كاملا أمامك ولكنه لا يمكنه العمل ولا القول ولم ينقص منه أمامك شئ فتأمل واعتقد لتكون من أهل السعادة . هذا هو الذى نعقد عليه القلب بتسليم واذعان حتى يكشف الله سبحانه وتعالى لنا حقائق التوحيد وتظهر لنا أسرار حكيم قادر وأنوار مريد فاعل مختار وآيات واحد أحد منزه عن الشبيه والمثيل فيحصل اليقين الحق الذى هو كمال الايمان وحقيقة الايقان . وعلينا أن ننظر الى تصاريف القضاء ومجارى القدر بعيون القلوب فنشكر الله تعالى ونخشاه عند اسباغ النعم الدينية والدنيوية ونجاهد أنفسنا على أن نحافظ على حقوق الشكر وتأدية الاوامر الالهية حتى تنال المزيد من الله تعالى فى الدنيا والسعادة فى الآخرة . ولله در القائل

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة * علىّ له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله * وان طالت الايام واتصل العمر
اذا عمّ بالسراء عمّ سرورها * وان حض بالضراء أعقبها الأجر

ونبتهل الى الله سبحانه ونتضرع اليه سبحانه أن يمنع عنا ويحفظنا عن معصيته عند مقتضيات ذلك وأن يتداركنا بخفى اللطف عند حصول مالا قبل لنا به من الحوادث مع الصبر وحسن الظن باغاثة الله لنا ونكره المعصية ولو وقعت منا لا بغضا لقضاء الله بل بغضا لعمل يكرهه الله نهى عنه وان قدره فقد يقدر مالا يرضى من القول والعمل ونتوب الى الله ونستغفره من الخطايا ونسأله التوفيق لما يحبه من القول والحال والعمل فيكون رضانا بما يرضاه الله لانه سبحانه قضى وقدر علينا ما يحبه مما هو خير لنا وسعادة ويكون بغضنا لما يبغضه الله سبحانه لانه قضى

وقدّر علينا مانراه عنتة وأخفى عنا قضاءه فارتكبنا مخالفة أمره بشهواتنا وغفلتنا ونكره كل ماخالف الشرع والسنة ونجتهد فى ارجاع الامر الى الشرع بقدر استطاعتنا باليد و باللسان أو ننكر بقلوبنا ونسال الله محو الباطل مع شدة الكراهة له والبغض لفاعليه ومعاداتهم ان سراً وان جهراً عند المكنة ولا نتناظر فى هذا الموضوع الذى لا يشك فيه أو يبحث فيه الا مريض القلب بالنفاق بعيد عن حقيقة التوحيد . وعلينا أن نجد فى طلب الخيرات والتسبب لكسب الحلال والغنى بالله عن سؤال الناس مع اعتقاد أن الرزاق هو الله وأن الاسباب وسائط جعلها الله بينه و بين خلقه وهو سبحانه مسبب الاسباب وميسر الامور والمعين الوهاب ونجد فى القربات ببذل المال والجاه وعمل الصالحات معتقدين أن الله سبحانه هو الموفق الهادى للصراط المستقيم . و يجب علينا أن نتوسط فى جميع الاحوال فيكون الطمع والخوف والرغبة والرهبة متساويين فى قلوبنا حتى نكون بين خوف من الله تعالى يحفظنا الله تعالى به من مخالفة أمره ومن ارتكاب الخطايا والغرور بالدنيا والجهل بقدر أنفسنا و بين طمع يعيننا الله تعالى به على محبته والاقبال على جنابه العلىّ والتقرب الى مواطن رضوانه حتى تتوازن قوانا الحسية والروحانية والله سبحانه هو الموفق المعين

﴿وجوب الايمان باليوم الآخر﴾

الايمان باليوم الآخر هو الركن الحقيقى الدال على تصديق القلب ونوره وشروق شمس الحق عليه حتى يتحقق حق اليقين بعد الايمان بالله وملائكته وكتبه و رسله والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى أن القادر الحكيم لم يخلق الخلق عبثا ولم يتركهم هملا ولم يصرفهم فى ملكه و يسخر لهم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه جهلا تنزه وتعالى بل اقتضت حكمته أن يبتلى خلقه بالخير والشر فتنة وكيف لا وقد أرسل لهم الرسل و بين لهم الحجج وضرب لهم الامثال وأقام الدلائل على ثبوت يوم الحساب وحذرهم وأنذرهم و وعظهم و بشرهم

ومنحهم العقل الذى يعقل الامثال والحجج ويقبل الدلائل وأعدلهم يوما يرجعون فيه الى جنابه العلى ويحاسبون فيه على النقير والقطمير (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق . فتلك الدار الدنيا دار تكليف وتعريف وأحكام وتصريف وخلافة عن الرب ومعاملة لجنابه العلىّ وهى النشأة الاولى يعيش فيها الانسان يكدح الى ربه كدحا فى آلام تغيرات العناصر وهموم سطوات تغيرات الفصول وغموم الحوادث ومزاحمة البقاء ومنافسة النظراء ومداراة الكبراء والحيل فى نوال السلامة ممن لا غنى له عن معاشرته وذل الافتقار الى المساعد من بنى جنسه وأنواع من الحيوانات وتعب فى طلب المسكن والملبس والقرينة وعناء فى تعليم وتربية الابناء . اذا صفا تنفسا فاتما ذلك لغفلة قلبه عن الحقوق الواجبة عليه وان فرح لحظة فذلك لجهله بما فى الغيب إن عوفى فى بدنه أضرّ به الرزق وان تيسر أفسد عليه صفاءه التنافس وان بلغ المجد اعترته المخاوف من تسليط عدو أو فساد أهل أو مصاب فى حبيب فالانسان فى تلك الدار محاط بسور من البلايا ومطالب بشكر على ما أحاط به من سوابغ النعم التى لا تحصى فانه منعَمٌ عليه بنعم من العرش الى الفرش فمن قدمه الى العرش نِعَم خاصة بالانسان وخيرات مسخرة له وهو بين ذلك يشغله قليل لا يفيده لو ناله عن عظيم النعم المتوالية عليه فى كل نَفَس فالمنعَمُ عليه بالعافية غافل عنها مشغول بجمع المال . والمنعَمُ عليه بالمال غافل عنه مشغول بشهواته وهكذا فلا تجد انسانا يشعر بالنعمة التى أنعم الله بها عليه الا من حفظهم الله واختارهم (وقليل ما هم) فالعاقل البصير يدرك أن تلك الدار الدنيا دار سعى وكد واجتهاد وعمل وسفر للدار الآخرة فيتزود منها لما بعدها بكل همة ونشاط ويأخذ منها ما يبلغه الدار الآخرة حتى يفوز بدار المقامة ومنزلة الكرامة . فاذا تحقق بذلك وجّه قلبه ووجهه صوب ما يبلغه هذا الخير لاهيا عما يشغله عن الخير مما فيه العناء والتعب فى الدنيا والالم والعذاب فى الآخرة والله سبحانه جعل الدار الآخرة دار كرامة من آمنوا بها وعذاب من كذبوا بها والايمان بيوم الحساب أكبر مهذب للنفوس ومطهر لها ولو أن الناس صدقوا بيوم الحساب تصديقا حقيقيا لعاشوا فى الدار

الدنيا في سعادة حتى ينتقلوا الى السعادة الابدية في ملكوت الله تعالى ومنازل رضوانه الاكبر ولا تجدقوما نسوا يوم الحساب الا عبدوا حظوظهم وشهواتهم وأزلتهم الاهواء وأوبقتهم الحظوظ وأفسدوا في الارض فاهلكوا أنفسهم وغيرهم (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين) بما نسوا يوم الحساب

﴿ الدار الآخرة ﴾

الدار الآخرة هى النشأة الآخرة التى أعدها الله تعالى لاظهار الفضل الحقيقى والرحمة الحقيقية الخالصتان من شوائب القهر والانتقام والجبروت فان كل فضل فى الدنيا ورحمة لابد وان يكونا مشوبين بعناء وبلاء وشدة ومجاهدة للنفس أما النعيم والبهجة واللذة فى الدار الآخرة بمعناها الحقيقى الذى لا يمكن ان يتصورها العقل ولا ان يتخيله الخيال الا بنسبة نعيم الدنيا وبهجتها العقليين ولذتها وسعادتها الحسيتين وبين تلك المعانى بون شاسع وبعد عظيم لا يمكن أن يدرك حقيقة الا بالمشاهدة والحس . ومن أين للعقل ان يتعقل الغيب عنه الا بنسبة ما أو للحس ان يدرك حقيقة الا بقدر ما فالدار الآخرة ملاذها العقلية فوق كل ما يدركه العقل من الملاذ فى تلك الدار الدنيا وملاذها الحسية فوق ما يدرك للحس من ملاذ الدنيا وقد تنكشف الحقيقة بوجه ما لاهل الصدق فتلوح لهم ملاذ الدنيا بالنسبة لملاذ الآخرة كمثال رجل شرب الخمرة حتى فقد شعوره ثم دعاه داعى الشهوة فخرج يطلب شهوة النكاح فوقع به السكر على مقبرة مشيدة بها قبر كالحجرة به نساء دفن من أيام عليهن الحلى والزينة وبجوارهن نور كعادة أهل زمنه فتخيل له من السكر انهن اجمل نساء العالم وانهن من بنات الملوك خرجن لتغير الهواء فى تلك الغيضة فاتى أجلهن لباسا وكان فى أكمل لذة وأعظم بهجة بشكر حظه ويثنى على بخته وتناول من خمر بجوار الموتى فزاد سكره حتى قهره النوم فالتقى بجوارهن حتى اصبح فوجد ثيابه ماطخة بالقيح والصديد وتحقق سوء عمله فاستقذر العمل وكرهه كراهة شديدة لما

يسمع عليه من بهجة النساء وزينتهن فكذلك حال لذة الدنيا بالنسبة الى الآخرة لمن انكشفت له ولو بتصديق الخبر عنها تصديقا متناسبا بالنسبة للذة الدنيا هي كجيفة تلذذ بها الانسان مسرورا بلذته فرحا بحظوته فان تنبه من غفلته نفر منها نفورا لحليم من الحماقة والشجاع من الجبن والتقي من الكبائر وزهدها زهدا حقيقيا وجعل ميله اليها للضرورة التي لابد منها كما يستريح المسافر على قلال الجبال وفى غابات السباع لغلبة نومه وشدة تعبه ليقوى على السفر حتى اذا وصل موطن الاقامة ومنزلة الكرامة زال عناؤه وكأنه لم ينصب فالدار الآخرة هي الدار التي يتحقق العاقل البصير أنه لابد أن يرجع اليها ويفهم من الآيات الظاهرة في الكون والحكمة المشرقة في نفسه وفى الآفاق لابد من نشأة أخرى تكون في الآيات وتظهر فيها الحكمة الخفية من هذه النشأة الاولى . الدار الآخرة يظهر فيها عدل الحكم العدل بحقيقته ومعناه وقهر الحكيم القاهر وعزة العزيز القوى فيحاسب الناس على نعم لا تحصى ومنن لا تستقصى فمن وفقه فوفى أكرمه بحقيقة الاكرام ومن أضله سبحانه ولا يسأل عما يفعل نجا الفار به وعصا أمره وعمل عمل المكذبين أورده موارد غضبه وأبعده عن منازل رحمته وأشهده قدر النعمة عليه والعقوبة على كفره وجحوده نعوذ بالله من غضبه وسخطه ونسأله سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب من القول والعمل والعلم

﴿ لذات الدار الآخرة ﴾

لما كانت اللذة هي نيل وادراك ما هو ملائم وخير في الحقيقة ونفس الامر ولا يكون النيل الا بالحس والادراك لا يكون الا بانكشاف الحقيقة انكشافا حقيقيا يفيد علم اليقين بمنافعها ومزاياها فالادراك بالنفس الناطقة والنيل للنفس الشهوية والسبعية وقد تتفاوت الملاذ بحسب صفاء النفس وتوازن القوى المكونة للانسان فقد يكون ادراك اللذة هو عين اللذة عند أهل النفوس الكاملة وتنحط اللذة الاخرى التي هي نيل بالحس في جانب الملاذ النفسانية ولكن لا تكون اللذة لذة حقيقية الا اذا توفر فيها الادراك

والنيل كله وصريح القرآن الكريم من أن لذة الدار الآخرة تشترك فيها النفس والاعضاء فهي ملاذ معنوية وحسية . وان كان بعض الكتب السماوية لم ينبه على الملاذ الحسية في الدار الآخرة الامر الذي جعل بعض من لم تقع بهم عين البصيرة على حقيقة العلم ولم يذوقوا حلاوة الحكمة في تكوين الانسان وتركيبه من النفوس أن النشأة الاولى هي صورة النشأة الاخرى وان الملاذ في الدنيا هي أمثال الملاذ الدار الآخرة ليترقى من المثال الى الحقيقة ومن الوسيلة الى المقصد وقد توسع كثير ممن لم تنفذ أشعة أنوار قلوبهم من ستائر أوهامهم فتخيلوا آراء القائلين بهذا المذهب جهلا منهم ولو أنهم جاهدوا أنفسهم وطهرت لعلمهم الله علم ما لم يعلموا بالعمل بما علموا قال تعالى « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » وهل شرف الانسان و بلغ من الكمال ما به أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم الا بعد أن نفخ الله الروح في جسده فصار بالجسد مظهرا كاملا لآيات الحق سبحانه وعالما صغيرا انطوى فيه العالم الاكبر . فالانسان لا يطلق على النفس المجردة ولا على الجسم المجرد من النفس فما بقي الا ان نعتقد حق الاعتقاد أن الذي يعذب و يثاب هو الانسان بمعناه ومبناه اذ لا يطلق انسان الا على تلك الحقيقة المركبة من الجسم والنفوس والقائل بان النعيم أو العقاب انما يكون على النفس فذلك جهل بعجائب القدرة وغرائب الحكمة وحبس لنور الفكر الكامل أن ينفذ من أقطار الاوهام أو يسبح في لطائف الحكمة ودقائق الآيات والله سبحانه وتعالى يشرح لتلقي الحكمة صدورنا و يشهدنا ما به تطمئن قلوبنا انه مجيب الدعاء

﴿ أنواع ملاذ الآخرة ﴾

قد بشرنا الله تعالى على لسان نبيه وفي تنزيله انه سبحانه أعد لنا جنانا تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة ومطاعم من أشهى وألذ ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وحورا مقصورات في الخيام كأنهن اللؤلؤ والمرجان وولدان مخلدون يطوفون باكواب وأباريق كأنهن اللؤلؤ المنثور وأنهارا من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر لذة للشاربين ومن عسل مصفى وبهجة وسرورا ونضرة وحبورا وفوق ذلك من مقامات الكرامة ومنازل الحظوة مالا تفي العبارة بكشفه وفوق ذلك رضوان الله الاكبر والتنعم بمشاهدة وجهه الكريم والفوز بمنازلاته في مقعد صدق عند مليك مقتدر . تلك الانواع منها ماهو للجسم ومنها ماهو للنفس . وللنفس ملاذ أخرى كما قال صلى الله عليه وسلم فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . كل ذلك فضل من الله واحسان عظيم منه جات قدرته فالواجب علينا أن نعقد قلوبنا على التصديق بيوم الحساب ونجمع بين الخوف من عدل الحكيم القادر والطمع في فضل المحسن الوهاب نعتقد أنه يكون للجسم والروح معا وأن الذى أنشأ النشأة الاولى هو سبحانه وتعالى الذى ينشىء النشأة الآخرة بل هي أهون عليه سبحانه والعقل اذا فهم الفرق بين مرتبة واجب الوجود وفعله سبحانه وأنه ليس كمثله شيء في كل شيء ذاتا واسما وصفة وفعلا وبين ممكن الوجود ولم يجعل ميزانا ينسب به عمل الواجب للمكن أو يرى الواجب محكوما عليه كما يرى الممكن لكان النظرى بديهيا لديه والغيب مشهودا له والآيات واضحة جلية ولكن جهل الانسان بنفسه أداه الى جهله بربه (قتل الانسان ما أكفره) (نسوا الله فانساهم أنفسهم) وقد شرح القرآن الكريم وبين الصادق الامين صلى الله عليه وسلم أنواع السعادات في الدار الآخرة وطرق نوالها وأنواع العقوبات وحصون التوقى منها وما على العاقل سليم القلب الا أن يتلو القرآن تلاوة متدبر ويقرأ كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة متامل فتنكشف له الاسرار ويمحى عن قلبه الرين وينفك القفل عنه ويزول

من الاذن الوقر لتشرق أنوار البصيرة فتشاهد عوالم الملكوت الاعلى لترى الجنة ونعيمها والنار وجحيمها علم يقين فيفر الى الله مسلما و يقبل عليه مسلما فيفوز بالمغفرة والعفو والسعادة والرضوان

﴿ الواجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

اللهم اعصمني بحفظك ياحفيظ فاني أتوسل الى جنابك العلي بحبيبك ومصطفاك سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم أن تمدني بروح منك ونور يستبين لي به الحق وتنكشف تلك الاسرار حتى أتمكن بحولك وقوتك سبحانك وتوفيقك ومعونتك أن أفهم الحكمة والفضل والرحمة والنعمة التي أكرمتنا بها ببعثة رسلك عليهم الصلاة والسلام وأدرك عظيم منتك علينا بالرحمة العظمى والوسيلة العظمى سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم آمين :

قبل أن أبين الواجب علينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتتح الموضوع بحكمة ارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام

﴿ حكمة ارسال الرسل ﴾

ان الله ذو الفضل العظيم تقدست ذاته وتنزهت أسماؤه وصفاته جعل الانسان عالما وسطا بين عوالم الملك والملكوت ومنحه سبحانه من مواهب احسانه ولطائف آياته وبديع أسراره ماجعله جامعا لكل معاني الكائنات فجمع فيه سبحانه معاني الجمادات والنباتات والحيوانات والملائكة المقربين وأودع فيه سبحانه قوى نفوس كل رتبة من مراتب الوجود فهو كما قررنا في تعريف الانسان فيما سبق من الكتب (أساس الطريق) ملك وأكمل . وشيطان وأفجر . وحيوان وأجرأ . وقد جعله الله تعالى أكثر احتياجا من كل الانواع

الاخرى وأضعف جسمامنها بحيث لا يمكن أن يقوم ببعض ضرورياته منفردا الا بمعاونة لمعاوضة تؤدى الى معارضة ولما كانت الحكمة الآلهية قضت أن يكون الانسان بحيث يتصرف التصرف المطلق فى جميع الانواع الاخرى بما تفضل الله به عليه من العقل والادراك والفكر والروية وكانت ضرورياته مع ماسلط عليه من دواعى الحظ والهوى تدفعه الى الاستئثار بالملائم له تارة لما فيه من القوة الحيوانية وآونة لما فيه من القوة الابليسية فاذا تمكنت تلك البواعث على أفراد الانسان حرم سعادة الدنيا والآخرة وكانت حياته فى الدنيا حياة الوحوش المفترسة بالنسبة للاقوياء والحيوانات الداجنة بالنسبة للضعفاء فتفضل الله وهو ذو الفضل العظيم فضلا منه لا وجوبا عليه كما تفضل على الانسان بمواهبه العلية وكما سخر له مافى السموات ومافى الارض جميعا من فضله فارسل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وأيدهم بالمعجزة الباهرة وأنزل عليهم حقائق التوحيد وحقيقة العدل فى المعاملة وأحكام العبادة ونوع العبادات منها مايكرر يوميا كالصلوات لدوام استحضار المنعم المتفضل وشكره وتعظيمه واشعار القلب بجلاله ثم أنه سبحانه وتعالى بين أن المطيع مع ماينالهمن سعادة الدنيا القيامه بأحكام الشريعة يفوز بنعيم مقيم يوم القيامة فضلا منه وكرما وأن المخالف للرسل عليهم الصلاة والسلام العاصى مع ماينالهمن الشقاء فى الدنيا يعذب فى نار جهنم عقوبة له وبين سبحانه حقيقة المعاملة والحقوق فشمل العدل جميع الخلق من بنى الانسان وغيرهم بتنفيذ أحكام الله سبحانه وتعالى والعمل بوصايا رسله عليهم الصلاة والسلام فمن نظر الى تلك الحكمة وأقبل مسلما لله وجهه منيبا اليه سبحانه ظهر له فضل الله العظيم ورحمته الحقيقية لسعادة بنى الانسان ونعمته العظمى سبحانه على الانسان بالبهجة الحقيقية واللذة يوم الحساب فسبحان ذى الفضل العظيم الحكيم الرحيم المنعم فالله سبحانه وتعالى ظهر بحكمته وفضله ورحمته ونعمته ومنته فى ذات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فأنعم علينا برسوله صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل أنقذنا الله تعالى به من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان قال سبحانه (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون) وقال سبحانه وتعالى (لقد منّ الله على المؤمنين اذ

بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وقال سبحانه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) وقال سبحانه (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وقال سبحانه (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا) وقال سبحانه وتعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) وقال الله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) وقال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) أي نعمته علينا بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبسند الامام البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن (ياأيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) وحرزا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا إله إلا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفا طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأألف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأمم متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس • وفي حديث آخر أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي أحمد المختار مولده بمكة ومهاجره بالمدينة • وفي رواية طيبة أمته الحمادون لله على كل حال وقال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) الآية وقد قال تعالى (فبما رحمة من الله لنت

لهم ولو كنت فظا غليظ القلب) الآية هذا وقد نبهنا الله تعالى لمننه علينا بحبيبه وخاتم رسله سيدنا ومولانا محمد حيث جعله رحمة عامة للمؤمنين رءوفا بهم صلى الله عليه وسلم لين الجانب سمحا سهلا طلقا برا لطيفا وجعلنا اكراما له صلى الله عليه وسلم شهداء على الناس يوم القيامة فكنا أمة وسطا وخير أمة أخرجت للناس اكراما لحضرته وتعظيما لشانه جمعنا الله به صلى الله عليه وسلم بعد التفرقة وهدانا به بعد الضلالة وأنقذنا سبحانه وتعالى به صلى الله عليه وسلم من شفا جرف هار في نار جهنم فاصبحنا بنعمة الله علينا بسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم اخوانا متحابين كاننا جسم واحد أو نفس واحدة في أعضاء متعددة كل فرد لكل فرد ككل عضو لكل عضو فسبحان ذي الفضل العظيم . ظهرت تلك الحقيقة بلا مراء جلية فان علموا وعملوا فكانوا خلفاء الله في أرضه أخضع لهم من خالفهم وأذل لهم من عارضهم مكنهم الله سبحانه في الارض بالحق ومن عليهم رضوان الله عليهم بما من به على أنبيائه من الفرقان والعرفان والقرب والمشاهدة واليقين عملوا لله فعمل الله لهم تحققوا بمعية الله سبحانه فكان الله سبحانه معهم ومن كان الله معه لا تدري نفس مقدار ما من به عليه وما انحرف قوم من المسلمين عن صراطه المستقيم وطريقه القويم الا أذاقهم الله لباس الجوع والخوف ومكن منهم عدوهم واذلهم أعوذ بوجه الله الكريم من مخالفة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

الواجب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

الحمد لله ثبتت دلائل النبوة وقامت الحجة العقلية والنقلية على حقيقة رسالته صلى الله عليه وسلم وشهدت العيون والقلوب على ما تيقنته من صحة تصديقه واست في مقام اثبات دلائل الرسالة وسرد الادلة وشرح المعجزة لان ذلك أمر اعترف به العدو والصديق والمسلم والكافر اذا ألقى السمع وهو شهيد الا من قطعهم العناد عن شهود تلك الشمس المشرقة في الافق الصحو فما على الآن الا أن أبين الواجب علي وعلى كل فرد مسلم وتنحصر أنواع الواجب علينا في تصديقه واتباعه في سنته وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وفي

حكم الصلاة والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم وزيارة قبره صلى الله عليه وسلم والمودة فى قرابته صلى الله عليه وسلم .

وجوب التصديق والطاعة والاتباع

بديهى ان الخير مقصود لكل عاقل وأن الشر عدو كل عاقل وتحقق أن الخير والسعادة والفلاح فى الدنيا والآخرة لا تنال الا بطلبها من وجوهها الحقيقية وتقرر أن سيدنا ومولانا محمدا هو رسول الله حقا وشهدنا أنه هو الرحمة العظمى الرءوف الرحيم بنا واعترفت العقول السليمة بذلك وشهدنا بالحس فى هذه الدنيا أن مخالفته والعمل بغير وصاياه سبب فى شقاء الدنيا وفساد المجتمع الفاضل الكامل وهلاك الفرد المخالف فالواجب علينا فيما بالواجب لا نفسنا الا ان الله سبحانه وتعالى غنى عن العالمين ورسوله صلى الله عليه وسلم عدو للكافرين والفاسقين والمجرمين أن نصدق سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا يبلغ من اليقين أن نعتقد أنه هو الرحمة الحقيقية لنا والسعادة الحقيقية لنا وأن وصاياه لم تكن الا الخير الحقيقي الذى هو مقصود العقلاء وبه لذة الحياة الدنيا والاخرى بحيث نتحقق ان مخالفته صلى الله عليه وسلم شقاء لابداننا وذل لنا وعذاب لارواحنا وهلاك لمجموعنا وذهاب لريحنا وفشل لنا . ويجب علينا ان نطيعه صلى الله عليه وسلم اطاعة عن تبصرة متحققين ان طاعته صلى الله عليه وسلم نجاة الابدان وسعادة الارواح وبها العز فى الدنيا والنعيم المقيم فى الآخرة بحيث أن نجاهد أنفسنا الجهاد الاكبر فى لزوم طاعته صلى الله عليه وسلم والعمل بوصاياه حتى تلين ولو أن ذلك أدى الى مالا يلائم النفس بل ولو أدى الى ذهابها أو ذهاب المال والجاه كل ذلك بيقين حق ولذة وسرور وفرح وأنس حتى تلين النفس وتنقاد لسنته وتتلذذ بعمل أوامره وتستوحش من كل مخالفة فى صغيرة أو كبيرة . ويجب علينا أن نحبه صلى الله عليه وسلم حبا أشد من حبنا لانفسنا وأموالنا وأولادنا حبا يجعلنا نحافظ على سنته ونحيي كلمته ونتفانى فى ذلك منافسة فى نوال أعلى درجات

المحبة فيه صلى الله عليه وسلم لاننا بذلك نفوز بحقيقة الكمالات وننال أرفع منازل الوصال لاننا بحبناله صلى الله عليه وسلم أحببنا أنفسنا لاننا بمحبته صلى الله عليه وسلم المحبة التى تجعلنا نعتقد أنه أولى بنا من أنفسنا وأرحم بنا منها وأرأف وأشفق وأعلم بخيرنا منا مع ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الخلق العظيم والعاطفة الحقيقية والحكمة البالغة فى اظهار الحق لنا ودعوتنا للسعادة الحقيقية وما تحمله صلى الله عليه وسلم فى سبيل نجاتنا وخلاصنا حتى عاتبه الله سبحانه وتعالى عتابا شديداً بقوله سبحانه وتعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقوله سبحانه وتعالى (إن تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل) وقوله سبحانه (فبما رحمة من الله لنت لهم) وقوله سبحانه وتعالى (إن عليك إلا البلاغ) وقد تحققنا يقينا سنة الله فى الرسل قبله صلى الله عليه وسلم بالتواتر أن بعضهم دعا على قومه فاهلكهم بالطوفان والآخر صلوات الله عليهم أغرقهم فى اليم ومن الامم من خسفت بهم الارض ومنهم من مسخوا قردة وخنازير ومنهم من أهلكهم بالسنين ولم يتحمل نبى من قومه ما تحمله صلى الله عليه وسلم من قومه فكان صلى الله عليه وسلم إذا اشتد به الامر قال (رب اهد قومى فانهم لا يعلمون) فاى عقل سليم ونفس زكية تتمثل ما أنعم الله به علينا بهذا الحبيب الاكبر صلى الله عليه وسلم ولا تتأله حبا فى ذاته صلى الله عليه وسلم وعشقا فى أخلاقه صلى الله عليه وسلم ومحافظة على سنته صلى الله عليه وسلم فالسعيد حقا من منحه الله جزيل منته وعظيم نعمته حتى تمثل هذا السيد صلى الله عليه وسلم وعلم بعض ما منّ الله به علينا فانزله صلى الله عليه وسلم فى أعلى المراتب من الحب والتعظيم وقام مجاهداً نفسه فى العمل بسنته صلى الله عليه وسلم هذا من حيث كمالاته صلى الله عليه وسلم فكيف إذا تمثلنا ما ننال به من السعادة صلى الله عليه وسلم وما نبلغ به من درجة الكمال فى النعيم الجسمانى والسعادة الروحانية ذلك ما يجعلنا نجعل محبته صلى الله عليه وسلم فوق محبتنا لانفسنا ونجعل اتباع سنته صلى الله عليه وسلم أولى من لذتنا وحظنا نعم قد انكشفت تلك الحقيقة وتجلت لمن من الله عليه بنوره من العقل الذى يعقل عن الحق سبحانه أحكامه وحكمه وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وصاياه وارشاداته وقدر رأفته بنا وحنانته ورحمته بنا صلى الله عليه وسلم وان حجب الحقيقة حجاب الحظ والهوى

عن أناس ؟ طالت نومة غفلتهم و رقدة جهالتهم ممن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها فان هؤلاء ليسوا من بني الانسان وان كانوا على صورة الانسان قال الله تعالى (أن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) وقال سبحانه (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) وقال سبحانه وتعالى (ذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) هذا وان من بعض بني الانسان من هم على صورة الانسان وهم شياطين على صورة انسان وهم أهل النفوس الخبيثة المطبوعة على الجحود والانكار والتشكيك والريب والحسد وهم أهل الجدل المارقين عن الحق ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة لا يبصرون الا في ظلمة الضلالة ولا يفقهون الا في ليل الغواية ولا يسمعون الا من قرين السوء وداعي الفساد كالخفاش لا يبصر الشمس ضحوة في السماء الصافية ولا يصدق بوجودها ولو أقاموا له ألف حجة ودليل لم يكن ذلك لان الشمس محجوبة عن الابصار بل لانه لا يبصر الا في الظلام وليس الخفاش حجة لبقية الطيور على أن الشمس ليست موجودة فكيف يكون موتى القلوب حجة لاهل العقول السليمة على ما حرموه من النور فلم يبق لعاقل الا أن يشكر الله على ما أكرمه به من النور ووفقه له من العلم والعمل ومن ؟ به عليه من الايمان والاسلام . اذا تقرر ذلك فالواجب على كل من من ؟ الله عليه بالاسلام أن يهتدي ؟ بتلقي ما أوجبه الله عليه من العقائد والعبادات والمعاملات والاخلاق و يتعلم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قول وعمل وحال وأخلاقه صلى الله عليه وسلم من الصبر والرضا والصدق والامانة والرحمة والرأفة والحرص على سعادة الخلق أجمعين والتواضع والتوكل والشجاعة والنجدة والاقدام والبر والصلة والفضيلة والمروءة والعفة والحكمة والمداراة والعفو والبشاشة والغضب والانتقام والاكرام بحسب مناسبات كل وقت ومقتضياته فيغضب حيث يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم و يرضى حيث يرضى و ينتقم حيث ينتقم و يعفو حيث يعفو حتى يكون عاملا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم متخلقا بأخلاقه متشبها بحاله صلى الله عليه وسلم فاذا كملت تلك المعاني علما بمعونة الله وقام بها عملا بتوفيق الله سبحانه وتعالى تحقق العبد بكمال الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمحبة له صلى الله عليه وسلم والبر به والمودة لاقاربه صلى الله عليه وسلم و بالصلاة عليه صلى

الله عليه وسلم حتى يكون كاملا فى كل تلك المعانى ويكون من أهل معيته صلى الله عليه وسلم الذين وصفهم الله تعالى فى آخر الفتح ولو كان فى القرن الرابع عشر من الهجرة أو أكثر منه .
ومن الواجب علينا لجنابه صلى الله عليه وسلم أن نتعلم آدابه صلى الله عليه وسلم التى أدّبه الله تعالى بها فى نفسه صلى الله عليه وسلم ومع أهله وجيرانه واهل المدينة والوفود . وآدابه صلى الله عليه وسلم فى التعليم والصلح والاصلاح والاكل والشرب والنوم والمجالسة والمعاشرة والنصيحة والموعظة . وآدابه مع أهل الفضل والنسب والحسب . وآدابه صلى الله عليه وسلم مع الفقراء والمرضى . وآدابه صلى الله عليه وسلم فى غزواته ولباسه ومشيه وخصوصا فى صلاته وصيامه وحجه صلى الله عليه وسلم وفى حال معيشته بل وفى كل ما يجب وما يكره نتعلم ذلك كله من طرقه الصحيحة وأسانيده الحسنة ونجاهد أنفسنا الجهاد الاكبر أن نتشبه به صلى الله عليه وسلم ونسارع الى التوبة إن قهرتنا النفس على عمل فى غير سنة واضحة وحجة بينة وليس على السنة من علم بعض الدين وعمل به وترك العلم بما لابدّ له منه فبعض الناس ممن يجتهدون فى تعليم أركان الاسلام ويجهلون بقية شعبه ويظنون أنهم يحسنون صنعا فيجهلون علوم الاخلاق والمعاملة التى هى الدين ويحسبون أنهم تكملوا فى الاسلام وبينه وبينهم مراحل ولا إخالك أيها القارىء تظن أنى أحتم عليك أن تتعلم أصول الدين وفروعه مما لا بد لك منه وما لا حاجة لك اليه فاقول لك انى لا أعنى أن تتعلم طرق الاختلاف وأصول الاستنباط وعلم الفصل فى القضايا والافتاء والمواريث وتدبير الجيوش والولايات فان ذلك خاص بمن تعين عليه ولكنك أيها القارىء على يقين أنك لا بد لك من معاملة تجب عليك لوالديك واخوانك وأهلك وأولادك وجيرانك والصناع والتجار والزراع والعمال فيجب عليك أن تتعلم الاحكام الشرعية التى يمكنك بها أن تبر والديك وتصل رحمك وتحسن معاشرة أهلك وأولادك ومعاملة جيرانك وخدمك بحيث لو جهلت ذلك لعملت فى غير سنة وكنت على غير هدى ودخل عليك الحرام من حيث لا تشعر ووقعت فيما يغضب من حيث لا تعلم فالواجب علينا جميعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن نجعل كل أعمالنا مؤسسة على السنة قياما بالحقوق الواجبة علينا لجنابه صلى الله عليه وسلم وبالحقوق الواجبة علينا لانفسنا

حتى نبلغ غاية الكمال الذى أهلناله و إلا فنكون أهلكنا أنفسنا بجهلنا قال الله تعالى فى وجوب الايمان به وفرض طاعته واتباع سنته (فآمنوا بالله و رسوله والنور الذى أنزلنا) وقال سبحانه (إنا أرسلناك شاهدا ومبشراً ونذيرا لتؤمنوا بالله و رسوله) وقال سبحانه وتعالى (فآمنوا بالله و رسوله النبى الامى) الآية وقال سبحانه وتعالى (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) وقال سبحانه وتعالى(وان تطيعوه تهتدوا) وقال سبحانه وتعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقال سبحانه وتعالى (ومن يطع الله والرسول فاولئك) الآية وقال تعالى (وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) يظهر من صريح تلك الآيات أن الله تقدست ذاته جعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم عين طاعته وقرن طاعته سبحانه وتعالى بطاعته صلى الله عليه وسلم و وعد جل ذكره على ذلك بجزيل الثواب وأنذر من خالف سوء العقاب وأوجب امتثال أمره واجتناب نهيه صلى الله عليه وسلم وأجمع المفسرون والائمة على أن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم تتحقق فى التزام السنة والتسليم لما جاء به . سئل سهل بن عبدالله عن شرائع الاسلام و بسند البخارى عن سيدنا أبى هريرة رضى الله تبارك وتعالى عنه يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصا أميرى فقد عصانى » هذا وقد ورد فى القرآن الكريم أن الكفار وهم فى الحطمة (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم «اذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه واذا أمرتكم بامر فاتوا منه مااستطعتم» وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم كل أمتى يدخلون الجنة الامن أبى قالوا ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى . وفى الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقوم انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى واتبع

ماجئت به ومثل من عصانى وكذب ماجئت به من الحق وفى الحديث الآخر فى مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

﴿ وجوب اتباعه والاقتداء بهديه والعمل بسنته صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) وقال سبحانه (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) وقال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية الى قوله تسليما) أى ينقادوا لحكمك وقال تعالى (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) الآية عن الترمذى الاسوة فى الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته فى قول أو فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه . تلك الآيات القرآنية الشريفة جلية الوضوح بينة المعنى دالة على أنه صلى الله عليه وسلم النور الحقيقى المضىء لسبل الله والصراط المستقيم الموصل الى حضرة القدس وأن أعماله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأقواله ووصاياه هى المعارج التى تعرج عليها الاشباح والارواح الى حظائر الملكوت الاعلى ولو أن العقل ترك وشأنه متجردا من كل حظ يكسف نوره وهوى يطمث بصيرته لانكشفت له حقيقة السعادة فى تلك الدار الدنيا وأكمل الخير الحقيقى فى الحياة الباقية الابدية ممثلة فيما جاء به هذا السيد صلى الله عليه وسلم لان وصاياه صلوات الله عليه وهديه القويم وأخلاقه الكريمة كوقاية للعالم الحى من الشرور ومراق للنوع الانسانى الى أكمل منازل السعادة وأجمل معانى الفضائل كيف لا وقد قوم الاخلاق المعوجة وكشف سحب الظلمات عن شمس التوحيد ومحى غياهب الضلال بنور الدلائل حتى سجد العقل معترفا وصفى الخيال معترفا وملأ القلوب السليمة حبا لذاته لان الله صاغها من رحمة ورأفة وحنان

وليس على ذى اللب الا المسارعة فى التشبه بجنابه صلى الله عليه وسلم حتى يفوز بقسط وافر من تلك الفضائل الكاملة والمزايا الفاضلة والجزاء العظيم والنعيم المقيم وليست النفوس اللاهية عن العمل بهديه صلى الله عليه وسلم وان غرقت فى يم الغفلة والنسيان بمنكرة هذا الفضل العظيم ولا بجاحدة هذا المقام الجليل و ربما تمثلته ببصيرته فجذبته نسمات هـذا الروض الزاهر الى الانابة الى الحق والنزوع عن الباطل والتجافى عن دار الغرور وأقبلت بقلب سليم عشقا فى تلك الشمائل واعجابا باخلاق تتعشقها الارواح . ولسنا فى صدد ذكر نبذة من تلك المعانى فقد صارت كالشمس صحوة فى نهار الصيف

﴿ وجوب محبته والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والآيات والاحاديث الواردة فى ذلك ﴾

قال الله تعالى (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله و رسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره) هذه الآية الشريفة نور للقلوب المستضيئة بنور اليقين لان الله تعالى جعل كل مؤمن يكون حبه لوالديه وأولاده واخوته وزوجاته وعشيرته وأمواله أكثر من حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاسقا ضالا وأوعده بان يتربص حتى يأتى أمر الله . نعوذ بالله أن يكون شئ أحب الينا من الله ورسوله . الاحاديث الواردة فى وجوب محبته صلى الله عليه وسلم . بسند الامام أبى الفضل عياض رضى الله عنه عن سيدنا أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده و والده والناس أجمعين . وعن سيدنا أنس رضى الله عنه ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله و رسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار . وعن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت أحب الى من كل شئ الا نفسى التى بين جنبى فقال له

صلى الله عليه وسلم لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه فقال له عمر والذى أنزل عليك الكتاب لانت أحب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الآن ياعمر

٭

﴿ مراتب محبته صلى الله عليه وسلم ﴾

هذا المقام هو المقام الذى تتفاوت فيه الهمم ويتنافس فيه المتنافسون وما بلغ عبد مقام قرب الا بحب لجنابه صلى الله عليه وسلم وبقدر ماينكشف للعقل من معانى كمالاته عليه الصلاة والسلام ومايشرق على القلب من أنوار أسراره تكون المحبة فقد تبلغ بالعالم بكمالاته صلى الله عليه وسلم مبلغا تتخلل المحبة جميع أعضائه حتى ينصبغ بالحق صبغة تجعله مثلا يمثل تلك المعانى وصورة كاملة للحقيقة المحمدية حتى يكون منطبعا على الكمال مجملا بالفضائل قولا وخلقا وعملا سرا وعلانية ولا يزال فى كل نفس فى مزيد من التجمل بتلك الاسرار والتحلى بجمال المعانى بانكشاف حكم الوصايا وأسرار الاحكام وحقيقة الرحمة والرأفة والحرص وظهور خيرالمآل وسعادة الابد فيكون المحب فى هذا المقام كمن انبلجت له شمس تلك الحقيقة مشرقة فى أفقه فوضحت له المناهج ورفعت عنه الستائر وتيقن بقدر مافاز به من المواهب وماظفر به من الخيرات وتحقق جمال معانى من أمده الله على يديه بتلك المنن فكانت ذاته محبوبة لكمالاتها الذاتية ووصاياه وتعاليمه محبوبة يسارع فى التجمل بها لماينال به من الفضل والرضوان وهو مقام الواصلين

﴿ الحب فى مقام السالكين ﴾

السالك هو من علم زوال الدنيا وبقاء تبعاتها وتيقن بيوم الحساب وتحقق أن طريق النجاة من أهوال القيامة هو المحافظة على سنة سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم :

وتبين بنور العلم أنه صلى الله عليه وسلم الواسطة العظمى للوصول الى النعيم المقيم فعشقه صلى الله عليه وسلم لما ظهر له أنه سر النجاة و باب الفلاح والسعادة عشقا جعله عاملا بالسنة محافظا عليها متحققا أن محافظته هي عين سعادته وفلاحه مقبلا بقلبه وظاهره على العمل بالسنة والكتاب محبا للعلم والعلماء ملازما لمجالسهم لانه لا يتوصل الى سعادته الا بالعمل بالسنة والسنة لا تنكشف له الا بصحبة العلماء فمحبة هؤلاء محبة لنوال السعادة لانهم يحبون سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لانكشاف كمالاته وعلم مقاماته صلى الله عليه وسلم بل لانه علم أن السعادة في اتباعه صلى الله عليه وسلم فأحبه كحب الطفل لوالديه لرؤيته الخير واصلا اليه منهما وهذا هو الحب الذي به يبلغ المريد درجة الوصول . أما الحب الذي يدعيه الادعياء ولم يتمسكوا بسنته فليس بحب . اذ المحب لمن يحب مطيع . ومن الجهلاء من يكون في قلبه حب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولآل بيته الكرام فيشغله ذكر ما منّ الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وما أكرم به آل بيته الكرام و يترك التعلم والعلماء ويترك العمل بالسنة تركا عن قصد و يظن الجاهل أنه على شيء وأنه محب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الحقيقة مدع مغرور لان حب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو التحقق بما كان عليه صلى الله عليه وسلم والتجمل بالعلم والعمل الموافق للسنة لان مخالفة السنة أوجهل ما لابد منه انحراف عن الطريقة المستقيمة لانه ليس بعد الحق الا الضلال وليس بعد السنة الا البدعة المضلة فمن يدعي محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو محبة آل بيته الكرام و يترك تعلم السنة والعمل بها و يغتر بحالته يخشى عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى . وأن بعض الجهلاء يخدعون العامة فيشغلونهم عن تعلم السنة والواجب عليهم في دين الله تعالى و يوهمونهم أن هذا هو الطريق الموصل الى الله تعالى وهم دعاة للشر وأبواب لجهنم و ربما جعلوا الطريق سببا في اكتساب الاموال فطلبوا الدنيا بعمل الآخرة وهم الذين لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله صلوات الله عليه (ملعون ملعون قالوا من يارسول الله قال من طلب الدنيا بعمل الآخرة) . وأما محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتحقق الا لمن عمل بسنته بعد علمه بها وأحب العلماء العاملين بها حبا لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ولو كانوا من الاعاجم كما أحب سيدنا الحسن بن علي سيدنا سلمان الفارسي وتلقى عنه العلم وأحب أشراف بني هاشم بلالا وصهيبا حبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آله صلى الله عليه وسلم بنص قوله صلى الله عليه وسلم (آل محمد كل تقي) وقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت . وقوله صلوات الله عليه أدخل الاسلام بلالا في نسبي وأخرج الكفر أبا لهب من نسبي . فنسبه المتصل صلى الله عليه وسلم هو العلم بسنته والعمل بها مع حقيقة التقوى وبذلك يتحقق حبه صلى الله عليه وسلم بالمتجملين بتلك المعاني وليس على طالب الحق والفوز بالسعادة الابدية عسر في تحصيل أحكام السنة والعمل بها لتيسير ذلك وسهولته على النفوس الزكية وقبوله لدى العقول الكاملة فان أخلاقه صلى الله عليه وسلم التي كان عليها وأمر بها تتهيم فيها العقلاء وتتعشقها الانفس والعقيدة التي أمر بها صلى الله عليه وسلم يطمئن بها القلب وينشرح لها الصدر ويقبلها بالسرور كل عقل والمعاملات التي رغب فيها صلى الله عليه وسلم هي الاساس التي عليه سعادة المجتمع الانساني وصفاء حياته ورغد عيشته ودوام أنسه لانها تجعل المجتمع كجسم واحد يسعى كل عضو منه لصالح الجميع ولولا أني لم أكن في مقام بيان السنن اذ ذلك قد وضحته في كتاب أصول الوصول وغيره من الكتب لذكرت نموذجا من ذلك والحمد لله فان وصاياه صلى الله عليه وسلم سوت بين بني الانسان في المعاملة حتى صار العدل شاملا كل فرد من الافراد والفضل عاما للجميع مع ما بينه صلى الله عليه وسلم من حكم المعاملات وأسرارها السعادة الدنيا والآخرة وما أوجبه صلى الله عليه وسلم على كل مسلم من الاعمال التي بها حفظ صحته وماله وأهله حتى كان المخالف للسنة ينحط عن رتبة الانسانية وينزل الى مرتبة الوحوش الضارية لانه بمخالفته للسنة برهن على فساد فكره وفقد عقله وكيف لا وقد ترك الخير المحسوس الى الشر المحسوس ولا يفعل ذلك البهيم الاعجم كل ذلك واضح جلي حتى للصبيان فترى الصبي اذا فعل ما يخالف السنة اجتهد أن يخفيه وأنكره ونفاه عن نفسه لعلمه أن ذلك قبيح لا يليق بالانسان فكيف برجل بالغ كمل عقله وتوفرت صحته يخالف السنة ويكون انسانا حقيقة وربما يعترض علي معترض قائلا انا نرى كثيرا من أهل العقل والفكر يخالفون

السنة أو يكفرون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فأجيبه أن دعوى أن عاقلا يخالف السنة أو يجحد الحكيم الخالق الصانع أو الداعي الى الخير لا حجة لك عليها فان العقل اذا قامت له الادلة ووضحت له الحجة وتبين له المقصود سجد متبتلا واعتقد جازما وأما من ادعيت انهم عقلاء فان كان مجرد علمهم بجانب الدنيا وتفننهم في استخدام الآثار الكونية وقيامهم بعظائم الامور وتأثيرهم على غيرهم بالقوة القاهرة دليل على عقولهم فذلك مالا يقول به من جمله الله بالعقل وكمله بالنهى وأيده بنور الحجا الا نرى كثيراً من انواع الحيوانات تعمل أعمالا تعجز بني الانسان بصناعات يجهد الانسان نفسه في تلقيها منها . وأمامك العنكبوت وحيلها في صيد غذائها بما تصنعه من النسيج كالشبكة والنحل في هندسة الاشكال وتنظيم مدينته وادارة شئون مملكته ودقة صنعه وما يقدمه الانسان والنمل في حرصه وتنظيم مساكنه بجعل مواطن خزن الغذاء لا يضرها السيول الجارفة ولا تغيرها رطوبة الارض ولا يحبس عنها الهواء والكلب في وفائه واخلاصه وقيامه بالواجب عليه والطيور في نظام سيرها واتحادها ولو نظر العاقل الى ما يقوم به بعض أنواع الحيوانات من الحكمة العملية والحرص والتدبير والتعاون لفضلناه على من تدعى أنهم عقلاء وكيف لا وكثير من الحيوانات يفكر في مستقبله فيحرص على قوته ويعمل له مساكن للصيف والشتاء أهذا عن عقل انما تلك فطرة فطر الله عليها كل حيّ ليحفظ بها حياته في المدة التي قدرها الله له وانما العقل الذي يعتبر انه عقل انساني هو العقل الذي يعقل الكمالات والفضائل ويشهد الغائب بالمشهود ويدرك الحكم والاحكام ويعقل عن الله احكامه سبحانه وتعالى وحكمه ويدرك حقيقة نفسه وحقيقة الدنيا وأنها دار ذائلة ومزرعة الآخرة فيعمل فيها ليخلص نفسه منها ويجد لينتقل الى دار البقاء وقرار السعداء ونزل الابرار هذا واذا كان العقل الانساني نهاية قواه استخدام ما حوله من الكائنات كما تستخدم الحيوانات والنباتات جميع ما أحاط بها مما يلائمها بدون أن تدرك الكمالات النفسية أو تعلم بقبح القبيح وحسن الحسن أو تعتقد بيوم الجزاء والسؤال أو تستدل بالنظام المشهود وغريب الحكمة المحسوس وعجيب الصنع الملموس بوجود قادر حكيم مدبر صانع لان ما فيها من القوى التي تدرك بها الضار والنافع ليس عقلا انسانيا بمعناه الحقيقي وانما هي غريزة

فطرية والهام من الله تعالى ولذلك فالله سبحانه وتعالى خلق لكل نوع منها صورة خاصة مؤهلة لمعاونته وأعضاء خاصة للغذاء وللمدافعة وللحركة وللتنفس فترى الحيوانات المائية والحيوانات الجوية والحيوانات التي تعيش تحت طبقات الارض وهب الله لها ما به تطيب حياتها ويحفظ نوعها وقد نرى كثيرا من الحيوانات ما يتهذب فيبلغ في اجادة ما أهل له مبلغا يكاد يكون عند الانسان أحب اليه من ماله واهله كالفرس والكلب والفيل والنسناس والقردة ن يقول ان تلك القوى عقل فهو غير عاقل فكذلك الانسان الذي استخدم ما حوله من الكائنات بالقوة الغريزية التي أودعها الله فيه بقدر ضرورياته وكمالاته الحيوية ونافس في نيل الحياة الطيبة في تلك الدار الدنيا حتى استخدم ما حوله من العناصر المجردة كالنار والهواء والماء والتراب وغيرها كالجمادات والمعادن والنباتات والحيوانات بالتركيب والتحليل والتربية واخترع غرائب المخترعات بغير نظر بعيون الفكر الى الآيات المنبلجة في تلك الكائنات ولا جهاد للنفس في سبيل المعرفة بالله تعالى ونيل كمالاته النفسانية فانه حيوان كثير الحاجة أدنى من الحيوان الاعجم ولو تصرف في الماء والهواء والنار والتراب بقوة الالهام الذي جعله الله له آلة يحفظ بها حياته المدة التي قدرها الله له في الدنيا فان أضاع عمره في شهواته الحيوانية وضرورياته الجسمانية تمنى يوم القيامة أن يكون ترابا لانه عاش في الدنيا عيشة الحيوان ويحاسب في الآخرة حساب الانسان ٠ ومن هذا استنتجوا أن الانسان الذي لم يستعمل عقله حتى يقوى ويسترشد به لتنبلج له أنوار العقيدة الحقة حتى يقول لا اله الا الله الواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ويصدق بمولانا رسول الله سيدنا محمد وبجميع رسل الله عليهم الصلاة والسلام فليس بعاقل بل وليس حيوانا لانه صار أدنى من الحيوان رتبة لان الحيوان الاعجم يستعمل كل غريزته فيما خلقت له بوجه أكمل والانسان الموهوب له العقل الكامل الذي باستعماله يبلغ درجة الى أن يكون خليفة عن ربه سبحانه وتعالى ويبلغ درجة من السعادة القصوى يكون فيها في روضات الفردوس الاعلى تتولى خدمته الملائكة الروحانيون وان أهمل تلك القوة انحط الى أسفل سافلين حتى يهوى في نار جهنم نعوذ بالله من اهمال استعمال العقل أما المصدق

بالله ورسله المؤمن بيوم الحساب الذى يخالف السنة فهو عندى كالحيوان لانه انقاد لحظه وشهوته كما ينقاد الحيوان للانسان فيحمل عليه و يركبه أو يذبحه ليأكل لحمه فكذلك الانسان المخالف للسنة ولو بلغ من العلم بظاهر الحياة الدنيا مبلغا يستخدم فيه حرارة الشمس وزوابع الرياح وتيارات الماء و يخترع فيه ما يعجز الصناع وليس قصارى كمال الانسان بمعناه الحقيق أن تتوفر لديه أشهى المطاعم وأجمل الملابس والخيل المسومة والمساكن المشيدة وألذ المناكح فان الطاووس أجمل ثيابا والنحل أنظم مساكن والسبع أنفذ كلمة وأجرأ قلبا وأشد جأشا والخنزير أشد شبقا وأكثر سفادا والحمام أطرب وأرخم صوتا . وانما هذه كمالات من لا علم لهم بفضائل النفس ودرجات رقيها ولذتها الروحانية . وكفى الحيوان الذى هو على صورة الانسان تعسة أن يحرم فى الدنيا ملاذ صورته و يعذب فى الآخرة فيكون الجماد خيرا منه والحيوان أفضل منه قال الله تعالى مشنعا عليهم (يأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم) وقال سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون) وقال سبحانه (إن هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا) فهم مسؤلون سؤال العاقل الكامل ومؤاخذون مؤاخذة المفكر البصير لان الله جلت قدرته جعل لهم عقلا يعقل وأرسل لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام فاقاموا الحجة القاطعة على صدقهم أنهم رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم و بينوا مناهج الحق وسبل الهدى بيانا تلمسه العقول إذا خلصت من سجن الحظ والهوى وتجردت من درن الامل وعمرهم الله عمرا يتذكر فيه من تذكر كل ذلك أمدهم الله تعالى به حبا فى اقبالهم فأبت تلك النفوس التعسة أن تلقى السمع أو يكون لها قلب يتقلب فى جلال وجمال مبدع الكون أو بصيرة تخرق سياج الكون حتى تشرق عليها أنوار وميض حظيرة القدس الاعلى لتسكن تلك النفوس الى منفسها والقلوب الى مقلبها والارواح الى مروحها بظهور راحه و ريحان مشاهدته كل ذلك تفضل به المتفضل وأفضل نعمة أمد بها عباده وأكمل منة تقرب بها الى أحبابه هى نعمته علينا بحبيبه صلى الله عليه وسلم الذى جعله رحمة من رحمته وأقامه مقامه صلى الله عليه وسلم ولم يقم أحد هذا المقام من عالين وكروبيين وحملة العرش والسفرة الكرام والرسل المقربين عليهم الصلاة والسلام وكيف لا

وقد قال سبحانه وتعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) وقال تعالى (إن الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم) وليس بعد التصريح بأيديهم بعد أن وضح فى افتتاح الكلام المقدس أنه يخاطب حبيبه خفاء على ذى عقل أنه أقامه مقامه حقاً وأنابه عنه صدقا وما ذلك الا لانه صلى الله عليه وسلم حقيقة ما يحب الله وجلى ما يريد الله عقيدة وقولا وعملا وحالا فمخالفه صلى الله عليه وسلم لم يكن مخالفا له صلوات الله وسلامه عليه وانما هو مخالف لربه ظالم لنفسه وهو صلى الله عليه وسلم فرق بين الحق والباطل فلا يتوهم متوهم أن مخالفا لسنته صلى الله عليه وسلم ولو بلغ من العلم مبلغ ابليس ومن السلطة مبلغ فرعون عاقل ولكنها غريزة كغرائز الحيوانات يستعملها كما يستعمل الحيوان الاعجم غريزته وفطرته وليس بعاقل عند العلماء . وقد يغتر بعض من لا علم له عن علموا ظاهرا من الحياة الدنيا ويعتقدون أنهم عقلاء وهم كفار أو عصاة ويرى بعض المتمسك بدينه فارا من زهرة الدنيا مستوحشا من ملاذها التى يألفها المغرورون متلذذا بما يتألم منه غيره فيظن المغرور لجهله أن التقى غير عاقل . وما ذلك الا لجهله بملاذ النفس وكمالاتها ووقوفه عند ملاذ الجسم فان الانسان اذا وقف به الهم على مأكل شهى وفراش وطىء ومنكح لذيذ فقد أشبه الخنزير فى سفاده والطاووس فى جماله والنحل فى هندسة عشه وكفى به تعسة أن تكون ملاذه لا تتعدى ملاذ الحيوانات العجم أنما ملاذ الانسان روحانية وكمالاته ملكونية ونعيمه بمشاهدة آيات ربه وحضوره بمعيته سبحانه وتعالى

﴿ علامات المحبة الصادقة ﴾

قلت المحبة الصادقة لان الفضائل والكمالات محبوبة للنفوس حتى أن مرتكب الرزائل يكره أن تنسب له ويتظاهر بالفضائل ويخاصم من يذكره بقبيح أعماله أمامه أوفى غيبته وينكر على من يعمل الرذائل انكاراً حقيقيا حتى قد يبلغ به استقباح الرذيلة فى غيره الى درجة يعاديه فيها ويقطع ما بينه وبينه من المواصلات مع أنه واقع فيما يعادى عليه غيره وأكثر لان

الانسان لا يقدم على عمل من أعمال الرذائل الابدافع يعمى عيون عقله عن شهود قبح الرذيلة حتى اذا نفذ القضاء تناسى وقوع تلك الرذيلة من نفسه وأنكر على غيره إذا رآه واقعاً فيها ولو عقب وقوعه مباشرة • ولما كان الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتشبه به صلوات الله وسلامه عليه والعمل بسنته صلى الله عليه وسلم هو الفضيلة الكاملة والسعادة الحقيقية والفوز العظيم وكان أكثر أهل الرذائل الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم يدعون أنهم يحبون السنة والعمل بها وأنهم يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم مل ءفاو بهم والحقيقة غير ذلك ولذلك أحببت أن أبين علامات المحبة الصادقة ليتميز الصادقون فى المحبة من الادعياء * فأول علامة من علامات محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون المحب عالما بمقاماته صلى الله عليه وسلم وكمالاته عليه الصلاة والسلام مدركا قدر النعمة التى أنعم الله بها علينا ببعثته صلى الله عليه وسلم لنا فاهما أسرار حكمه ووصاياه صلوات الله وسلامه عليه والمعانى التى تتحقق بها المحبة لجنابه صلى الله عليه وسلم ومشاهداً مكانته من الله سبحانه وتعالى وما اختص الله به ذاته صلى الله عليه وسلم من الكمالات والجمالات وجلالة القدر والخصوصيات حتى صار أفضل الرسل والملائكة المقربين وفرد ذات الله المخصوص بخالص محبته سبحانه وتعالى ويتحقق يقينا بالفوز العظيم والخير الحقيقى والسعادة الابدية بالمحافظة على سنته صلى الله عليه وسلم هذا أكمل علامة يزن المؤمن بها نفسه فمن أنس من نفسه بتلك المعانى فقد أهل لمقام الحب واجتباه الله لمراتب الولاية واصطفاه للفوز بالقرب

﴿العلامة الثانية﴾ علامة المحبة للخير الواصل للمؤمن من حسن اقتدائه برسول الله صلى الله عليه وسلم • المؤمن حقيقة هو من صدق بالغيب وأسلم لله رب العالمين وسلم أمره لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم تسليما عن تبصرة بالايمان بيوم الحساب وتخيل عذاب ذلك اليوم ونعيمه وتحقق علم يقين أن النجاة لا تكون الا بالاقتداء بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحبه حبا بقدر فوزه ونجاته من ألم العذاب الذى يحصل لمن خالفه صلى الله عليه وسلم وحبا بقدر فوزه بالسعادة الابدية والنعيم الحقيقى فكان حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من حبه لنفسه إذ نفسه بدون اتباعه له صلى

الله عليه وسلم تجعله مخلدا في أليم العذاب أعوذ بالله من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يقوى هذا الحب حتى يبلغ بالمحب درجة يتلذذ فيها باحكام السنة ولو كان حكم السنة لا يلائمه أو أدى إلى فقد مال أو نفس لانه لكمال تصديقه بالغيب يرى أن اتباع السنة هو عين السعادة وحقيقة اللذة و يشتد التصديق حتى يكون الألم العاجل المؤدى إلى الخير الآجل لذة كما شوهد في كثير من الصحابة والتابعين والأئمة والعلماء بالله تعالى من تحمل الآلام والشدائد والتلذذ بها خصوصا عند الجهاد أو عند احياء السنة والامثلة لا تحصى في كتب السير و بمشيئته تعالى سأخصص رسالة خاصة أشرح فيها أحوال أهل المحبة وسيرهم وأكشف القناع عن مكنون مواجيدهم ذاكرا تلك الاحوال والمواجيد منسوبة الى الافراد الذين اجتباهم الله مبينا مأخذ تلك الاحوال من السنة والكتاب تكون طهوراً للنفوس وريحانا للقلوب

﴿العلامة الثالثة﴾ وهى علامة المريد السالك المؤهل لمشاهد الابرار وهى من دلائل الخير أن يكون المسلم مجذوبا بعامل قوى الى معرفة شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة والباطنة شغفا بعلم معجزاته صلى الله عليه وسلم وتعلم سننه صلوات الله وسلامه عليه مع الغيرة على السنة والحب في إحيائها و بغض البدعة والمسارعة الى سماع مذاكرة العلماء والتودد الى الاتقياء والانس بالفقراء والتسليم لاهل الاحوال مع العمل بالسنة والكتاب في نفسه بدون أن يكون في قلبه غل لمؤمن ولا حقد عليه حتى تكون همته في تزكية نفسه ومحو لفسها فيكون اذا رأى الجاهل المسيء تباعد عن عمله وحاله وهذه العلامة إذا ظهرت في المبتدى دلت على عناية الله به و بقى علامات المحبوب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسنا في مقام بيانها لانها من علوم المقربين وأسرار اليقين وانما أتكلم في هذه الرسالة بالعلوم التى تكون بها يقظة المسلم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة حتى يكون بها مسلما كاملا مريداً صادقا . و بالاجمال فالمحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم عامل بسنته متجمل بهديه صلى الله عليه وسلم ولا يتصف بالمحبة الحقيقية إلا من علم ما لابد منه من السنة والكتاب وعمل بعلمه مخلصا والا فهو دعى غره الغرور وخدعته نفسه . أسأل الله تعالى أن يمنحنا جميعا

الحب الخالص لذاته العلية ولذات رسوله صلى الله عليه وسلم و يعيننا على ما به نكون محبو بين لجنابه العلي ولرسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

بديهي أن شكر المنعم أوجبه الشرع والعقل و يتفاوت هذا الواجب بالنسبة لتفاوت النعم فشكر من أنعم عليك بطعام يوم أو بثوب ليس كشكر من أنعم عليك بقوت سنة . ولما كانت النعمة علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يحصيها الحاسبون وكيف لا وقد قال الله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) وقال الله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) فنعمة الله تعالى علينا لا يمكن حصرها لانها نعمة علينا في الدنيا بائتلاف قلوبنا الامر الذي به صرنا اخوانا متحدا بين بل أعضاء لجسد واحد يعمل كل عضو لمنفعة المجموع حتى بذلك دان لنا الخلق وحصلت لنا لذة الحياة وطيب المعيشة وتلك النعمة كلية لا تحصى مقدماتها وأسبابها ولا تحصر فوائدها وخيراتها وليست تلك النعمة خاصة بمن صدقه صلى الله عليه وسلم من المسلمين ولكنها عامة لكل الخلق من الانس والجن والملائكة والحيوانات والنباتات أما الملائكة فان الله سبحانه وتعالى أنعم عليهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بما أثنى عليهم في كتابه العزيز كل بحسب مقامه الذي أقامه فيه فقال سبحانه في أمناء الوحي (انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) وقوله تعالى (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة) وقال الله تعالى في الثناء على حملة العرش ومن حوله من الملائكة (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين

تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم) وقال سبحانه وتعالى فى الثناء على جميع الملائكة (قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين) وآيات أخرى لا تحصى فى الثناء على الملائكة عليهم السلام لم تكن الا فى القرآن الذى أنزله الله تعالى على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما به تروحت تلك الارواح الطاهرة وحصل لها الانس والبهجة والسكون الى جناب القدس الاعلى بعد أن كانت الرهبة غالبة على الرغبة فحصل التوسط الذى به تدوم لذة الارواح المجردة . هذه أجل نعمة أنعم الله بها بسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الملائكة مما يمكن أن يبين فى مثل هذا المختصر الذى وضع ليقظة المؤمن من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فاما النعم الخاصة بالمواجهة والمؤانسة بالقدس الاعلى والنيابة عن الحق سبحانه وتعالى فى التبليغ والارشاد فهذا علم لا ينبغى كشفه بالعبارة للعامة ولا تحبيره على صفحات الاوراق أما النعمة التى أنعم الله بها على الانسان برسوله وحبيبه صلى الله عليه وسلم لا فرق بين مسلمهم وكافرهم فما فطره الله عليه صلى الله عليه وسلم من الرحمة والشفقة وحب العدل والمساواة وما بينه صلى الله عليه وسلم لنا من حسن المعاملة وبذل السلام والاحسان حتى جعل لاهل الذمة ما للمسلمين من الحقوق وحظر على كل مسلم أن يظلم أو يجهل وأوجب على كل مسلم الرحمة على جميع الخلق فاصبح المجتمع الانسانى فى تقدم ورقى ومزيد من الحضارة والعمران وتبادل التجارة والعلوم وعم الامن جميع الناس ولم يجعل ميزة بين أنواع الانسان بل لا فرق بين عربى وعجمى الا بالفضائل ومكارم الاخلاق والخوف من الله تعالى . ومن تتبع سير الخلفاء الراشدين العاملين بوصاياه صلى الله عليه وسلم بعد أن أخضعوا كسرى وقيصر وفتحوا أكثر الممالك كيف انتشرت الحضارة وظهر العدل بأجلى مظاهره وساد الامن والامان واستوى النصرانى المصرى الفقير الصعلوك بامير مصر العربى الشريف القرشى يوم لطم القبطى أمير مصر بمشهد الحج الاكبر انتصارا للعدل واظهارا للمساواة بأمر أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب فالنعمة برسول الله صلى الله عليه وسلم نال منها كل فرد من

بنى الانسان قسطاوافرا لافرق بين مؤمن وكافر وانما خص المؤمن بالسعادة الابدية يوم الجزاء الاكبر فكانت النعمة به على المسلم فى الدنيا والآخرة أشمل ولغيره خاصة بالدنيا أما نعمته على الحيوانات فما بينه فى وصاياه صلى الله عليه وسلم من الحث على الرحمة بالحيوانات كقوله صلى الله عليه وسلم (من لا يرحم لا يرحم) وقوله صلى الله عليه وسلم (أن الله كتب الاحسان على كل شئ فاذا ذبحتم فاشحذوا المدية وأحسنوا الذبحة) وأحاديث كثيرة فى الحث على حسن العناية بدواب الحمل وغيرها وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان قافلا من غزوة فخرجت حية فبادرها بعض الصحابة لقتلها فلم يتمكنوا من قتلها فلما رجعوا سألهم صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال (وُقيت شركم كما وُقيتم شرها) فجعل صلى الله عليه وسلم قتلها شرا فترى المسلم حقيقة يرحم الحيوانات بأجمعها حتى اذا هم بقتل المؤذى منها اجتهد أن يكون قتله له برحمة حتى لا يعذبه وهذه الوصايا نعم عامة على جميع الحيوانات . أما نعمة الله به صلى الله عليه وسلم على النباتات فانه صلى الله عليه وسلم غرس النخل بيده وحث على غرس الاشجار وعلى العناية بسقياها وأخبر صلى الله عليه وسلم أن أجرها لا يحصى فظلها أجر وثمرها أجر وورقها للحيوانات أجر وجذعها للاستعمال أجر كل ذلك يجعل الانسان يعتنى بسقيا النباتات حتى صار المسلمون يتنافسون فى الزراعة ومعلوم أن النبات حى حياة تناسبه يحس بالمرض اذا لم يباشر بالماء ويبست المادة التى يتغذى منها . فنعمة الله عليه برسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرة جلية هذا سر قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) والعالم كل ما سوى الله . والنعمة به صلى الله عليه وسلم على المسلم لا تحصى ولا تعد وشكر النعمة واجب شرعا وعقلا فيجب على كل مسلم شرعا أن يصلى ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وجوبا عينيا وان رأى ذلك بعض العلماء مندوبا فانه ليس على اطلاقه عندهم ولكن ذلك كالنطق بالشهادتين فانه يتعين مرة واحدة ولكنى أرجح قول القائلين بالوجوب تكرارا وخصوصا فى التشهد الاخير من الصلاة كما رأى ذلك سيدنا الامام الشافعى رضى الله عنه وان الامر فى قوله لا اله الا الله انما يراد به الدخول فى الاسلام والواجب علم لا اله الا الله علما ينتقش فى النفس وينعقد عليه القلب حتى تحصل

المراقبة فى كل لحظة وتنفس قال الله تعالى (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو فهل أنتم مسلمون) فأوجب علم لا اله الا الله واجماع الامة على فرضية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى العمر مرة لا خلاف فيه وانما الخلاف فى تكرارها هل هو واجب أو مندوب فاوجبه الشافعى فى التشهد الاخير وقال القاضى أبو بكر بن بكير افترض الله على خلقه أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك بوقت معلوم فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها وقال مالك ابن أنس تاركها فى التشهد الاخير مسىء وأوجب الشافعى على تاركها فى التشهد الاخير أعادتها وأوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وكان محمد بن المواز يراها فريضة فى الصلاة وفى الحديث الشريف (لا صلاة لمن لم يصل علىّ) وإن ضعف الرواة هذا الحديث وقال الامام أبو جعفر بن محمد بن علىّ زين العابدين بن الحسين رضى الله عنه لو صليت صلاة لم أصل فيها على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته لرأيت أنها لا تتم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الدعاء والصلاة معلق بين السماء والارض فلا يصعد الى السماء منه شىء حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم ٠ ومن المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الدعاء روى أن الدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبى صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شرب أو لوضوء توضأ والا هراقه أو أهراقه ولكن اجعلونى فى أول الدعاء ووسطه وآخره ٠ وتتأكد عند ذكره صلى الله عليه وسلم وسماع اسمه أو الكتابة أو عند الاذان قال صلى الله عليه وسلم رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ ٠ وتتأكد كثرة الصلاة يوم الجمعة ٠ وتتأكد الصلاة عليه والسلام عند دخول المسجد واستدل على ذلك بقوله تعالى (فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) فان لم يكن فى البيت أحد فقل السلام على النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد ويظهر من تأويله رضى الله عنه اطلاق الآية هنا وتقييد الاخرى وهى قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا

على أهلها) الآية فقوله هنا تسنأنسوا وقوله في الآية الأولى فسلموا دليل على أن الآية الأولى للمساجد . وتتأكد حال الصلاة على الجنائز وفي افتتاح الرسائل وان لم يكن عليه الصدر الاوّل ولكن أجمع الامة عليه في أوائل القرن الثاني عملا بقوله صلى الله عليه وسلم من صلى عليّ في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام اسمي في ذلك الكتاب

﴿ كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ﴾

من المعلوم أن أوامره صلى الله عليه وسلم العامة تقتضي ان تكون بقدر المبتدئين الذين ينبغي أن يكون الادب حصنا لهم من الغلو أو التفريط ولما كانت السنن العامة ينبغي أن تكون مفاتيح للقلوب وحصونا للعقول حتى اذا عمل العامل بما علمه منحه الله علم مالم يعلم ليكون ذلك بابا من أبواب الفضل ومعراجا من معارج القرب وسرا من أسرار المزيد كانت الصلاة التي أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أمرنا أن نصلي عليه بها صلى الله عليه وسلم دالة على كمال التواضع حافظة للقلوب عن التفاضل والاشتغال بذكر خصوصية الانبياء والالتفات بذكر التفاضل بينهم حتى يعكف الهم على ذكر الواحد الاحد ويتوجه القلب الى جناب القدس الاعلى ويتوجه الخيال الى معاني القدس الاعلى خالية مما تنزعج منه القلوب حتى اذا توجه القلب بكمال الاخلاص كوشف بحقائق المقامات المحمدية وواجهه الله باسرار المنازل ووفق بما يشرح صدره ويطلق لسانه بصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تناسب قدر قربه وتوافق مقام حبه ولذلك فبالسند عن سلامة الكندي كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم داحي المدحوات وباريء المسموكات وجبار القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ لجيشات الاباطيل كما حُمّل فاضطلع بامرك

لطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ أمرك حتى أورى قبسا القابس آلاء الله تصل باهله أسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وأبهج موضحات الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو أمينك المأمون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك وأجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم أعل على بناء الناس بناءه وأكرم مثواه لديك ونزله وأتم له نوره وأجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم . وعنه أيضا في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وماسبح لك من شيء يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام . وعن سيدنا عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد

﴿ فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

لما كان الترغيب في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الا للمريد الذي لا يقع به العلم على عين اليقين ولم تنكشف له حجب الوهم والخيال عن المكانة المحمدية ولم يذق من صافي راح المعرفة ذوقا يتحقق به بقدره صلى الله عليه وسلم وقدر النعمة التي أنعم الله بها

عليه على يده صلوات الله وسلامه عليه كان ولا بد للمريد من ذكر ما يقوى رغبته في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكون ذلك الا من الحديث الشريف والاحاديث في ذلك لا تحصى عدا ، منها : عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم عليّ صلاة . وعن أبي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته مالم أره فسألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي عز وجل ان الله تعالى بعثني اليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته عليه بها عشرا . والاحاديث الواردة في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة والمريد الصادق اذا أشرقت عليه أنوار القرب انجذب بعامل الحب فتلذذ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لذة تجعل نفسه تبتهج بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم بهجة تنسيه ماعداها من العطايا لانه يكون آنسا بمشاهدة جماله صلى الله عليه وسلم فرحا بما كوشف به من مقاماته العلية وكيف لا وشكر النعمة واجب شرعا وعقلا . وأجل نعمة الله علينا نعمته سبحانه علينا بسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ونعمته علينا باتباعه صلى الله عليه وسلم والعمل بسنته صلوات الله وسلامه عليه ولذلك فان أكثر العارفين منحهم الله تعالى من سوابغ أحسانه حقيقة حب في قلوبهم لما كوشفوا به من مقامات رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق ألسنتهم بجمل من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تكشف الستار عن مقام كل عارف ومقدار عوارفه وتلك الجمل تكون كراح الارواح وطهرة لنفوس من تلاها بعده . وفضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ظاهر في الدنيا قبل الآخرة فان تكرار الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم يزكي النفس ويجمل لطائف القلب وييسر خيري الدنيا والآخرة. وقد شهدت ذلك بنفسي في نفسي وفي غيري ولا برهان أقوى من التجربة وفقني الله واخواني جميعا للمحافظة على السنة ومنحنا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضل زيارة قبره الشريف صلى الله عليه وسلم
واكرام عترته الشريفة

هذا الموضوع اكتب فيه لاهل التسليم ممن وفقهم الله تعالى للعلم بوصاياه صلى الله عليه وسلم ومعرفة قدر النعمة به صلى الله عليه وسلم المؤمنين حقا لانه عمل ينتجه الايمان الكامل وأني والحمد لله على يقين أن كل مسلم يحن لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم بنحو في كل نفس ولكني أبين الآداب التي تادب بها الصحابة رضوان الله عنهم والتابعون وأئمة الخير ممن يقتدى بهديهم مبينا ذلك بأسانيده وأستحسن كما استحسن أهل العلم كالامام مالك وغيره رضى الله عنهم أن يقول المتوجه الى المدينة توجهت لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم أو للسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول عند رجوعه زرت النبي صلى الله عليه وسلم أو سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم ولا يقول زرت قبر النبي صلى الله عليه وسلم والذي أراه في استحسان هذا المذهب لان الناس لم يتوجهوا لزيارة القبر كما يتوجه الناس لزيارة القبور ولان زيارة القبور للعظة والاعتبار وللدعاء لاهلها والاستغفار لهم ولكن المزور هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم فيجب أن يميز الناس بين الزيارتين : وهذا أدب أدب الله به أهل العلم وكيف لا والمتوجه الى المدينة يشهد مواطن تنزل الوحي وأماكن جلوسه صلى الله عليه وسلم ومواضع وضع قدمه الشريف وأفقا بورك برفع صوته صلى الله عليه وسلم فيه بالقرآن والعلم والامر والنهي وروضة ثبت أنها روضة من رياض الجنة وحظيرة بوركت بمس جسده الشريف ولذلك فقد ثبت أنه يجب ضرب اكباد الابل الى تلك الاماكن

أما آداب الصحابة والسلف في الزيارة فأبين كما ورد رضوان الله عنهم : عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي . وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا يوم القيامة . وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني

في حياتي . وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن أبي فديك سمعت بعض من أدركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) ثم قال صلى الله عليك وسلم يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط لك حاجة . وقال بعضهم رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف : وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة وأكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم السلام على أبي بكر السلام على أبي ثم ينصرف . ورؤي ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه . وعن ابن قسيط والعتبي كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وقال القاضي أبو الوليد الباجي وعندي أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولأبي بكر وعمر . وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول باسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم . ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتان في غير الروضة أجزأتاك وفي الروضة أفضل وقال صلى الله عليه وسلم . ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة . ثم تقف بالقبر متواضعا متوقراً فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر وتدعو لهما وأكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء . وقال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني بالمدينة وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج مسافراً . وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصلى على

النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنبي وافتح لي أبواب رحمتك واذا خرجت فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك هذا ما كان عليه أئمة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين وما ورد في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الصحابة هو النور الذي يجب على كل مسلم أن يقتدى به في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وفي السلام عليه على أني لا أنكر على أهل الحب الوالهين الذين انجذبت قلوبهم الى حضرة المعية المحمدية اذا سطعت أنوار بصائرهم فاخفت مشهد الابصار فشهدوا بالروح عند دخول المسجد النبوي ما مثله الخيال الصافي من كدرات الاهواء واستحضره القلب المطمئن من معاني المكانة المحمدية فحصل الخشوع الممزق لاغشية القلب حتى يصرخ الصارخ و يصعق الصاعق و يغني المغني و يهتز الواجد و يبكي العاشق و يتمثل الواصل فمنهم من عديده مسلماً ومنهم من ينحني مقبلا ومنهم من يلتمس مخاطبا ومنهم من يشكو مشاهدا ومنهم من يقبل البشرى ومنهم من يسمع كل ذلك مسلم لاهله مقبول منهم لان مقامات المحبة تتفاوت حتى تنزل السكينة وتحصل الطمأنينة ولديها يكون المؤمن وسطا وقد سبق لك تفاوت أعمال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في زيارته صلوات الله وسلامه عليه مما سبق لك من أعمالهم رضي الله عنهم ومن تدبر قول الامام مالك رضي الله عنه أنه يكره أن يقول زرت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم و يجب أن يقال زرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر له جلية هذا الامر وانما ينكر على أهل المحبة من لم يقرأ علومهم ومن لم يتعلم أسرارهم ومن جهل شيئا عاداه

* * *

﴿ تعظيم عترته الشريفة صلى الله عليه وسلم ﴾

قال الله تعالى (قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى) هذه الآية الشريفة وإن أوّلها بعض العلماء بان رسول الله صلى الله عليه وسلم له قرابة في كل قبيلة من قبائل العرب وأن الله سبحانه وتعالى أمر بصلة الرحم وودّ ذوي القربى ورسول الله صلى الله عليه وسلم

أوصل الناس لرحمه فيذكر العرب بأن لا يقطعوا قرابته صلى الله عليه وسلم ولكن بعض المحققين أوّلها إلى مودة آل بيته الشريف . ومن المعلوم أن آل بيته صلى الله عليه وسلم هم السيدة الزهراء عليها السلام وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين وسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وسيدنا جعفر الطيار وسيدنا العباس بن عبد المطلب وسيدنا الحمزة وسيدنا عقيل بن أبي طالب ففي عنق كل مسلم حق لأهل البيت وهذا الحق هو احترامهم وتعظيمهم ومساعدتهم ما داموا متصفين بصفات أهل البيت لأنهم يمثلون حقيقة هذا النسب المقدس فهم الأئمة والهداة وهم السادة المقتدى بعملهم وليسوا معصومين فعلينا أن نستر زلاتهم ونخفي عوراتهم ونعينهم ما داموا على الحق ونخلص لهم في النصيحة ونجتهد في تعليمهم وإرشادهم وردهم عن كل ما يخالف جدهم صلى الله عليه وسلم فان قبلوا فهم أهل البيت وإن أبوا إلا مخالفة السنة والكتاب وجب علينا أن لا نعينهم على ذلك وأن ننفر منهم تأديبا لهم لا عقوبة وعلينا أن نبين لهم سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونذكرهم بأنهم أولى الناس بالتمسك بها وأحق الناس بإحيائها ولا نعتقد أن ذلك يغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن ذلك يضرنا شيء بل نتيقن أن ذلك يرضي رسول الله صلى الله عليه وسلم خصوصا إذا أنتجت أعمالنا الثمرة المطلوبة فإن ذلك شيء يسر رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون عملنا هذا تقربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من بذل أموالنا وأولادنا لهم يقول صلى الله عليه وسلم « أبقيت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وأهل بيتي » فأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هم أنجم الهدى الذين أبقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبينوا لنا كتاب الله وليجددوا لنا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن خالف ذلك فليس منهم وإنما ذلك دعيّ ينتسب الى غير أبيه وإنا أصبحنا في زمان يمكن كل انسان أن يدعي تلك الدعوة ويأخذ بها حجة مسجلة يبرزها إن عورض في قوله وعمله المخالف للسنة فيخشاه الجهلاء الذين يجهلون السنة . أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن يعظمون السنة وأهلها ويعظمون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم القائمين لإحياء سنته صلى الله عليه وسلم وأن يمنّ علينا بالعفو والعافية والخير الحقيقيّ في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ دعائم الايمان ودعائم الكفر ﴾

لما بينت جملا من الواجب لله سبحانه وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم من شعب الايمان أحببت ان أورد اجمالا دعائم الايمان ودعائم الكفر نعوذ بالله منه ليكون المؤمن على بصيرة في أمره متوقيا شر ما يضعف الايمان أو يزيله متحريا كل ما من شأنه أن يكون مزيدا في الايمان . سئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن دعائم الايمان فقال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد . والصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهد والترقب . فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات . ومن أشفق من النار اجتنب المحرمات . ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات . ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات . واليقين منها على أربع شعب . على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين . فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة . ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة . ومن عرف العبرة فكأنما كان في الاولين . والعدل منها على أربع شعب على غائص الفهم وغور العلم وزهرة الحكم ورساخة الحلم . فمن فهم علم غور العلم . ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم . ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميدا . والجهاد منها على أربع شعب . على الامر بالمعروف . والنهي عن المنكر . والصدق في المواطن . وشنآن الفاسقين . فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين . ومن نهى عن المنكر أرغم أنوف الكافرين . ومن صدق في المواطن قضى ما عليه . ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة . وقال عليه السلام « الكفر على أربع دعائم » على التعمق . والتنازع . والزيغ . والشقاق . فمن تعمق لم ينب إلى الحق . ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق . ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسكر سكر الضلالة . ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره وضاق عليه مخرجه . والشك على أربع شعب . على التماري والهول والتردد والاستسلام . فمن جعل المراء دينا

لم يصبح ليله . ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه . ومن تردد فى الريب وطئته سنابك الشياطين . ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما

﴿ الاستغفار من الذنوب ﴾

يحسن هنا أن أبين حقيقة الاستغفار قال سيدنا أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه الاستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان . أولها الندم على ما مضى . والثانى العزم على ترك العود إليه أبدا . والثالث أن تؤدى إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة . والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدى حقها . والخامس أن تعمد الى اللحم الذى نبت على السحت فتذيبه بالاحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشا بينهما لحم جديد . والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله . هذا ما قرره أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب فى الاستغفار وقد ذكرته فى هذا الموضع بعد ذكر دعائم الايمان ودعائم الكفر والعياذ بالله تعالى ترغيبا لى ولاخوانى المؤمنين فى التوبة التى لا يغلق بابها عن الانسان ما دام حيا يرزق ومن استعصت عليه نفسه جاهدها حتى تلين له وأكبر دعائم الجهاد مخالفتها وقد بينت أنواع رياضة النفس فى الكتب السابقة والعاقل لا يعدم معرفة طرق تزكية نفسه

﴿ الامامة ﴾

هى عبارة عن خلافة شخص من الاشخاص لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامة الاحكام الشرعية وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الامة . هذا الموضوع يشتمل على مباحث

﴿ المبحث الاوّل فى وجوب نصب الامام ﴾ أوجبه الامامية والاسماعيلية على الله تعالى والمعتزلة والزيدية أوجباه علينا عقلا . وأهل السنة أوجبوه علينا سمعا ولم يوجبه الخوارج مطلقا وأريد أن أذكر بيان وجوبه علينا سمعا وعدم وجوبه على الله تعالى أما الاول : فلان نصب الامام لدفع ضرر لا يندفع إلا به لان البلد إذا خلا عن رئيس قاهر يأمر بالطاعات وينهى عن المعاصى ويدرأ بأس الظلمة عن المستضعفين استحوذ عليهم الشيطان وفشى فيهم الفسوق والعصيان وشاع الهرج والمرج . ودفع الضرر عن النفس بقدر الامكان واجب باجماع الانبياء واتفاق العقلاء فان قيل يحتمل مفاسد أيضا إذ ربما يستنكف الناس عن طاعته فيزداد الفساد أو يستولى عليهم فيظلمهم أو يحتاج لدفع المعارض وتقوية الرياسة إلى مزيد مال فيغتصبه منهم قلنا الاحتمالات مرجوحة وترك الخير لاجل الشر القليل شر كثير . وأما الثانى : وهو عدم وجوبه على الله تعالى فلما بينا فيما سبق من كتبنا أنه لا يجب عليه شيء بل هو الموجب لكل شيء . قال احتجت الامامية بان نصب الامام لطف لانه اذا كان للناس إمام كان حال المكلف إلى قبول الطاعات والاحتراز عن المعاصى أقرب مما إذا لم يوجد واللطف على الله واجب قياسا على الممكن . والجواب بعد تسليم المقدمات الباطلة ان اللطف الذى ذكرتموه انما يحصل بوجود امام قاهر يرجى ثوابه ويخشى عذابه وأنتم لا توجبونه . كيف ولم يتيسر من عهد النبوة الى أيامنا امام على ما وصفتموه . قول من أوجب تنصيب الامام عقلا فى صفته * الاولى ان يكون مجتهدا فى أصول الدين وفروعه ليتمكن من ايراد الدلائل وحل الشكوك والحكم والفتوى فى الوقائع * الثانية ان يكون ذا رأى وتدبير يدبر الحرب والقلم وسائر الامور والسياسة * الثالثة ان يكون شجاعا لا يجبن عن قيام بالحرب ولا يضعف قلبه عن اقامة الحد * وجمع تساهلوا فى الصفات الثلاث وقالوا ينتصب من كان موصوفا بها * الرابعة ان يكون عدلا لانه متصرف فى رقاب الناس وأموالهم وابضاعهم * الخامسة والسادسة العقل والبلوغ * السابعة الذكورة فانهن ناقصات عقل ودين * الثامنة الحرية لان العبد مستحقر بين الناس مشتغل بخدمة السيد * التاسعة كونه قرشيا خلافا للخوارج وجمع من المعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم (الائمة من قريش)

واللام في الجمع للعموم حيث لا عهد فقوله الأئمة للعموم وقوله صلى الله عليه وسلم الولاة من قريش ما أطاعوا الله واستقاموا) قال ولا يشترط فيهم العصمة خلافاً للاسماعيلية والاثنا عشرية وينقض مذهبهم صحة امامة أبي بكر رضي الله تعالى عنه والامة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ولا أقول انه غير معصوم احتج المشترطون للعصمة في الامام بان وجه الحاجة اليه اما ان المعارف الالهية لا تعلم الا منه كما هو مذهب أصحاب التعليم أو تعليم الواجبات العقلية او تقريب الخلق الى الطاعات كما هو مذهب الاثنا عشرية وذلك لا يحصل الا اذا كان الامام معصوما وبان احتياج الناس الى الامام لجواز الخطأ عليهم ولو جاز الخطأ عليه لاحتاج الى امام آخر ولقوله تعالى (اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين) وأجيب عن الاول بمنع المقدمات وعن الثالث بان الآية تدل على ان شرط الامام ان لا يكون مشتغلا بالذنوب التي تنفك بها العدالة لا ان يكون معصوما

(صفة الامام العادل)

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة الى الحسن بن أبي الحسن البصري أن يكتب اليه بصفة الامام العادل فكتب اليه الحسن رحمه الله اعلم يا أمير المؤمنين أن الله تعالى جعل الامام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والامام العدل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع المهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر والامام العدل يا أمير المؤمنين كالاب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته والامام العدل يا أمير المؤمنين كالام الشفيقة البرة الرفيقة بولدها حملته كرها ووضعته كرها وربته طفلا تسهر بسهره وتسكن بسكونه ترضعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته والامام العدل يا أمير المؤمنين وصي اليتامى وخازن المساكين يربي صغيرهم ويمون كبيرهم والامام العدل يا أمير

المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده والامام العدل ياأمير المؤمنين هو القائم بين الله و بين عباده يسمع كلام الله و يسمعهم و ينظر الى الله و يريهم و ينقاد الى الله و يقودهم فلا تكن ياأمير المؤمنين فيما ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله فبدد المال وشرد العيال فافقر أهله وفرّق ماله واعلم ياأمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف اذا أتاها من يليها وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف اذا قتلهم من يقتص لهم واذكر ياأمير المؤمنين الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وانصارك عليه فتزود له ولما بعده من الفزع الاكبر واعلم ياأمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذى أنت فيه يطول فيه ثواؤك و يفارقك أحباؤك يسلمونك فى قعره فريدا وحيدا فتزود له ما يصحبك يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته و بنيه واذكر ياأمير المؤمنين اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور فالاسرار ظاهرة والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها فالآن ياأمير المؤمنين وأنت فى مهل قبل حلول الاجل وانقطاع الامل لا تحكم ياأمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين ولا تسلك بهم سبيل الظالمين ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين فانهم لا يرقبون فى مؤمن إلاّ ولا ذمة فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات فى دنياهم باذهاب طيباتك فى آخرتك لا تنظر الى قدرتك اليوم ولكن انظر الى قدرتك غدا وأنت مأسور فى حبائل الموت وموقوف بين يدى الله فى جمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحى القيوم أنى ياأمير المؤمنين وان لم أبلغ بعظتى ما بلغه أولو النهى من قبلى فلم آلك شفقة ونصحا فانزل كتابى اليك كمداوى حبيبه يسقيه الادوية الكريهة لما يرجوله فى ذلك من العافية والصحة والسلام عليك ياأمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

(وقال علماء النفس فى صفة الامام العادل)

هو الرئيس الذى لا يرأسه انسان آخر أصلا والامام الحاكم بالسوية الذى يخلف صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم فى حفظ المساواة ولا تتحقق تلك المنزلة المقدسة منزلة الخلافة عن الرب سبحانه وتعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم الا لمن فطر على ثلاث الخصال . أحدها أن يكون تام الاعضاء يمكن كل عضو أن يقوم بما خلق له بسهولة . الثانية أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له فيتلقاه بفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الامر فى نفسه ثم ان يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه وفى الجملة لا يكاد ينساه وأن يكون جيد الفطنة ذكيا اذا رأى الشئ بأدنى دليل فطن له على الجهة التى دل عليها وان يكون حسن العبارة يؤاتيه لسانه على ابانة كل ما يضمره ابانة تامة وان يكون محبا للتعليم والاستفادة منقاداً سهل القبول لا يؤلمه تعب التعليم ولا يؤذيه الكد الذى يناله منه ثم ان يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنبا للعب مبغضا للذات الكائنة عن هذه وان يكون محبا للصدق واهله مبغضا للكذب واهله وان يكون كبير النفس محبا للكرامة تكبر نفسه عن كل ما يشين من الامور وتسمو نفسه إلى الارفع منها وأن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده وأن يكون محبا للعدل واهله مبغضاً للجور والظلم وأهلهما يعطى النّصَفَ من نفسه وأهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتى من حل به الجور ويكون مؤاتيا لكل ما يراه حسنا وجميلا وأن يكون عدلا غير صعب القياد ولا جموحا ولا لجوجا إذا دعى الى الجور والى القبيح نفر وامتنع وأن يكون قوى العزيمة على الشىء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف واجتماع هذه كلها فى انسان واحد عسر فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والاقل من الناس فان وجد مثل هذا ثم حصلت فيه بعد أن يكبر تلك الشرائط الستة المذكورة قبل أو الخمسة منها دون الانداد من جهة القوة المتخيلة كان هو الامام الاعظم وان اتفق أن

لا يوجد مثله فى وقت من الاوقات كان الامام القائم بالامر رئيس أهل الشورى الذين يتحلون بجميع تلك الصفات حتى يقوموا بتنفيذ الاحكام الشرعية مع ملاحظة الاقتداء بالأئمة الهادين الذين جملهم الله بجمال تلك الصفات . و يجب أن يكون الامام الاعظم المنفرد بالاجتهاد والاستنباط والحكم فيما لم يكن له نظير فى السنن هو الذى اجتمعت فيه من مولده وصباه تلك الشرائط المتقدمة و يكون بعد كبره فيه ستة شرائط . أحدها ان يكون حكيما . الثانى ان يكون عالما حافظاً للشرائع والسنن والسير التى دبرتها الاولون محتذيا بافعاله كلها حذو السنن الماضية لائمة الشريعة بتمامها . الثالث أن يكون له جودة استنباط فيما لا يحفظ عن السلف فيه شريعة و يكون فيما يستنبطه من ذلك محتذيا حذو الائمة الأولين . الرابع أن يكون له جودة روية وقوة استنباط فى الحوادث التى يقتضيها الوقت الحاضر من الامور والحوادث التى تحدث مما لم يكن فى زمن أئمة الهدى المقتدى بهم صريح حكم فيها و يكون متحريا بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المسلمين وأهل ذمتهم . والخامس أن يكون له جودة ارشاد بالقول إلى العمل بالشريعة وسنن الأئمة الراشدين قبله والى التى استنبط بعدهم مما احتذى فيه حذوهم . السادس أن يكون له جودة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب وذلك أن يكون معه الصناعة الحربية الخادمة والرئيسة فاذا لم يوجد انسان واحد اجتمعت فيه هذه الشروط ولكن وجد اثنان أحدهما حكيم والثانى فيه هذه الشرائط الباقية كان أحدهما رئيساً والثانى مشيراً لجماعة المسلمين فاذا تفرقت هذه فى جماعة وكانت الحكمة فى واحد والثانية فى واحد والثالثة فى واحد والرابعة فى واحد والخامسة فى واحد والسادسة فى واحد وكانوا متلائمين كان أحدهم اماما والبقية مشيرين فمتى اتفق فى وقت ما أن الحكمة فقدت وفقد معها سائر الشروط كان الرئيس القائم بامر الأمة ليس اماما واستعد المجتمع للهلاك فان لم يتفق أن يوجد حكيم تضاف اليه الأمامة لم تلبث الجماعة الا ريثما تتقهقر وتغلب على أمرها و يسارع الاجانب فى استعبادها ومحو فضائلها وسلب أموالها والله سبحانه وتعالى يحفظ المسلمين من أئمة الجهالة وقادة الضلالة انه مجيب الدعاء آمين (وأرى) أن الامام الاعظم لا يخص ذاته بشىء من الخيرات أكثر مما يعطى غيره كما ورد فى الخبر

أن الخلافة تطهر الانسان

﴿ إنتخاب الامام ﴾

ينتخب العامة لمنصب الخلافة العامة من كان شريفا في حسبه ونسبه و بعض العامة يؤهل لذلك من كان كثير المال وأما أهل العقل فأنهم يؤهلون لذلك من كان حكيما فاضلا فأن الحكمة والفضيلة هما اللتان تنال بهما الرياسات والسيادات الحقيقية والمؤهل للخلافة العامة لا يخفى على أحد والله يوفق المسلمين لخيري الدنيا والاخرة ويدفع عنا جميعا شرور أنفسنا وشرور الاشرار

﴿ الواجب على الامام الاعظم ﴾

الامام الاعظم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أعظم واجب لانه مطالب بحقوق بقدر ما على الامة بأسرها وكيف لا وهو مطالب باقامة حدود الله تعالى و بتنفيذ أحكام الله ودفع المظالم عن المسلمين وأهل الذمة وحفظ الثغور واحياء الافراد بمبادئ العلم والضروري والكمالي للحياة فهو مسؤل امام الله تعالى وامام رسوله صلى الله عليه وسلم وامام كل فرد من أفراد الامة بحقوق توجب عليه اليقظة والسهر والجد والدأب وطرح حظوظ نفسه وشهواته وراءه حتى يكون خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممثلا لجنابه صلى الله عليه وسلم و يجب عليه أن يسوق كل انسان نحو سعادته التي تخصه ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم الى قسمين . أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية . والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والاعمال الحسية واذا سددهم نحو السعادة الفكرية بدأ بهم من الغاية الاخيرة على طريق التحليل و وقف بهم عند القوى التي ذكرناها و إذا سددهم نحو السعادة العملية بدأ بهم من عند

هذه القوى وانتهى بهم الى تلك الغاية حتى يكون كل فرد من أفراد الأمة الاسلامية آمنا على دمه وماله وعرضه ساعيا بقوتيه البدنية والفكرية فى نوال السعادة والخير الحقيقى مجدا فى طاعة الله و رسوله وطاعة أولى الامر المتجملين بصفات رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة وكرما وعطفا واستقامة وتقوى وعلما وعملا فيتمتع كل مسلم بالحرية التى لا يخاف فيها إلا ذنبه ولا يخشى فيها إلا ربه ببذل الفضل من ماله وجاهه وعلمه لأخوته المؤمنين اقتداء بالامام الاعظم وتشبها بولاة الامر فيكون وقت كل فرد بين شغل الصناعات المفيدة للمسلمين والزراعات المعينة لهم واختراع مالا بد منه من الآلات الحربية ومعدات النقل وفنون الطب المخففة لآلام المجاهدين وكشف أسرار الكائنات مما به راحة المجتمع الاسلامى لان قلوب المسلمين صفت بالامام الاعظم من السخائم وطهرت النفوس من الرذائل حتى حصل التآلف والتحابب والتعاطف والتراحم وشعر كل فرد بقدر الواجب عليه لاخوته المؤمنين كل ذلك بعد القيام بما أوجبه الله تعالى والعمل بما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم و يكون هذا كله سعيا وراء سعادة الدنيا والآخرة وحفظا للدين وصيانة لجماعة المسلمين كل تلك النعم يفيضها الله على المؤمنين و يزيدهم من فضله عزة لهم فى قلوب أعدائهم ورهبة فى نفوس جيرانهم و يحصل المزيد بدخول الناس أفواجا أفواجا فى دين الله تعالى لما يرونه من الخير والسعادة والعزة لمن تمسك بدين الاسلام فتكون تلك الحالة كداع يدعو جميع الاديان الاخرى الى دين الاسلام و يكون الفضل فى ذلك كله للامام الاعظم الذى جاهد نفسه فى ذات الله تعالى لتكون كلمة الله هى العليا . ومثل هذا الامام لا يشك مسلم فى أن طاعته طاعة لله و رسوله ومعصيته معصية لله ورسوله والخروج عليه كفر واخفاء النصيحة عنه ضلال

*

(لذة الامام الاعظم)

لذة الامام الاعظم تكون روحانية أكثر منها جسمانية فانه يتلذذ بما يرى عليه المسلمين من العلم والعمل والصناعات والفنون والزراعات وما يراه لهم من الشرف والحرية والثروة والتمكين

في الارض بالحق والتآلف وروابط الاخاء وحسن طاعتهم له ومسارعتهم فيما يرضيه وحبهم له وثنائهم عليه ودعائهم له بالقلوب والالسنة . ويتلذذ براحة ضميره وأمنه على نفسه في كل حال وكل مكان لان كل مسلم حريص على حياته يتمنى أن يفديه بنفسه وماله وأهله فيمشي في الاسواق منفرداً أو يجلس في المسجد وحيداً او يسافر بلا خادم ولا زاد ولا حارس يحرسه لانه يجد في كل بلد وفي كل مكان أولاداً بررة وحفدة يعظمونه . ويتلذذ بتذلل أمره ورهبة أعدائه منه وتملقهم له وخوفهم من سطوته بما يفد عليه من وفودهم الحاملة لكتب الخنوع والذل وهدايا التودد . ويتلذذ بما يناله من نصرة جيوشه وسعة مملكته وإذلال خصومه وتوفير أموال بيت المال من الغنائم وعشور تجارات الاجانب ومحصولات المدن وخزن الاموال التي في بيت كل مسلم المعدة لطلبه عند مقتضى ذلك عن سماح نفس ورغب في رضوان الله الاكبر . ويتلذذ بما ينعم الله به عليه من القربات التي يقوم بها بأعلاء الكلمة وأمن الطرق ودفع المضار وإقامة الحدود وعمارة المساجد ومعاهد العلم وانتشار الفنون والصناعات والحرف وتعضيد القائمين بها حتى تكون الامة بأجمعها كبيت واحد هو لهم كأب وهم له أبناء يسعى كل فرد في خير المجتمع

(مثال الامام الاعظم)

مثل العلماء الامام الاعظم بالقلب في الجسد فقالوا . كما أن العضو الرئيس في البدن هو أكمل أعضائه وأتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشاركه فيه عضو آخر من الاعمال أفضلها . ودونه أيضاً أعضاء أخرى رئيسة لما دونها ورياستها دون رياسة الاول وهي تحت رياسة الاول ترأس وترأس . كذلك الامام الاعظم هو أكمل أجزاء المسلمين فيما يخصه وله من كل ما شارك غيره أفضله ودونه قوم مرؤسون منه ويرأسون آخرين . وكما أن القلب يتكون أولاً ثم يكون هو السبب في أن يكون سائر أعضاء البدن والسبب في أن تحصل لها قواها وأن

تترتب مراتبها . فاذا اختل منها عضو كان هو المرفد له ما يزيل عنه ذلك الاختلال كذلك الخليفة الاعظم ينبغي أن يكون هو أولا هو يكون هو السبب في أن يتمتع المجتمع بالعدل والمساواة واقامة الشريعة والسبب في أن تحصل الملكات الارادية وأن تترتب مراتبها . وان اختل منها جزء كان هو العامل على ازالة اختلاله . وكما أن الاعضاء التي تقرب من العضو الرئيس تقوم بالافعال التي هي على حسب غرض الرئيس الاول مما هو شرف وما هو دونها من الاعضاء يقوم عاملا بما هو دون ذلك في الشرف الى أن ينتهي الى الاعضاء التي تقوم بالاخس من الاعمال . كذلك الاجزاء التي تقرب في الرياسة من الامام الاعظم تقوم بأعمال ارادية هي أشرف لانها منفذة لارادة الرئيس مباشرة وهكذا كل عامل يبعد عن الامام يقوم بأعمال ارادية هي أخس من أعمال من هم أقرب للامام الى أن تنتهي الى عمال يقومون بأخس الاعمال وهم البعيدون عن الامام كاهل المهن المحتقرة والمكتسبون بالاعمال المرذولة . وخسة الافعال ربما كانت بخسة موضوعاتها . فان كانت الافعال لا غنى عنها مثل فعل المثانة وفعل الامعاء السفلى في البدن مع خسة موضوعها فانها عظيمة . وربما كانت خسة الاعمال لقلة فائدتها أو لسهولتها كذلك في المجتمع الاسلامي وكذلك كل جملة كانت أجزاؤها مؤتلفة منتظمة مرتبطة فان لها رئيسا حاله من سائر الاجزاء هذه الحال

(الواجب للامام على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم)

تقدم ان الواجب على الامام اعظم واجب لعظم مسؤليته ولان زلته زلة العالم باجمعه و بخطئه يوقع المسلمين في الخطا . وقل ان يأتي الشر لجماعة المسلمين الا من قبل امامهم وذلك قد يكون للتساهل في حدود الله وفي اقامة شعائره فيجرأ أهل النفوس اللامسة على ارتكاب المحرمات فهو المؤاخذ على خطا نفسه وخطأ العامة سواء أحدثه فقلدوه فيه أو علمه وتهاون في في المؤاخذة عليه وكما ان الواجب عليه عظيم ومسؤليته أعظم فقد أوجب الله سبحانه وتعالى وأوجب رسوله صلى الله عليه وسلم على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم للامام

واجبات وحظرنا من الاهمال في القيام بها فانه كما تحصل المضرة لجماعة المسلمين باهمال الامام فقد تكون المضرة اعظم بمخالفة أمره والتهاون بشأنه فان ذلك ربما فرق كلمة الجماعة وأكثر الاحزاب في المسلمين ومكن منهم عدوهم الشيطان الرجيم وادخل بينهم الدسائس والمفاسد من أعدائهم الكافرين . والحوادث السابقة عبرة للمعتبر قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) والذي عليه أكثر المفسرين ان أولى الامر هنا هو الامام ونوابه ولاة الامور . وان كان بعض المفسرين أول ذلك باهل العلم فقهاء القلوب وهذا لا يمنع فانه تقدم لنا ان الامام ونوابه يلزم ان يكونوا علماء فقهاء فتكون طاعتهم واجبة من جهة الفقه والعلم ولازمة من جهة الولاية . وقال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتولى الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون)

بين لنا الله سبحانه وتعالى ان أولياءنا هم العلماء لان تلك الصفات التي ذكرها الله تعالى بقوله سبحانه (الذين يقيمون الصلاة) الآية تعين انهم علماء فقهاء لان اقامة الصلاة لا تتحقق الا من العالم الراسخ . ومن تدبر قوله تعالى (ويل للمصلين) علم معنى اقامة الصلاة . وقوله سبحانه (ويؤتون الزكاة وهم راكعون) يظهر من هذه الآية حقيقة الزكاة الشامل لتزكية النفس وزكاة المال كما قال تعالى (والذين هم للزكاة فاعلون) أي لتزكية أنفسهم وتقييد تأدية الزكاة بالركوع يرجح هذا المعنى . وانما يزكي نفسه من عرفها ومن عرف نفسه عرف ربه . فهؤلاء الائمة جعل الله طاعتهم طاعة لجنابه العلي ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفتهم مخالفة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وكفى بذلك اثما فالواجب على كل مسلم ان يطيع الله ورسوله وولاة الامر وان تكون طاعته لولاة الامر عن حب خالص لخير المسلمين جميعا واخلاص في النصيحة لهم ويتحقق انه بطاعته لولاة الامر ونصيحته لهم كأنه أحسن الى نفسه والى اخوته المؤمنين في الدنيا وفاز برضاء الله سبحانه

ورضاء رسوله صلى الله عليه وسلم وبالنعيم الابدى واقتدى بأئمة الخير وجدد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اماما لمن يأتى بعده لان الابناء يقلدون الآباء . ولما كان القائمون بالامر رجالا منا جماعة المسلمين لم تثبت عصمتهم ولكن لهم اجتهاد فيما لم يرد عنه نص صريح فى الشريعة ولا نظائر له فى عمل أئمة الهدى بقدر وضوح الدلالة وطمأنينة القلوب والتحرى ان يكون اقرب الى الحق والدلائل الشرعية اما اقرار أو شهادة أو قرائن دالة فاعلى كل مسلم قضى عليه وال من ولاة المسلمين بما هو برئ منه بعد اجتهاده فى الحكم الا ان يتلقى ذلك راضيا بقضاء الله داعيا لمن حكم عليه ان يوفقه الله للصواب واذا أداه اجتهاده الى عمل ما يضر بصالح الافراد أو الامة فالاولى ان يتلقوا هذا الامر بتسليم لقضاء الله وقدره وبدعاء للامير أن يبين الله له الحق فى كل أعماله رحمة بالمسلمين واجتماعا لقلوبهم على امامهم والاجتهاد من جماعة المسلمين فى نصيحة الامير بطرقها المقبولة ووسائلها المؤدية للخير العام من غير تنفير ولا تفرقة حتى لو ظهر ان الامير يقصد المضرة فعلى المسلم ان يحسن ظنه مفوضا أمره لله خشية من تفرقة الجماعة والتشنيع على الامام لان ذلك يؤدى الى التحزب والخروج عليه فيكون المسلمون عاملين على أضعاف قوتهم وذهاب سلطانهم وتسليط عدوهم عليهم وبذلك تهمل أحكام الله وتتعدى حدوده سبحانه وتعالى . وكيف لا وبخروج بعض المسلمين على بعض هلاك للنفوس وضياع للاموال وخراب للعمران ومحو للصناعات النافعة والعلوم المفيدة وبذلك تتمكن الاعداء فيكون جماعة المسلمين اذلاء بعد العز . ومن تدبر هذا واستحضر قدر ما ينال الاسلام والمسلمين من عمله يجب ان يكون للمسلمين سلطان قوى ولو ضرب ظهره وأخذ ماله . ومعلوم ان فى عزة جماعة المسلمين وقوتهم ومنعتهم وقوة سلطانهم عزا لكل فرد من أفراد المسلمين أين كانوا وكيف كانوا وسعة لارزاق كل فرد وأعلاء لكلمة الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا لوم علىّ اذا قلت أن كل فرد من أفراد المسلمين مطالب بسلامة جماعة المسلمين وسلامة كل فرد منهم بقدر استطاعته ولقائل ان يقول كيف يمكن كل فرد ان يقوم بهذا الواجب فاقول له ان معظم النار من مستصغر الشرر فلو ان كل فرد حمل أحوال اخوته وأميره على الاجمل منها وسد أبواب الفتن من جهته واذا علم بفتنة غاب عنها ولم

بشهدها أو اجتهد فى أطفاء نارها ما أصاب جماعة المسلمين ما اصابهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الاسلام فاذا تهاون اخوانك فاشدد لئلا يأتى العدو من قبلك). وليس الامر ببعيد فان مثال الامام الاعظم مع جماعة المسلمين كعائلة لها رئيس فان كان الرئيس شفيقا مدبرا حكيما واقتدى به افراد العائلة صفت حياتهم وارتفع شأنهم وتجدد مجدهم وان كان الرئيس غير حكيم ولا مدبر امكن افراد العائلة ان يخففوا شروره و يدفعوا مضاره عنهم بحكمة وروية ونصح بدون مخالفة ولا تنفير فان خرجوا عليه ونفروه هدم المجد وبدد الاموال واستعان برياسته على اذلالهم ولم يمض زمن الا ويصبحون جميعا أذلاء فقراء وقد تقدم مثل لذلك بالقلب والجسد . فعلى كل مسلم ان يتحقق انه بغضبه وسعيه فى الانتقام ساع فى اهلاك نفسه وأهله ومحو مجده وعزه . وليست الحوادث التى تحدث بين العائلات ورئيسها التى تصبح الديار بلاقع والعز ذلا والغنى فقراً والهدى ضلالا بقليلة أمام المتأمل البصير . فالواجب علينا جميعا ان نسعى باخلاص وصدق فيما به عز جماعة المسلمين وسعادتهم وقوة سلطانهم معتقدين ان ذلك عز لكل فرد وشهرة لصناعاتنا وزراعاتنا و بلادنا وشرف لنا عند أعدائنا . وانى أرى كثيرا ممن أقدمن الله عليهم بمواهب العقول أو بالوسعة فى الرزق أو بالقوة فى الجسم لا يهمهم هم المسلمين بل حظ كل واحد منهم قاصر على نيل حظوظه وشهواته فتراه لا يهتم بغير ذلك ولو أضيعت حدود الله وأهملت سننه سبحانه وتعالى وتركت شعائره وضعفت جماعة المسلمين و يظن المغرور لجهله انه متلذذ متنعم وربما أعان على هدم السنة ومحو الفضائل الاسلامية ولا يعلم ان ذلك هو عين الذل والفقر والهلاك الاكبر فى الدنيا والآخرة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من لا يهمه هم المسلمين فليس منهم) وقال صلى الله عليه وسلم (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيأ) و بمعناه (من سن سنة سيئة) فإياك ايها الاخ البار وفقنى الله واياك لما يحب ان تجلب لنفسك خيرا قليلا فتفتح به على المسلمين شرا كثيرا أو تدفع عن نفسك شرا قليلا فتجلب به على المسلمين شرا كثيرا وكن ياأخى يقظا مشددا على حماية ثغرك الذى أنت عليه من الاسلام وان أهمل جميع اخوانك حتى تكون قد قمت بالواجب عليك لله

تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولا خوتك المؤمنين ولا ولى الامر منا . وتدبر ان رئيس عائلة لو انه طمع فى مال فرد من العائلة وصبر المظلوم راضيا فان هذا الرئيس قد تأخذه الشفقة عليه و يشفق عليه اخوانه فيعطفون عليه جميعا وتدوم الالفة والجماعة و يبقى للعائلة مجدها وعزها و يهابها جيرانها ولكن اذا قام الفرد حنقا واستعان ببقية الافراد على نصرته وأخذ حقه من الظالم و بث فيهم ان هذا الظالم سيعاملهم بتلك المعاملة وانه لا بد من بذل المجهود فى اذلاله وخذلانه فأما ان يتحدوا على ذلك فيكيدون لرئيسهم و يكيد لهم فما يمضى زمن الا و يهلكون جميعا و يرجعون اذلاء وأما ان يكونوا ضعفاء فيستعينون بجيرانهم الذين ينتهزون تلك الفرصة ليضعفوا قوة العائلة و يستولوا على ثروتها ومجدها و يظهرون لهم المساعدة والرحمة و يقبحون عمل رئيسهم و يبغضونهم فيه و يعدونهم بالمال والجاه لاذلال الرئيس حتى تصبح العائلة كانها لم تكن فهكذا جماعة المسلمين . واعلم يا أخى أيدك الله واياى ان كثيرا من الناس يبذلون مواهبهم فى جلب الخير لانفسهم بواسطة الامراء والرؤساء و يعتقدون أن الخير لا يصل اليهم الا اذا تمكنوا من قلوب الرؤساء وصارت لهم الكلمة النافذة لديهم فاذا تمكنوا من أغراضهم سلطوا الامراء على أعدائهم وعلى أهل الفضل ممن يخشون على أنفسهم من فضلهم وعلى من يحسدونه ممن يحبهم الامراء فيفسدون أخلاق الامراء و يملؤن صدورهم وغرا على أهل النصيحة والرأى حتى يفسدوا بين الراعى والرعية فيبيت الامير يكيد لافاضل أمته وأفاضل أمته يحذرون منه وهؤلاء من أشرار الناس وهم الامراض المفسدة للجسد الاسلامى فاحذر يا أخى ان تكون منهم وتحقق انك ان عشت فقيرا تجوع يوما وتشبع يوما خير لك من ان تكون سببا فى فساد المجتمع الاسلامى . وجاهد نفسك أيها الاخ خشية ان تغرك الدنيا فتبيع الفضيلة بالرذيلة والهداية بالضلالة والآخرة بالدنيا وتحقق صدق قوله صلى الله عليه وسلم (من أعان ظالما سلطه الله عليه) . واعلم أيها الاخ البار أن كثيرا ممن لم يؤمنوا بيوم الحساب يستعينون على قضاء شهواتهم الدنيوية بالكذب و باخوان السوء الذين يشهدون لهم بالزور حتى يضطر أعداؤهم أن يقابلوهم بالمثل فينتشر الزور والبهتان بين جماعة المسلمين وتتفرق الكلمة و يصبح المسلمون مشغولين بأذية بعضهم بعضا

وأعداؤهم في استعدادهم وفي انتهاز فرصة غفلتهم . هذا وان كان ولي الامر واجبا عليه أن يكون يقظا متحريا من الوقوع في شبكة الاشرار وصحبة الخبثاء ولكن أهل الجهالة والضلالة والخبث يجملون ظاهرهم بصفات الاتقياء البررة وهم ذئاب أشرار والوالي بشر يحكم بالظاهر فلا لوم عليه الا اذا كان شريرا مثلهم وان كان الواجب عليه أن ينفر من الاشرار المتجملين ظاهرا عندما تظهر منهم بادرة الخيانة ويبعدهم عنه ولا يكون ذلك الا بتوفيق من الله وحسن معونة منه سبحانه وتعالى والله ولي المتقين ومن فهم قوله سبحانه وتعالى (قل اللهم مالك الملك) الى قوله تعالى (ويحذركم الله نفسه) وقوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله) الى قوله سبحانه وتعالى (فانه منهم) وقوله تعالى (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقوله تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) من فهم تلك الآيات وكان يؤمن بيوم الحساب تصغر في عينه الدنيا وتحتقر ويفر من نعيمها الزائل وحظها الفاني ويقبل بقلبه وقالبه على ما ينال به الخير العظيم في الدنيا والآخرة . والله سبحانه وتعالى أسأل ان يمنحنا الفضل الذي به تأليف القلوب واعلاء الكلمة واحياء السنة وخير الدنيا والآخرة انه مجيب الدعاء : ومن نور الله قلبه بالفقه ففقه أسرار تلك الآيات ونظائرها في كتاب الله تعالى علم كيف يتحفظ من التشبه بالشياطين ومن الاقتداء بأهل النفوس اللقسة وجاهد نفسه حتى تزكو وعكف على الحق ولو كان مرا عليها . ولو أن كل أخ من اخواننا المؤمنين في كل البلاد تيقظ قلبه من نومة غفلة ورقدة الجهالة واستحضر هول يوم الجزاء وتحقق أن نعيم هذه الدار آلام وشقاء وان حلالها حساب وحرامها عقاب ولذتها آلام كما قال تعالى (من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) وهذه الآية دالة على أن من أراد الدنيا بأن عكف عليها يعجل الله فيها ما قدره له أزلا بدون ان يناله منها الا ما سبق له في علم الله تعالى بدون زيادة ولا نقص وتكون ارادته لها دليلا على عدم ايمانه بيوم الحساب وعدم الايمان بيوم الحساب موجب لعمى القلب عن خوف مقام الرب والرغبة فيما عنده فيئول ذلك الى خسران الدين والدنيا والآخرة ولذلك فقد حكم الله عليه بان

جعل له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . أما مذموما فلانكشاف النعم التى أنعم الله بها عليه من الايجاد والامداد والمنن التى من بها عليه من بعثة الرسل ووراثتهم واقامة الحجة على ذلك والفضل العظيم الذى تفضل به عليه من تسخير ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه له وكفرانه بكل تلك النعم ونسيانه للمنعم جل وعلا . كل تلك النقم والبلايا لم تصبه الا بنسيان يوم الحساب ولم يتمكن الشيطان الرجيم لعنة الله عليه من قلب المسلم حتى يجعله أتبع له من ظله الا بنسيانه يوم الحساب . فكن يا أخى يقظ القلب . وعلى كل أخ من اخواننا منحهم الله روح القدس وودهم الله بكمال التصديق بيوم الحساب ان يجعل أكبر همه استحضار هول ذلك اليوم مستحضرا بقلبه مدلول قوله تعالى (فاليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) وان ينبه جميع اخواننا وفقهم الله الى الاستعداد له ما داموا لم يبلغوا درجة الرهبة والرغبة بان كانوا فى مقام القبض والبسط أو الخوف والرجاء حتى يقوم كل اخ من اخواننا بما أوجبه الله تعالى عليه وأوجبه رسوله صلى الله عليه وسلم مما هو خير لكل فرد من أفراد المسلمين بل وخير لكل حى حتى يكون كل أخ ساعيا فى خير كل أخ وكل أخ لكل أخ كعضو متمم لجسد . وبذلك يتحقق قوله سبحانه وتعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) وكن يا أخى منحك الله العناية واخواننا على يقين ان أشرار الخلق اذا شهدوا أهل الحق فى عزة انخذلوا أمامهم وتستروا عن المظاهرة بشرورهم وتكلفوا أن يتشبهوا ولو ظاهرا باهل الخير . وقد يكون هذا التكليف بعد هذا طبيعة فيكون المجتمع الاسلامى كما قال الله تعالى (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها) وبانخذال أهل الباطل وظهور أهل الحق تقل أو تمحى المفاسد وتكون الهفوة كبيرة يتحاشاها أهل المفاسد ان تقع منهم ولكن اذا ظهر أهل الضلال على اهل الحق تصير السنة بدعة والكبائر محاسن مألوفة والقربات خرافات والصلاح بلها وحماقة والفجور شرفا ورفعة وينكر المعروف ويعرف المنكر نعوذ بالله من ظهور أهل الباطل على أهل الحق . واعلم يا أخى أرشدنى الله واياك للطريقة المستقيمة التى يكون أمامنا فيها سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . أن الاخ اذا صدق بيوم الحساب سهل عليه الرجوع الى الحق وهان عليه

العمل به وخفف على قلبه الاعتراف بجهله وحمقه ومخالفته ولو كان فى ذلك رجمه أو قطع يده أو ضياع شرفه وماله ومنزلته لانه يبيع الفانى بالباقى والدنى بالعلى و يتلذذ بذلك لذة من نال و وصل وفاز واتصل فيكون أحيا فضيلة الصدق وجدد سنة الحق وصار اماما للمتقين بعده يقتدى به الصالحون و يأتم به المرشدون . واذا لم يؤمن بيوم الحساب استصغر كبائره واستعظم صغائر غيره واغتر بنفسه حتى يعتقد أنه خير موجود يتجمل ظاهراً أمام الناس و يأتى باقبح القبائح فى خلوته ولا يخاف الرقيب الحسيب سر قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم)

﴿وجوب طاعة الامير﴾

تقدم ذكر الواجب للأمير على كل فرد من أفراد المسلمين وعلى جماعتهم وذكر الآيات القرآنية المتضمنة ذلك . وأحببت أن أورد ما ورد من الاحاديث الصحيحة فى هذا الموضوع ثم أردفها بما ورد من الاحاديث الحسنة لتنجلى الحقيقة واضحة للعمل بها

﴿الاحاديث الصحيحة فى لزوم الطاعة﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ومن يطع الامير فقد أطاعنى ومن يعص الامير فقد عصانى وانما الامام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به فان أمر بتقوى الله وعدل فان له بذلك أجرا وان قال بغيره فان عليه منه وزرا

﴿ وجوب الطاعة ولو لغير العربي مادام عاملا بكتاب الله وكتاب رسوله ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن أمّر عليكم عبد مجدع يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا ، وقال صلى الله عليه وسلم اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة

(لا طاعة للامير في معصية الله)

هـذا الحكم الشرعي يجب أن تنكشف حقيقته وتظهر خفاياه وقبل أن نورد الاحاديث الصحيحة في هـذا الموضوع نبين ما يجب على المسلم اذا أمره الامير بمعصية الله تعالى و بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يعتقد و يعلم . معلوم أن أحدا من الناس لا يعتقد أنه أحاط بالسنة الا اذا كان مدعيا والعلم كله في جماعة المسلمين كلهم وقد تقدم أن الامير يجب أن يكون أعلم الجماعة وأن يكون أهل خاصته علماء حكماء فقد يأمر الامير واحدا من المسلمين بأمر من السنة عند الامير ومن طاعة الله عنده وهو عند المأمور من معصية الله ومن مخالفة السنة وقد يأمره بما هو معصية ومخالفة قصدا فالواجب على المسلم في هـذا الحال أن يلاطف الامير ملاطفة تجمله واثقا باخلاصه له و يكتم أسراره وأنه يفديه بماله وولده من مضار الدنيا والآخرة حتى اذا أنس الامير به قال له أني على قدر علمي أعتقد أن هـذا العمل معصية لله تعالى ومخالفة لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأني أعيذ الامير بالله من هـذا فهل لذلك وجه شرعي فيبين له الامير كما اذا كان في جهاد فأمر الامير فرقة من جيشه بالهزيمة أمام العدوّ والهزيمة من أمام العدو من الكبائر إلا برخصة شرعية فعلى الامير أن يبين له وجه ذلك وكما لو أمره الامير بقتل انسان يعلم أنه تقيّ صالح وقد علم الامير بعيونه أنه عين للعدو أو رأس

للخوارج أو يسعى في الارض بالفساد وعلى المامور أن يسأل الامير وعلى الامير اذا علم منه كتم السر أن يبين له ذلك أو يقيله كما اذا أمر الامير مسلما بالكذب في وقت الجهاد وكان المسلم لا يعلم أن الكذب في وقت الجهاد قد يباح وعليه أن يسأل الامير وعلى الامير أن يبين له وجه ذلك . وقد ورد في السنة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل رجل فوجدوه يصلي وأمر بهدم مسجد الضرار على من فيه وأمر سيدنا أبا بكر الصديق بقتل رجل سرق ورخص بعد فتح خيبر لرجل من المهاجرين أن يتكلم فيه صلى الله عليه وسلم لخلاص ماله من مكة وكل ذلك من السنة والامير خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اذا أمر بمعصية لا تحتمل التأويل بوجه من الوجوه فالواجب على المأمور أن لا يطيعه وعليه عند ذلك أن لا يبيح هذا السر لجماعة المسلمين خشية من تفرقة الكلمة ولكن عليه أن يظهر له الطاعة اذا كان في حالة غضب وحدة ثم ينتهز فرصة زوال حدته ويذكره بأيام الله وبعاقبة معصية الله فيراجعه ولو بلغ ذلك أنه يأمر بقتله فيكون من خيار الشهداء لانه قام بالواجب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولولي الامر فان أطاعه في معصية الله أغضب الله تعالى وأغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعان الظالم وسعى في زوال الامارة عن الامير واستحق سخط الله تعالى وسلط الله الامير عليه وان خالفه وخرج مشيعا تلك الفاحشة أمام المسلمين حتى أوجد في المسلمين روح الخروج عليه ومحاربته كان كمن فتح باب شر على المسلمين وليس من ضرب ظهرك وأخذ مالك أمرك بمعصية الله ولكن عصا الله فيك فعليك أن تستر هذا استراً لعورات المسلمين وحفظاً لقلوبهم من التفرقة وفي هذا الاجمال تفصيل لذي اللب . قال صلى الله عليه وسلم السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة . وقال صلى الله عليه وسلم لا طاعة في معصية إنما الطاعة في المعروف * وعن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الامر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم . وفي رواية على أن لا ننازع الامر أهله الا أن تروا كفرا بواحا (أي مجاهرا به) عندكم من الله فيه برهان

﴿ لا طاعة على المسلم للامير الا فيما استطاع ﴾

عن ابن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال كنا إذا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعتم) يظهر من هذا الحديث الشريف تقرير أصل من أصول الدين وهو أن شرط القيام بتأدية كل حكم من أحكام الشرع القدرة على عمله سر قوله سبحانه وتعالى (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) فلو أن الامير أمر مسلما بما لا قدرة له عليه وخالف أمره يكون مطيعا الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولكن يجب عليه أن لا يجعل ذلك سببا لاشاعة الشر بين المسلمين على امامهم

(مفارقة الجماعة مفارقة للدين والخروج على الامام خروج من الدين)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت الا مات ميتة جاهلية . وقال أبو هريرة رضى الله عنه من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل قتلة جاهلية . ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذى عهد عهده فليس مني ولست منه

﴿ الصبر على الامام الظلوم خير من فتنة تدوم ﴾

عن عوف بن مالك الاشجعى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال قلنا يارسول الله أفلا ننابذهم عند ذلك قال لا ما أقاموا

فيكم الصلاة الا من ولى عليه وال فرآه يأتى شيأ من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة الله . عن أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع قالوا أفلا نقاتلهم قال لا ما صلوا الا ما صلوا يعنى من كره بقلبه وأنكر بلسانه . عن عبد الله بن عمر رضى الله تبارك وتعالى عنهما قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (انكم ستر ون بعدى أثرة وأمورا تنكرونها قالوا فما تامرنا يارسول الله أدوا اليهم حقهم وسلوا الله حقكم) قال وسال سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله أرأيت ان قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا قال اسمعوا وأطيعوا فان عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم) هذه الاحاديث الصحيحة وان اختلفت ألفاظها فقد اتحدت مدلولاتها وان كان فى كل حديث من أسرار الحكمة مالا تفى العبارة بها الا أننا نأخذ منها حكما شرعيا فى موضوعنا هذا وهو ان الواجب على كل فردمنا وعلى جماعتنا الصبر على جفوة الامام وهفواته والابتهال الى الله أن يصلح أحواله ومستقبله أو أن يريح المسلمين من شره من غير أن يفتح باب من أبواب الشر عليهم ولم يكن ذلك كله ألا خشية أن يقوم بعض أفراد المسلمين أو جماعتهم برد الامام عن ظلمه بالقوة فيقابلهم بالمثل فيزول سلطان المسلمين ويتمكن منهم أعداؤهم وصبر المسلمين على جفوة الامام وظلمه مع حفظ دينهم ودنياهم إجمالا ومع أن الامام منهم ولو كان ظالما غاشما يؤدى الى زوال الشر عن المسلمين أما بتوبة الامام ورجوعه الى الحق عندما يذكره الأتقياء أو بموته وتولية غيره فيتغير الحال بتغييره واذا لم يصبروا عليه وخرجوا عليه فانه يدافع عن نفسه بما لديه من القوة فتسل سيوف المسلمين على المسلمين وفى ذلك ما فيه من غضب رب العالمين ونقص الاموال والانفس والثمرات وتكون النتيجة التجاء أحدهما الى عدو غشاش يعين أحدهما على الآخر حتى يتمكن من جماعة المسلمين فيمحو معالم الدين ويغير سنن المسلمين ويرغمهم على الكفر بعد الايمان بالقوة التى تجعلهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية أو يغير مدنيتهم المؤسسة على الكتاب والسنة وحضارتهم القائمة على الحق والعدل والمساواة كما بين فى سنن الائمة الهادين . بمدنية المدن

الضالة الفاسقة وحضارة المدن الجاهلية الماحقة . ولبست الحوادث التى حدثت بين الامام والامة فأنتجت تلك النتائج الضارة وبدات معالم الحق وأنواره بظلمات الباطل وأضراره والفضيلة الشرعية بالرزائل البهيمية الشيطانية بقليلة كل هذا الامر العظيم نتج من أمر صغير هو عدم صبر المسلم على جفوة الامير وعدم تواضع الامام وأعطائه الحق من نفسه لرعيته ولكن ترك الصبر من المسلم وأعجاب الامام برأيه واتباعه هواه وأطاعته الشح صيرت الملك صعلوكا مملوكا والرعية العزيزة بأمامها همجا رعاعا ولذلك فقد حظر نا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الاحاديث الصحيحة من عدم الصبر على الامام ونهانا من الخروج عليه وأمرنا بالدعاء له ليدوم سلطان المسلمين وتبقى كلمة الله هى العليا . فانظر يا أخى بعين البصير الناقد فى هذا الامر الخطير واياك ان تدفعك العزة بالاثم فتستعظم الجفوة من الامام أو الاذية منه فى نفسك أو مالك أو ولدك فينفخ فيك شيطان الغرور فتسعى فى تمزيق جماعة المسلمين وأضعاف سلطانهم وتسعى فى الاستنصار بغير المسلمين والاستعانة بغير المؤمنين أو تجعل لك عصبة ممن لا خلاق لهم أهل المطامع فى الدنيا والشوق الى الرياسات وتقوم فتخرج على الامام وقد علمت يا أخى ان الخوارج كلاب النار فالواجب علينا جماعة المسلمين ان نتمسك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وان نصبر على جفوة الامراء حتى اذا صبرنا ودعونا الله تعالى نظر الله الينا فولى الامور خيارنا قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال صلى الله عليه وسلم (كما تكونوا يول عليكم) وفى هذه الاحاديث المتقدمة من غوامض الحكمة ما لا يسعه هذا المختصر اذ ليست من مقاصده وستأتى الاشارة اليها فى كتاب آخر ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أسأل أن يجعلنا جميعا من أهل الخير والصلاح وأن يجدد بنا السنة ويعلى بنا الكلمة انه مجيب الدعاء

(الخروج من طاعة السلطان خروج عن المحجة ورفض البيعة رفض الايمان)

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من خلع يدا من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) عن أبى

هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كانت بنو اسرائيل تسوسهم الانبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وأنه لا نبي بعدي وسيكون خلفاء فيكثرون قالوا فما تأمرنا قال فوا ببيعة الاول فالاول أعطوهم حقهم فان الله تعالى سائلهم عما استرعاهم

هذان الحديثان الصحيحان يعينان على كل مسلم أن لا يخرج عن بيعة الامام وأن لا يعيش نفسا بدون بيعة الامام فان الخروج عن طاعة الامام ورفض البيعة مخالفة لامر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم وفتح لابواب الشرور على المسلمين وايقاد لنيران العداوة والبغضاء ومحاربة لله ولرسوله وليس من مسلم يؤمن بالله ورسوله ويؤمن بيوم الحساب يسعى في مضرة فرد واحد من أفراد المسلمين لينفع نفسه فكيف يسعى في نحو الاسلام والمسلمين أسئال الله تعالى أن يحفظنا من التفرقة ومن الخروج من الطاعة والخروج على الجماعة . وفي الحديث الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آمركم بخمس بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله وأنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثاء جهنم وان صام وصلى وزعم انه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم من أهان سلطان الله في الارض أهانه الله

(الامام لا يكون الا واحد شرعا)

عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما . وقال صلى الله عليه وسلم إنه سيكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائنا من كان . وقال صلى الله عليه وسلم (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم و يفرق جماعتكم فاقتلوه وقال عليه الصلاة والسلام (من بايع أماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه أن استطاع فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر

هذه الأحاديث الصحيحة تبين لنا ما يجب العمل به فيما إذا ظهر من ينازع فى الخلافة أو يدعيها لنفسه بعد تنصيب الامام واجتماع كلمة المسلمين عليه وتعين علينا جماعة المسلمين أن نقتل الآخر اذا توفرت تلك الشروط ومنه يظهر أن من أعان الخارج كان مثله يجب قتله حدا. وأما من خرج ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله أو معينا لعدو كافر ليوليه الامارة أو لعصبية وانتقام فقتل كفرا ولا يعلم قدر المفاسد والمضار التى تحصل لجماعة المسلمين بالاهمال فى قتله الا الله سبحانه وتعالى فالواجب علينا جميعا أن تنفذ أحكام الله ورسوله بكل شدة ولا تأخذنا رأفة فى دين الله على الفاسقين الخوارج والله سبحانه وتعالى اسأل أن يودنا بوده الذى ود به أهل محبته

(إنما يؤمّر من أكره عليها لا من طلبها)

لو أن جماعة المسلمين سلكوا مسلك الأئمة الهداة فى اختيار الامام كما فعل سيدنا ومولانا أبو بكر الصديق اذا اختار سيدنا ومولانا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبين لهم بالدلائل البرهانية وجه اختياره له حتى اطمأنت القلوب وكما جعلها سيدنا عمر بن الخطاب لعدد من الصحابة شورى بينهم وجعل ابنه من أهل الشورى وليست له الامامة وكما أجمع أهل الشورى على امامة سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو كاره لها لدام الامر على ما كان عليه ولانتشر الاسلام حتى دخل فيه جميع سكان الارض ولكن الامامة صارت حظا فى النفوس يختص به الرجل ولده أو أخاه ويقهر جماعة المسلمين على البيعة له فيكون القائم بالامر معتقداً أن المسلمين لم يرضوا له الا بالقهر فيتحرز منهم ويخشى على نفسه من غدرهم ويشغل وقته بالكيد لهم حتى يتمكن منه عدوه على غرة منه. وقد سرى هذا البلاء حتى أصبحت وظائف القضاء وحماية الثغور وقيادة الجيوش وأمارة الخراج تطلب ببذل المال والجاه والعرض والدين فيتعلم الولد من صغره ليكون قاضيا فى كبره ويشب ومعه تلك الغاية فيسعى لنوال المنامن الامير برمى القائم بها أو بالتشنيع عليه أو بالكذب عليه أو بدعوى أنه عدو

للامير حتى يتولى هذا المنصب جاهلا بقدر تبعاته ويحكم فى دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم بحظه فما يتلذذ بالرياسة الا ريثما يسلط الله عليه آخر ينتقم الله به منه وينتقم الله من الظالم بالظالم وهذا عقابه العاجل له فى الدنيا وفى الآخرة عذاب شديد . فالواجب على أمام المسلمين وعلى جماعتهم أن لا يولوا ولاية قضاء أو جباية أو حماية ثغور أو أمارة جيوش الا من كان أهلا ومحلا وأكره عليها وفر منها خوفا من الله تعالى أن لا يحسن القيام بها كما حصل ذلك لأئمة السلف الصالح فكم ضرب عالم وكم عذب تقى ليتولى وفر منها . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة . وعن أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ألا تستعملنى قال فضرب بيده على منكبى ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أباذر انك ضعيف وانها أمانة وانها يوم القيامة خزى وندامة الا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها وقال صلى الله عليه وسلم يا أباذر انى أراك ضعيفا وانى أحب لك ما أحب لنفسى لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم . وعن أبى موسى رضى الله عنه قال دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم أنا ورجلان من بنى عمى فقالا أمرنا على بعض ما ولاك الله فقال أنا والله لا نولى على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه وقال صلى الله عليه وسلم لا نستعمل على عملنا من أراده وقال صلى الله عليه وسلم تجدون من خير الناس أشدهم كراهية لهذا الامر حتى يقع فيه . وقال صلى الله عليه وسلم ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وقال صلى الله عليه وسلم مامن وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم الا حرم الله عليه الجنة . وقال صلى الله عليه وسلم مامن عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة وقال صلى الله عليه وسلم ان شر الرعاة الحطمة . وقال صلى الله عليه وسلم اللهم من ولى من أمر أمتى شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئاً فرفق بهم فارفق به

﴿ سعادة الامام المقسط ﴾

معلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء فلا نبي بعده يسوس الناس ولكن الله تعالى من على جماعة المسلمين بأن أبقى فيهم أسرار النبوة وورثهم أنوارها وأقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا لا يقومون بحجة الله ويجددون سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الامام الاعظم فاذا كملت معانيه وصحت مبانيه كان هو الصورة المحمدية الكاملة والخليفة الحقيقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وخليفة ربنا سبحانه وتعالى في أرضه وهي أشرف المقامات بعد الرسالة وأجل المنازل بعد النبوة بطهارة النفس وتزكيتها والمنافسة في نوال القرب من حضرة القدس والحظوة لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قد يبلغ درجة من الكمالات النفسية الى أن تكون مخالفة أمره من أكبر الكبائر لانه قام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون اجتهاده حقا واستنباطه حقا وعمله سنة يقتدى بها فلا يعلم الا الله ما أخفى له من قرة أعين وما أعده الله له من عظيم الفضل وجزيل الثواب . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا

(تحرز الامام من بطانة السوء)

اعلم يا أخي منحني الله واياك الاخلاص لذاته والصدق في معاملته سبحانه أن الخليفة لا دنيا الا عنده ولا دين الا به والناس قسمان طالب دنيا وطالب دين وأشد الناس طمعا في الدنيا لا يطلبها الا عند الامام وأشد الناس حرصا على الدين لا يطلبه الا بالامام ولذلك ترى أشد الناس حرصاً على الدنيا يبذلون النفس والنفيس في التقرب منه وأحرص الناس على الدين يهتمون

بشأنه للنصيحة وتجديد السنة و إعلاء الكلمة به . ومعلوم أن أهل الدنيا يتجملون للسلطان بما يحب إن بالدين وان بالدنيا فيخفى عليه أهل الحق فى بواطن الخير فى أهل الشر فأفسدوا عليه ملكه وفتحوا عليه أبواب الفتن والشرور وبواطن الشر فى أهل الخير فأبعد عن نفسه الخير وكل ذلك من عدم رويته فى الامور وبحثه عن خفايا كل أمر وجهله بمقاصد أهل الشرور الذين يسمعونه ما يحب ويعينونه على ما يهوى ويظهرون له الحب فى ذاته والسعى فى تقوية سلطانه فيغتر بهم وينفر من أهل النصيحة المخلصين فيكون عاقبة ذلك فساد الراعى والرعية وتفرقة الجماعة . وأما اذا كان السلطان حذراً يقظاً أبعد أهل المطامع الاشرار وقرب الحكماء الاخيار واقتدى بهم فصلح الراعى والرعية وكان الله مع الجميع وأغدق نعمه وفضله . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله

(هول يوم القيامة على السلطان المخالف)

قال صلى الله عليه وسلم ما من أمير عشرة الا يؤتى به يوم القيامة مغلولا حتى يفك عنه العدل أو يوبقه الجور . وقال صلى الله عليه وسلم ويل للامراء ويل للعرفاء ويل للامناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن نواصيهم معلقة بالثريا يتجلجلون بين السماء والارض وأنهم لم يلوا عملا وقال صلى الله عليه وسلم ان العرافة حق ولابد للناس من عرفاء ولكن العرفاء فى النار . وقال صلى الله عليه وسلم لكعب بن عجرة أعيذك بالله من أمارة السفهاء قال وما ذاك يا رسول الله قال أمراء سيكونون من بعدى من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليسوا منى ولست منهم ولم يردوا على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وأولئك يردون على الحوض . اذا كان المصدق لهم بكذبهم المعين لهم ليس من رسول الله ولا يرد عليه الحوض فكيف بنفس الامراء . أعوذ بالله من امارة تبعد

عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . عن المقدام بن معديكرب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على منكبيه ثم قال أفلحت ياقديم ان مت ولم تكن أميرا ولا كاتبا ولا عريفا عن عقبة بن عامر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل وان أبغض الناس الى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا ويروى وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر

﴿ آداب عمومية للراعي والرعية وردت في أحاديث حسان ﴾

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن ويروى ومن لزم السلطان افتتن ومازداد عبد من السلطان دنوا الا ازداد من الله بعدا . وعن عقبة بن عامر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس يعني الذي يعشر الناس . وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر . وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم . وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك اذا اتبعت عورات الناس أفسدتهم . عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء قلت أما والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي ثم أضرب به حتى ألقاك قال صلى الله عليه وسلم أولا أدلك على خير من ذلك تصبر حتى تلقاني

﴿ نصيحة عامة ﴾

أيها العلماء الحكماء الاتقياء أنتم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسرج الدنيا ومصابيح الآخرة يأمن الناس يوم القيامة وتخافون لانكم مسئولون ويفزع الناس فى الدنيا وأنتم حصون الأمن لانكم النور المبين للهدى الماحى للضلال . الملوك ملوك على الناس وأنتم ملوك عليهم اليكم يرجعون وبكم يقتدون وبمشوراتكم يعملون فعظموا العلم بالزهد فى الدنيا وتحقيرها والرغبة فى الآخرة والعمل لها ولا تتشوفوا الى السيادة الفانية والرياسة المفسدة وارضوا بالقليل من الدنيا لتتمكنوا من عمل الخير العام للمسلمين . فانكم اذا عظمتم الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وعظمتم شعائر الله سبحانه وأقبلتم بكليتكم على الحق محتقرين لزهرة الدنيا وبهجتها جملكم الله بحلل العزة والجلال والهيبة والوقار فخضعت لكم الامراء وأطاعتكم الرعية فكنتم حجة الله على عباده بكم تعلو كلمته وتجدد سننه واذا غرتكم الدنيا وقادكم الحظ والهوى هوى بكم الى هوة الذل فخلت الارض من قائم لله بحجة وعملتم بالرأى والهوى فضللتم وأضللتم وهلكتم وأهلكتم وكان اثم ذلك عليكم . فاحفظوا الله يحفظكم احفظوا الله تجدوه أمامكم . كونوا مع الله نكونوا الله معكم . واقتدوا باخوانكم العلماء الذين سبقوكم بالايمان فانهم كتبوا الامير المؤمنين عمر بن الخطاب يعظونه ويحذرونه وكان من تعلمون مكانته من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمدحهم وأثنى عليهم وهكذا كان العالم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى السلف ينطق بالحق امام الخليفة لا يخشى فى الله لومة لائم وكان سيدنا عمر بن الخطاب يعارض سيدنا أبا بكر وكان المسلم يقف أمام عمر رضى الله عنه ويقول له لو انحرفت عن السنة لقطعنا رأسك وكانت العالمة من النساء تدخل على سيدنا معاوية فتتكلم معه حتى تبكيه . وكتب محمد بن سهل لامير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما يعظه مشددا ووقف ابن جريج أمام أبى جعفر المنصور فذمه وشنع عليه ورماه بالظلم والجور وفضيل بن عياض رضى الله عنه كلم أمير المؤمنين هارون حتى أبكاه وكان العلماء

فى كل عصر أمراء على الملوك يسعى الملك اليهم صاغرا حتى صار العلم آلة لجمع الدنيا ووسيلة للسيادة وسلما للرياسة وكيف لا وكان السلف رضوان الله عنهم يضربون على الولاية ويفرون منها ويرضى العالم أن يكون خواصا أو خرازا ليجهل عند الامراء خوفا على نفسه من الفتنة وأصبحنا وطالب العلم يفتتح طلبه بنية ان يكون قاضيا أو واليا أو قائدا ولذلك درست آثار السنة وخفيت طريق الهداية كل ذلك لاهمال العلماء فى واجباتهم وتهاونهم فى القيام بما فرض عليهم وقد كاد النور أن يطفأ لولا بقية ثقة بالله وأمل فى البقية الباقية من صالح عباد الله تعالى . فيا أيها العلماء لو رضيتم بالفقر فى الدنيا لتحيوا سنن الله تعالى أغناكم الله فى الدنيا والآخرة ولو زهدتم فى الدنيا لتجددوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلت عليكم الدنيا صاغرة فقوموا بواجبكم وارفعوا أصواتكم بالنصيحة لخاصة المسلمين وعامتهم ولأولى الامر منكم وان منعوكم ذلك فاكتبوا لهم معتصمين بالله معتقدين ان رضاء الله خير من الدنيا وما فيها فان فى ذلك عزا للمسلمين وقوة لسلطانهم وسعادتكم فى الدنيا والآخرة واحذروا قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) وتجملوا بحقيقة قوله تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) واعلموا ان جهادكم أكبر من جهاد الجيوش الفاتحة وما يستفيده المسلمون منكم خير من غنائم الاكاسرة والقياصرة والله يوفقنا لما يحبه ويرضاه من العلم والعمل آمين

﴿ التجار ﴾

أيها التجار أنتم أمناء الله فى أرضه والجالبون الخير لعباده وكنوز المسلمين عند الحاجة وحصونهم عند الداعى تجلبون لهم النافع من الميرة والذخيرة وضروريات الحياة وكمالياتها مما أباحه الله سبحانه وتصدرون ما زاد عنهم الى البلاد الاخرى لتنمية أموالهم وأنتم رواد الاسلام وناشروا أنواره بين الامم الذين لم يهدهم الله لدينه . بكم تنتشر فضائل الاسلام

وتحمي ثغوره وتعلم كالأنه بما جملكم الله به من الصدق والامانة والوفاء وما منحكم الله من الحب لدينه والرغبة في تذكير الخلق لفضائله وبكم يعلم أمراء المسلمين أسرار داخلية الامم الاخرى وعوائدهم واخلاقهم والوجه التي يؤلفهم بها الامير أو يفاجئهم فاذا شغلكم حظ العاجلة عما أوجبه الله عليكم من الحقوق أبدلتم الوفاء بالغدر والامانة بالخيانة والصدق بالكذب والنصيحة بالغش والاشتغال بنشر فضائل الدين بحب غير المسلمين ومدحهم فيسلب الله البركة من أيدي من يتصفون بتلك الصفات ويذهب الصناعة من بلادهم ويجعل ذلك في أيدي اعدائهم تعجيلا للعقوبة منهم في الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى فاسترجعوا أيها التجار مجدكم القديم وعاهدوا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم أن تقوموا بالواجب عليكم لاخوانكم المسلمين وتجعلوا التجارة تجارة رابحة لن تبور تنالون بها سعادة الدنيا والآخرة ولا يكون ذلك الا بالاخلاص لله ورسوله صلى الله عليه وسلم والنصح لخاصة المسلمين وعامتهم والعمل لتقوية سلطان المسلمين والله سبحانه يجملنا بواسع فضله ويمنحنا الهداية الى الصراط المستقيم

﴿ الصناع ﴾

أنتم الايدي العاملة لخير المسلمين . أبدانكم متعبة لسعادتهم وافكاركم مشغولة لراحتهم يناموون وأنتم تسهرون ويستريحون وأنتم تتعبون ويفرحون بآثار ياسات والفتوحات والغنائم وأنتم في أعمالكم دائبون ولو تفكر السلطان على سريره والامير على منصته والوالي على رعيته والتاجر في بهجته والمزارع في روضته والمسافر في البر والبحر في راحته والعالم بين كتابه ومحبرته والمثري في شاهق قصره لتحقق أن تلك النعمة أنعم الله بها على الكل على يدك أيها الصانع المسكين تتعب فكرك لتخترع ما به راحة أمتك وأعلاء كلمة ربك وأحياء سنة نبيك ونمو ثروة أخوانك وتتعب بدنك وبدنك لتقيهم ضرر الحر والبرد فأنت ولا شك نعمة الله على المسلمين لخير الدنيا والآخرة . أحل الرزق رزقك وأطيب الطعام طعامك سيأتي عليك يوم

يخاف الناس وأنت آمن ويحـزن الناس وأنت فرح ويعـذب الناس وأنت متنعم ولا يكون ذلك الا اذا أسهرت طرفك فيما نفعه عام وخيره عام للدين والدنيا مما به قوة السلطان وضعف الاعداء وثروة الاخوان وراحة الابدان فاعمل فعملك لله واجتهـد ولا تهمل في عملك فان اهمالك في عملك وتهاونك باتقانه يذهب عزة المسلمين ويمكن منهم أعداءهم ويجعل أخوانك المسلمين يرغبون في صنائع أعدائهم فيحبونهم ويقلدونهم ويرغبون فيهم فيكون ذلك ضياعا لسلطان المسلمين ولاموالهم وفسادا في الدين فأتقن عملك وانصح واجتهـد أن ترغب أخوانك في صنائع بلادهم بما تخترعه وما تتقنه والله وليي ووليك وهو حسبي ونعم الوكيل . وكما أقامك الله عاملا بما به حفظ ثغور المسلمين وطيب حياتهم فاجعل لك أيها الصانع وقتا تشكر فيه ربك على ما من عليك به من الاعمال النافعة لجميع اخوانك المسلمين وتجالس فيه أهل العلم والتقوى لتنال سعادة الدنيا والآخرة ولكنك يا أخي اذا كنت بياض نهارك بين الصناع وفي وقت فضائك في مجتمعات اللهو والغفلة أو مع زوجتك وأولادك ولم تجالس العلماء وأهـل التقوى الذين تتعلم منهم الاخلاص في العمل وحسن النية في أعمال الدنيا لله رب العالمين حتى تكون صناعاتك التي تعملها للدنيا نافعة لك يوم القيامة فتفوز بسعادة الدنيا والآخرة جميعا كانت تلك المنافع العامة التي تقدمها لجماعة المسلمين لا أجر لها يوم القيامة لان ثواب يوم القيامة انما يكون لعمل قصد به وجه الله تعالى ولا يقصد العامل وجه الله تعالى الا اذا كان عالما والله سبحانه وتعالى يمنح الصناع الرغبة في العلم النافع

(المزارع)

أيها الفلاح أنت الذي يخرج الله على يدك خبايا الارض وخفي كنوزها مما به غذاء الابدان الحية وما به الاثاث والزينة والرياش . أقامك الله مقام العامل لنفع الكائنات الحية من أنواع النباتات والحيوانات ولولاك أيها المسكين لجاعت الابدان وفترت الافكار . فما من زينة ظهرت ولا آلة اخترعت ولا أمن استتب ولا معارف ولا علوم نشرت ولا فنون شهرت ولا

مساجد شيدت لعبادة الله ولا لذة فرح بها الا بعد الراحة من الجوع والعرى ولا راحة منهما الا بعملك الذى أقامك الله فيه وأمدك بالقوة المعينة لك عليه فأنت مصدر كل خير وراحة وهناء لجماعة المسلمين اذا قمت بواجبك حق قيامك توفرت العدة والعدد وتجددت سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرت مساجد الله سبحانه وتعالى وكثر شاكروه وذاكروه سبحانه أقامك الله فى عمل يشهد فيه العامل آثار قدرة القادر وآيات حكمة الحكيم تقوم يا أخى فتشق الارض فيصب الله الماء صبا إما من السماء أو من الانهار أو من العيون ثم تتوجه الى بيتك وقد وضعت حبة من الجماد ميتة فى أرض ميتة ولا قدرة لك على غير ذلك فتصبح يا أخى فترى الارض قد اهتزت وربت واكتست بحلة سندسية وعمانباتها وأزهر تشهد ذلك صباحا مساء وتشاهد من غرائب صنع ربك سبحانه وآثار رحمته مالا يشهده غيرك من بنى الانسان ثم تدعى يا أخى انك زرعت وتعبت وعملت وعملت ثم تبخل بحقوق الله وتدعى أن ذلك ملكك جهلا منك بالواجب عليك لربك المنعم ونسيانا بوصايا نبيك صلى الله عليه وسلم الرؤف الرحيم عليك ينتج من ذلك ما تراه بعينك ترى الحبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فكأن ربحك فى الواحدة سبعمائة ولكن البركة نزعت من العمل فكأنك أيها الفلاح مع شهودك تلك البركات والخيرات لم تعمل شيأ وذلك لانك تسهر الليل والنهار فى العمل الشاق ولا تعود لاهلك الا بالخشن من اللباس والردئ من الطعام . لم ذلك أيها الفلاح وأنت تفتح كنوز الارض وتستخرج خباياها أنبهك الى سبب ذلك لعلك تتنبه فتعود لك البركة وتفاض عليك الخيرات : ذلك لانك تشهد آثار قدرة ربك وبديع صنعه وغريب آياته لتتذكر فتذكر وتشكر فتنسى وتغفل وتجعل العمل إما لك أو للحاكم الذى أعانك بالماء أو بالجسور : تنبه يا أخى . هل الحاكم أجرى لك الانهار وأنزل لك الامطار وأوجد لك الارض خصبة سهلة تضييع الوقت فى شكر الحاكم وذكره فاحذر يا أخى أن ينتج نسيانك ربك امساك السماء ماءها والارض نباتها وتنتشر جنود ربك فى المزروعات فتفسدها وفى الانهار فتغيرها فان الله غيور أن يهب نعمته لعبد يشكر غيره أو يمن على عبد يذكر غيره . أيها الفلاح تضر زراعة جارك لتنفع زراعتك وتضيق أرضه لتوسع أرضك وتحرم الورثة من الميراث لتكثر أطيانك

وتظن أنه يبارك لك في مالك أو بدنك أو أهلك أو زراعتك وجهلت طريق البركة وسبيل النعمة أتغضب ربك ويبارك لك أو تسخطه ويعينك وتحزن الناس بسلب أموالهم وظلمهم وتظن أنك تفرح في الدنيا أو الآخرة لذلك ترى الفلاح الذي يعمل هذه الاعمال شقي الجسم والفكر في الدنيا فان تاب وأقلع وأصلح عملا تاب الله عليه وسعد في الدنيا والآخرة وأن دام على ذلك فلا يعلم عاقبة أمره في الآخرة الا الله تعالى فتنبه أيها الفلاح الذي جعله الله مصدر اللخيرات ويدا عاملة لجلب المسرات ودفع المضرات الى مقامك في الوجود ومنزلتك بين اخوانك واشكر ربك على ما أولاك يبارك لك ويتولاك والله لا يضيع أجر من أحسن عملا

﴿ الواجب للوالدين ﴾

لست في مقام تقرير حقيقة خفية ولكنها ثابتة شرعا وعقلا وجلية تؤثر على القلوب والحواس تأثيرا يؤدي الى الانفعال النفساني والجسماني بالعواطف والاعتقاد والانقياد وبالغيرة والحمية مالي وللتكلم في واجب فطرت على مراعاته النفوس الكريمة وجبلت على القيام به العقول السليمة حتى صار من المقرر عقلا وعادة أن الولد اذا لم يقم لوالديه فيما من شأنه أن يقوم به أهل العواطف ظلم أمه وسمعت أن بعض أولياء الله المتوسمين جالس في مجلس فرأى رجلا يؤذي والده فذم الناس أم العاق فقال الولي الولد من ظهر أبيه الا ان أباه كثير الحلف بالطلاق فيظهر من هذا ان المرأة اذا حفظت فرجها وحفظ الرجل لسانه من يمين الفسق وبطنه من الحرام رزقه الله أولادا بررة يكونون له كعينيه ويديه ورجليه . وبعيشك أيها الاخ هل تتصور ان انسانا عاقلا يتوهم أن اليد اليمنى تضر اليسرى أو تضر الرأس أو العين . وهي جزء من الجسد لا اشك أنك تقول لا لا أتصور ذلك اذا فكيف تتصور أن خلاصة الجسد وصورته الحقيقية بل وثمرة شجرته تؤذي الاصل الا أن تكون من أصل آخر لا يجمعها عليه أصول دانية ولا عالية . فالولد العاق اما أن يكون من حرام عملا أو غذاء أو قولا لان الولد زهرة الشجرة التي

هى الوالد والوالدة . والوالد والوالدة هما مظهر الشفقة والرحمة والحنان والبر والامداد والايجاد الالهى ولذلك فقد أوجب الله الشكر لهما وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة تحت أقدام الامهات وجعل الوالد على باب الجنة قال الله سبحانه وتعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا) وقال الله تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا) وقال سبحانه وتعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا) الآية وقال سبحانه وتعالى (ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكرلى ولوالديك الىّ المصير) وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رجل يارسول الله من أحق بحسن صحابتى أو صحبتى قال أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك وقال صلى الله عليه وسلم رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قيل من يارسول الله قال من أدرك والديه عنده الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنها أنها قالت قدمت علىّ أمى وهى مشركة فى عهد قريش فقلت يارسول الله أن أمى قدمت علىّ وهى راغبة أفأصلها قال نعم صليها . وفى الحديث الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فحافظ على الباب أو ضيع . هذه الآيات القرآنية والاحاديث الشريفة قد بينت لنا حقوق الوالدين وشرحت لنا مقدار السعادة التى تنالها ببرهما والشقاء الذى يناله العاق ومن كمال البر أن تبذل مالك وتحفظ مالهما وتأكل بعد أكلهما وتنام بعد نومهما وتلبس بعد لبسهما وتجتهد أن تعمل ما يسرهما ولو كانا كافرين حتى لو طلبا منك أن تسقيهما الخمر فاسقهما وعليك أن لا تخالفهما الا ان جاهداك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم فالواجب عليك أن لا تطيعهما كما قال تعالى (وأن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب الىّ ثم الىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) واياك أن يدفعك الطمع فتوفر مالك وتنفق من مالهما أو تأخذ من مالهما شيأ تدخره لنفسك أو لاولادك أو يحمل امرأتك بشئ لم يحمل به

والدتك فان ذلك عقوق تعـذب به يوم القيامـة وتعاقب به فى الدنيا بعقوق أولادك لك وكن على يقين أن برك لوالديك سـعادة لك فى الدنيا بالعافية فى بدنك والنسيئة فى عمـرك والوسـعة فى رزقك ونجابة أولادك وسرورك بهـم ولو تحققت ذلك ياأخى لبـذلت النفس والنفيس فى ادخال السرور على والديك فانك لاتدرى متى يفارقاك . لو تصورت ياأخى كيف كانا يفرحان بك صغيرا ويبذلان نفائس أموالهما لسرورك وكيف تحملت والدتك فى حملك ورضاعك وفى تمريضك وماتحمـله والدك فى تربيتك لبذلت وسـعك لتسرهما وتكرمهما لموتا راضـيين عنك داعيـين لك وتعيش بعـدهما مطمئن القلب بأنك ستنال الخـير ببركة دعائهـما والذرية الصالحة البارة ببركة رضاهما مع مايحصـل لك من البهجة والسرور عنـد ماتتذكر أنك أحسنت الى والديك وأن الله سـبحانه وتعالى سـيدخلك الجنـة مع الابرار البارين . تلك البهجة ياأخى خير من الدنيا ومافيها وأظنك تقول أبنائى وزوجتى أنت يامسكين لاتدرى أهم أبناؤك حقا أم التصـقوا بك ولا تعـلم أرزقت بهـم ليكونوا لك خـيرا فى الدنيا والآخرة أو شقاء لوالديهما فى الدنيا والآخرة فـكيف ياأخى تترك الامر الجلى خـيره البينة سعادته وهو بر والديك الذين أحسنا اليك وأوجب الله عليك ان تقوم لهما بالاحسان وتجتهد فى الامر المشكوك فيـه الذى لاتعـلم عاقبته وهو أن تدخر لابنائك وتهمل الحقوق الواجبة عليك لوالديك أعاذنى الله واياك ياأخى مما يوجب المقت والسخط ولو أنك ادخرت لابنائك نفسا عالية ترفعهم عن سـفاسف الامور وعقلا ذكيا يعقلهم عن مهاوى المقت وخلقا جميـلا حسنا تحسن به معاشرتهم لارحامهم وأقاربهم وكنزا من الدين ينجيهم الله به السـعادة فى الدنيا والآخرة لكان خيرا من نفائس الاموال وكـنوز الذهب والفضـة والله تعالى ياأخى يجعلنى وإياك من الابرار البارين لوالديهم أنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . ومن بر الوالدين بعد موتهما الاستغفار لهما والصلاة عليهما وصلة الارحام التى توصل بهما وانفاذ عهدهما من بعدهما واكرام صديقهما ومن اكرامهما فى حياتهما أن تبر بينهما فترى الفاسق الغوى اذا مات والداه أو أحدهما دعاه الطمع الاشعبى والغرور بالدنيا ونسـيان يوم الحساب أن يقوم فيحارب أخوته وأخواته ويعتقد أنه لاعدوله فى الارض الا أبناء والديه

ماذلك الا لان الجهل أنزل المال عنده منزلة الاله المعبود الذى يأمره فيطيعه . ومن الضلال من يسلط الناس على أخوته الاشقاء أو أبناء العلات ليستريح من منافستهم له فى هذا العرض الزائل . ولعمرى أن هذا العمل لا يعمله رجل من أهل الجنة ولا من ذاق حلاوة الايمان . كن يا أخى على يقين انك ان بررت والديك بعد موتهما بصلة أرحامهما أن الله تعالى يبارك لك بركة تدوم لك حتى تكون فى الفردوس الاعلى ومن اغتر بمال يفنى ومالك يزول ورياسة تتحول وريا ش يبلى واستعان بأهل الزور والبهتان فقطع أرحامه ليكثر ماله فرحا بالمال والسيادة والرياسة كان كمن عرض نفسه لشقاء الدنيا فان قطيعة الرحم تعجل عقوبتها فى الدنيا خصوصا وأن قطيعة الرحم عقوق للوالدين وعقوق الوالدين موجب لسوء الخاتمة نعوذ بالله

﴿ الواجب الثانى للوالدين ﴾

أحق ما يجب للوالدين بعد موتهما دوام الصلاة عليهما والاستغفار لهما خصوصا عقب الصلوات الخمس وعقب مجالس الذكر والعلم ويلى هذا الواجب واجب مقدس أوجبه الشرع وفطرت عليه النفوس الفاضلة وهو صلة أرحامهما والارحام فى الاصل كل من لك به قرابة توصلها بك أمك نسبة للرحم ولكن العرف الشرعى أطلق اللفظ وجعلها عامة لكل من له بك قرابة تدلى الى أمك أو أبيك وجعل قرابة الام أولى بحسن العاطفة وان كان للعصبية تأثير على النعرة بالنسب والحمية للقرابة فابدأ أيها الاخ أيدك الله بالتوفيق بصلة أرحامك معتقدا أن ذلك سعادة لك فى الدنيا والآخرة وليكن ذلك بقدر استطاعتك وابدأ بنفسك ثم بمن تعول ومن يدفعه الامل الى الطمع فيقصر فى حقوق الصلة ويحتال فى سلب ما فى أيديهم فيكون قد ارتكب جريمتين جريمة التلصص وجريمة قطيعة الرحم . واللص الذى يتلصص على الاجنبى أقل وزرا منه . كيف يكون سرورك أيها الاخ اذا أنت أكرمت اخوانك وأقاربك وتحققت أن الله تعالى يكرمك فى الدنيا بأن يجعل فى قلوب أبنائك الرحمة والعاطفة

لبعضهم وشهدت ذلك فى حياتك وانتقلت الى الدار الآخرة شاكراً بك على ما وهبهم من التعاطف والتواصل والتآلف والمساعدة والمسارعة الى جلب الخير لبعضهم ودفع الضر عن بعضهم وانتقلت الى البرزخ فوجدت قبرك روضة من رياض الجنة فكمل سرورك وتمت بهجتك ولم يكن ذلك كله ياأخى الا لقيامك بالواجب لوالديك وأقاربك بما تفضل الله به عليك من حسن العناية والتوفيق لما يحب ثم انظر ياأخى للعاق لوالديه القاطع لرحمه كيف تصب عليه البلايا فى الدنيا صباً بكثرة القضايا والخصومات ثم يجعل الله له أبناء فجرة يبددون ما جمع فى حياته وينغصون عيشه بما يقع بينهم من الخصومات والعداوات وما يناله منهم من قبيح أعمالهم مع الناس حتى يتمنى أنه لم يكن تزوج بل وأنه لم يوجد فى الدنيا فيعيش طول عمره فى شقاء وكبائر حتى يفارق الدنيا فينتقل من آلام بدنية فكرية الى حفرة من حفر النار نعوذ بالله من قطيعة الارحام ولا يصير أبناؤه حتى يوار وه فى التراب بل تقع بينهم المنازعات والمخاصمات وربما لا كموا وتضاربوا بالعصى وتزاحموا على تفتيش الحجرة التى هو فيها وربما وطئوه بالنعال وهو ملقى بينهم وهم الذين كان يسهر ليجمع لهم ويخاصم أقاربه ليجدد لهم . انظر ياأخى بعينك عاقبة هذا الامل ونتائج هذا الطمع . صل رحمك ياأخى ليرحمك الرحمان وأكرم أقاربك ليفر بك القريب وبر والديك ليبرك البر الودود قال الله تعالى (وبالوالدين إحسانا وبذى القربى) وقال سبحانه وتعالى (فهل عسيتم أن توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه . وقال صلى الله عليه وسلم خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقوى الرحمان فقال مه قالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى يارب قال فذاك وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع الرحم (أحاديث صحيحة) وفى الحديث الحسن يقول صلى الله عليه وسلم لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم . وقال صلى الله عليه وسلم ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدخر له فى الآخرة من البغى وقطيعة الرحم

(الواجب الثالث للوالدين)

يجب عليك يا أخي أن تبر أهل ود أبيك ممن كان يودهم ويحبهم ولا تتشبه يا أخي بمن أبعدهم الله عن أعمال الخير الذين اذا تمكنوا أساءوا الى أهل ود والديهم وأضرب لك مثلا قد يكون للرجل ولد سيء الادب ويكون لوالده اخوان صدق فيشددون على الولد ويأمرون والده بالتشديد عليه ليتحسن مستقبله فيظن الجاهل أن ذلك الرجل العاقل صديق أبيه يعين أباه على مضرته فاذا توفى أبوه قام فحارب صديق أبيه وآذاه وقد يكون الرجل متزوجا امرأة غير أمه وتكون محضية عند والده محبوبة لديه ولم ترزق من أبيه أولادا فاذا مات أبوه قام فجعلها أعدى أعدائه وأشر ألدائه ولم يراع حقوق والده . وقد يكون للوالد عامل مخلص في عمله له محافظ على أمواله ويكون الولد مسرفا فيشدد عليه العامل وهو صادق أمين فاذا تمكن المسرف من المال أو الميراث حارب العامل الصدوق الامين وطرده من عمله ولم يراع حقوق والده وقد ورد عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنه وأرضاه انه كان راكبا على جمل فمر به اعرابى فنزل عن الجمل فقابله وحياه ثم أخذ بزمام الجمل وأعطاه اياه وانصرف فقيل له ماهذا قال هذا الرجل كان يضحك والدى اذا رآه فاحببت أن أبر والدى باكرام من كان يضحك لرؤيته وهكذا فليكن البر ومن هذا الامام يؤخذ . فقم يا أخى باكرام اهل ود أبيك لتكون بارا ومن كمال البر وفاء عهودهما بأن تفي لهما بما عاهدا عليه بعد موتهما وكن على يقين أنك تفوز بالمسرات في الدنيا والسعادة في الآخرة والله تعالى يمنحني واياك التوفيق لما يحب ويرضى أنه مجيب الدعاء

﴿ نصيحة للأبناء ﴾

يا بنى لا تجهل من أنت ولا ما يجب عليك ولا ما يجب لك لعلك يا بنى تظن أنك بما تجده من عواطف أمك وأبيك ومن حرصهما على سرورك وخيرك ومن بذل نفائس أموالهما فيما فيه راحة بدنك وزيادة صحتك أن ذلك واجب عليهما أو حق لازم عليهما لك فتجهل قدرك

وتنسى قدر النعمة عليك من ربك فتقوم مطالبا بحقوق توهمتها لم يوجبها الشرع ولم يستحسنها العقل فتكلف والدتك بخدمتك أو تغضب عليها ان تهاونت بشأنك أو تأبى أن تلبس أو تأكل ما قدم لك أو تستقل ما أكرماك به فتكون كالذباب الذى يطوف حول النار ولا يرضى بضوئها وحرارتها حتى يسقط فى لهبها فانك يا بنى ان توهمت ذلك وقادك رحمتهما وحنانتهما وعواطفهما الارتكاب شىء من ذلك اسرع بأن تعلم منزلتك وأنب الى ربك تائبا والى والديك معتذرا متملقا . لم يبذلا لك ما بذلا من المال والنفس لواجب عليهما بل لانك زهرة شجرتهما ومرآة حقيقتهما فان نظرت اليهما بنظر الابن للوالدين نظر تعظيم واطاعة لامرهما وحب لهما ورغبة فى نوال رضاهما من الله عليك بان جعل عاطفتهما عليك فى مزيد وجعلك لهما ظهيرا ونصيرا بعد كبرك فتكون لهما والدا شفوقا ويكونان لك كولدين رحيمين وتكون قد قمت بالواجب عليك لله ولرسوله وللوالدين يا بنى ان والديك لهما عليك بعد الله تعالى المنة وقد اكتسبا من التجارب علوما تجهلها فاياك يا بنى ان تجتمع على أمثالك الصغار فيحسنون لك ما يقبحه والداك مما قد تراه حسنا فى سنك فان ذلك ينتج احتقارك لوالديك ومخالفتك لامرهما والكذب عليهما والمضرة لمن اتصف بهذا . يا بنى انك فى صغر سنك تستحسن أشياء هى فى الحقيقة قبيحة وتستقبح أشياء هى فى الحقيقة حسنة فجاهد يا بنى نفسك أن تتروى قبل العمل وان تستشير والديك قبل الاقدام وتعلم يا بنى الملاحظة وتباعد عن كل عمل يضطرك أن تكذب على والديك بل اترك كل عمل يلجئك أن تستحى منه اذا رآك غيرك ثم اعمل بعد ذلك ما شئت فان أعمالك يا بنى ان صدرت عن تقليدك لوالديك الحكيمين أو عن روية وملاحظة ولو كان العمل خطأ فانك لا ترى نفسك ذليلا عند تأديبك عليه بل تقبل اللوم والتأديب بسرور لانك تحب الحسن من كل شىء وتكره القبيح من كل شىء يا بنى لا تضيع أوقات شبابك وفراغك من هموم الدنيا مادام والداك قائمين بما لا بد لك منه أجهد نفسك يا بنى فى هذا الزمن لتتحصل على ما به تكون من أهل الشرف والمجد من العلوم الدينية ومن الاغنياء عن شرار الخلق بالصناعات والفنون ومن المحترمين المعظمين عند الناس بالاخلاق والآداب قبل أن تضطر لشغل قلبك وتعب بدنك فى جلب ما لا بد لك منه من

قوت ولباس ومسكن و زوجة وخادم يا بني من شب على شئ شاب عليه . تجنب صحبة
الاشرار والعمل الموجب للعار واجعل لعبك فيما ينفع في منزل والديك من خدمتهما عند
فراغك من التعليم وتنظيم منزلك ونظافة ثيابك ومكانك لتكون عونا لوالديك من طفوليتك
واذا من الله عليك بان جعلك غنيا عن أشرار خلقه عالما فكن رجلا خارج المنزل فاذا دخلت
على والديك فكن طفلا كما كنت أولا عبداً كما كنت سابقا تملك ولا تملك واجعلهما
يدبران لك شأن داخليتك وان أخطآ وحسن شان خارجيتك فانك لا تدرى متى يأتيهما
الموت امامك يا بني اذا تزوجت صارت زوجتك أحب اليك من أبيك وأمك واخوتك وهي
انما رضيت بك لانك قوي سوي غني ولو ذهبت صفة من تلك الصفات ذهبت معها وكانت
حربا على زوجها فاصحب زوجتك حذرا منها واعلم ان حظك منها كحظ الحمار من
الاتان وكن عبد الله مطيعا لوالديك . يا بني بعض الضالين الذين حرموا الكمالات الانسانية
يتهاون بشأن والديه ويعتني بشأن زوجته أعوذ بالله ان اكون منهم أو تكون منهم فانهم
عبيد لشهواتهم : وعباد الدراهم والدنانير أقرب منهم للانسانية انظر الى والديك تراك غصن
شجرتهما وصورة حقيقتهما وخلاصة حياتهما فلا تعبد يا بني شهوتك وتكفر بربك
سبحانه وتعق والديك واجعل والديك في أعلى المراتب من قلبك واجعل زوجتك
كالمرحاض تاتيها عند الحاجة وأكرمها بقدر تلك الحاجة وقم لها بما فرض الله تعالى
وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنس الفضل بينك وبينها ولا تجعلها سببا في عقوق
والديك وقطيعة رحمك فان الانسان لا يدري لعله يجمع المال ويحرم منه أرحامه ثم تحوزه
الزوجة وتنفقه على زوج أجنبي : أحبب يا بني زوجة ابيك وان كانت كدراً لوالدتك براً
بوالدك الا ان توفيت والدتك فاجعلها في منزلتها وأحبب اخوتك منها كحبك لاخوتك
واجعلهم لك أنصارا واعوانا وكنوزاً وجمالا لتكون كثيرا بهم . اجتهد يا بني ان كان ورثك
والدك مجداً وشرفا ان تحافظ على ميراث والدك وان تجتهد في ان تزيده وتنميه ليحيي
والدك وان ورثك مالا وعقاراً فاجتهد ان تحفظ ميراث أبيك وان تأكل من عرق جبينك
وتهتم ان يكون لك مالا وعقارا اكتسبته بنفسك اتورثه لاولادك كما ورثك أبوك وعليك

أن تجعل اهل بلدك يعلمون أن هذا العقار والمال ميراث ابيك لك ليحيي ذكر أبيك وان هذا المال والعقار هو ما اكتسبته بنفسك لتحيي ذكرك واجتهد أن تورث أبناءك هذا المبدأ الشريف ليدوم عقار المسلمين وما لهم في خزائن المسلمين . واعلم يا بني ان بعض اهل الغواية الانذال المفسدين الذين هم مرض في جسم العائلات يتمنى الخبيث منهم أن يموت والده ليرث ماله فاذا مات والده قام فبذل المال في شهواته وحظوظه حتى اذا لم يبق في يده ما يستعين به ندم ولات حين مندم فتمنى أن والده عاش له بعد أن أحوجته الضرورة الى خدمة من كان خادما عنده أو ارتكب ما به يحشر الى السجون أعاذني الله واياك يا بني من أعمال الاشرار وفعل الخبثاء انه مجيب الدعاء والى هنا أقول لك أيها الولد البار اجتهد في صحبة العلماء العاملين وداوم على مجالسة الانقياء الصالحين وتعلم منهم وتشبه بهم والله يتولاني واياك أنه ولي المؤمنين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الحقوق الواجبة عليك لجماعة المسلمين)

سبق الكلام في الواجب عليك لنفسك ولربك سبحانه وتعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ولاولي الامر منا ولوالديك ولارحامك ولم نتكلم على الحقوق الواجبة على الزوج للزوجة والحقوق الواجبة على الزوجة للزوج والواجب على الوالد لابنائه لانه سبق شرح تلك المعاني في كتاب أصول الوصول وكتاب معارج المقربين وغيرهما في مواضيعها الخاصة بها والمراد بعون الله تعالى بيان الحقوق الواجبة على المسلم لاخوانه وقد ثبتت تلك الحقوق شرعا بنص قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها) وقوله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقوله سبحانه (إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم) وقال صلى الله عليه وسلم ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد ان اشتكى عضو تداعى له سائر

الجسد بالسهر والحمى) وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله) وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ثم شبك بين أصابعه) وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا أتاه السائل أو صاحب الحاجة قال اشفعوا فلتؤجروا و يقضي الله على لسان رسوله ماشاء. وقال صلى الله عليه وسلم أنصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يارسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه. وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات الآخرة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة. وقال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا و يشير الى صدره ثلاث مرات. بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وقال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط ومتصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لا زبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا والخائن الذى لا يخفى له طمع وان دق الاخان ورجل لا يصبح ولا يمسى ألا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش. وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وقال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه. وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من لا يامن جاره بوائقه وقال مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. وقال صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالناس من أجل أن يحزنه. وعن تميم الدارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قلنا يارسول الله لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم. وعن جرير قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على اقام الصلاة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم. هذه أحاديث صحيحة على شرط الشيخين رضى الله عنهما. وفى الحديث

الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من شقي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويامر بالمعروف وينه عن المنكر . هذه الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية تبين للمؤمن سبل الخير وتوضح له مناهج السعادة وما من حكم من أحكام الشريعة المطهرة ألا وهو خير للمسلمين في الدنيا والآخرة . أوجب الله سبحانه وتعالى علينا أن نجعل كل فرد من أفراد المؤمنين أخا لنا وأوجب علينا أن نقوم بحقوق المسلمين بالتعاون والائتلاف والمحبة وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيانا جليا حتى صار كالمحسوس واليك ما ناله من الخير في الدنيا والآخرة باتباع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم أيدك الله ان الناس محتاج بعضهم الى بعض وان كل واحد من الناس لا ينال كماله بل ولا يحصل على ضروريه الا بمعاونة الآخرين له لان الناس مطبوعون على النقصان ومضطرون الى زوال هذا النقصان بالتمام ولا سبيل لكل واحد أن ينال كماله بنفسه فالضرورة داعية الى التعاون والائتلاف والحاجة صادفة في ذلك وباعثة على حال تؤلف بين أشتات المسلمين ليصيروا بالائتلاف والاتحاد جسدا واحدا حتى يقوم كل عضو من اعضائه بفرده ويعاونه الاعضاء على الفعل الواحد النافع ولا تنال المعيشة الطيبة في الدنيا ولا السعادة الابدية في الآخرة الا بالاتحاد والتعاون واذا سعى كل فرد من المسلمين في الخير لجماعة المسلمين حصلت المودة فالمحبة فالصداقة وللمحبة انواع فمنها ما ينعقد سريعا وينحل سريعا وهي المحبة للذة لان اللذة سريعة التغيير ومنها ما ينعقد سريعا وينحل بطيئا وهي المحبة التي سببها الخير ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل سريعا وهي المحبة التي سببها المنافع ومنها ما ينعقد بطيئا وينحل بطيئا وهي التي تتركب مما تقدم اذا كان فيها الخير ولا تكون الصداقة صداقة الا اذا كانت بين الاخيار لان محبتهم لاجل الخير الحقيقي المقصود للارواح . ولما كان الخير الحقيقي المقصود بالذات لا تتغير ذاته صارت محبة الاخيار لا تتغير أبدا بل وتنمو في كل نفس . متى بلغت المحبة لدرجة الصداقة كان المجتمع الاسلامي بأجمعه يمثل الجناب

المحمدى لان الخيرات الحقيقية تقسمت عليه وصارت مقاصدهم الخير المطلق الحقيقى • ما الذى ينتج عن ذلك يا أخى : ينتج عن ذلك عز المسلمين وقوة سلطانهم و رغد عيشتهم وتقسيم السعادة بين كل فرد منهم حتى يكون كل فرد قد حاز قسطا عظيما من السعادة وإذا حصل ذلك دان لهم الخلق أجمعون وفتحت لهم كنوز السموات والارض وتوالت عليهم الغنائم وصارت كلمة الله هى العليا وتجددت شعائر الاسلام وعمرت مساجد الله وانتشر العدل بين العالم ولا يعلم قدر ما ينال كل فرد من النعيم الابدى والسعادة الحقيقية يوم القيامة الا الله تعالى • اذا تدبرت هذا علمت أن أحكام الله سبحانه وتعالى وأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم بالعمل بها سعادة الدنيا والآخرة • ومعلوم أن الانسان فى هذه الدار الدنيا اما أن يكون وحده وقد تقدم الكلام على ما يجب على الشخص لنفسه و بيناه بسير النفس فى معارج المقربين وطرق تزكيتها أو يكون مع خواصه من والدين وأرحام وأهل و ولد وجار وأتباع وتقدم الكلام على حقوق الوالدين والارحام والاهل والولد فى كتابنا هذا وتقدم الكلام على حقوق الجار والاتباع فى كتاب أساس الطريق عند ذكر الانسان أو يكون مع عموم الخلق وهذا الامر الثالث هو المراد بيانه

﴿ الواجب لعموم الخلق ﴾

نبتدىء بأقل الواجبات • أقل واجبات حسن الصحبة • كف الاذى عن جميع المسلمين لقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وفوق ذلك أن تنفعهم وتحسن اليهم وان تحب لهم ما تحب لنفسك وأن تتواضع لكل مسلم ولا تفتخر عليه وان تكبر عليه أحد من المسلمين فعليه أن يتواضع له لقوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وعليه أن يوقر المشايخ و يرحم الصبيان وأن يكون مع كل مسلم مستبشرا طلق الوجه ليدخل عليه السرور وأن يصلح ذات البين ولو بالمبالغة فى الكلام وعلى كل مسلم أن لا يسمع بلاغات بعض الناس على

بعض لان النفوس جبلت على حب الانتقام وأن لا يهجر أخاه المسلم فوق ثلاثة أيام فان ذلك ليس من خلق المؤمنين وأن تحسن الى كل أحد يقطع النظر عن كونه أهلا أولا وأن تخالق الناس على قدر عقولهم ولا تنتظر من الجاهل ما تنتظره من العالم وان تنزل الناس منازلهم فتكرم اهل المكانة والجاه ولو فى الدنيا ومن أعظمها ستر عورات المسلمين وان تتقي مواضع التهم حفظا لقلوب المسلمين من سوء الظن وألسنتهم عن الغيبة وان تسعى لقضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة . ومنها المبادرة بالسلام على كل مسلم ومصافحته ليكون لك فضل البداية وان تنصر أخاك فى غيبته بالرد عن عرضه وماله ومنها مداراة أهل الشر لتسلم من شرهم ومنها التردد على مجالس المساكين والتباعد عن مجالسة الاغنياء فانهم موتى القلوب . ومنها عيادة مرضاهم وتشييع جنائزهم وزيارة قبورهم والدعاء لهم فى الغيبة وتشميت عاطسهم وانصاف الناس من نفسه . هذه بعض الحقوق الواجبة على المسلم لاخوانه آثرنا ذكرها لننبيه اخوتى المؤمنين اليها ومراعاتها لتقوى المحبة وتجدد الصداقة وترضى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والله سبحانه أسأل ان يعيد للمسلمين مجدهم وينظر اليها جميعا نظر احسان وود أنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم آمين

هذه هى الحقوق التى وردت بها الاحاديث النبويه الصحيحة وحث عليها القرآن المجيد وهى حقوق تجب مراعاتها على كل مسلم لكل مسلم حتى يكون مسلما حقيقيا وبحسن مراعاتها تكمل الاخلاق ويسهل على المسلم حسن معاملة اخوانه المسلمين وبذلك يكون مسلما كاملا وعضوا عاملا لخير المسلمين ومن ذاق حلاوة قوله تعالى (ولا تنسوا الفضل بينكم) وان كان سببها خاصا فحكمها عام علم حقيقة العلم أن الواجب على كل مسلم لكل مسلم أمور وجدانية تمكن للمسلم أن يدركها من سر قوله صلى الله عليه وسلم أحب لاخيك ما تحب لنفسك والذى تحبه لنفسك لا يخفى عليك من الجاه والمنزلة والامن والعافية وحسن السمعة ورغد العيش وغير ذلك مما لا يخفى على انسان وهذا هو الميزان الحقيقى الذى به يكون المسلم مسلما بمعناه ومن أحب ان يكون اماما للمتقين فالسبيل الى نوال ذلك ان يتعلم أخلاق رسول الله

صلى الله عليه وسلم وقد كتبنا نبذا من أخلاقه صلى الله عليه وسلم الظاهرة فى كتاب أصول الوصول وكتاب معارج المقربين فاجتهد يا أخى ان تطلع على تلك الاسرار فى مواضعها لتتجمل بتلك الجمالات لتكون من المحسنين والله سبحانه وتعالى أسأل ان يعاملنا باحسانه و يعيننا على حسن معاملة اخواننا انه مجيب الدعاء آمين

﴿ الواجب لمعلم الخير ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث طويل ان الله وملائكته وأهل السموات والارض حتى النملة فى جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير . قبل أن نتكلم على الواجب فى هذا الموضوع نبين الخير ومن هو معلمه الذى نقصد ان نشرح الواجب له فى مختصرنا هذا

معلوم ان الخير هو المقصود للكل وكل ماسواه وسائل له فكأنه المقصود لكل النفوس على السواء والمقصود اما أولا و بالذات وهو الحق تقدست ذاته وتنزهت صفاته تتألهه لجنابه العلى النفوس الطاهرة وتحن اليه الارواح الملكية فهو المقصد الحقيقى لأولى العزم من الرسل ولعالين من الروحانيين ولكل الافراد الوارثين ولاهل الخصوصية من أولياء الله المقربين وما سواه من المقاصد وان علا ومن المطالب وان سما فهو بالنسبة للمقصود الاول وسائل توصل اليه ومعارج تقرب اليه وآيات مشرقات دالات عليه وانما تشتاق تلك النفوس الطاهرة الى الفردوس الاعلى لا للفردوس ومافيها أو تتمنى الرضوان الاكبر لا لنيل الرضوان وادراكه انما ذلك كله لحظوة تؤدى الى جلوة وقرب ينبئ بحب والوسائل كلها الى هذا المقصود الاعظم هى كالمقاصد لعظمتها . ولما كان معلم الخير يطلق و يراد منه كل من دل على خير دينى أو بدنى أودنيوى أواخروى كان هذا اللفظ عاما يشمل معلمى الصناعة النافعة العامة ومعلمى الاخلاق والتهذيب لان من الصناعات ماهو ضرورى للعمران لا يستقيم حاله الا بها كعلوم الطب وفنون الزراعات والتجارات وفن تنظيم المدن ومالا بد للمجتمع منه من

فنون العمارات ومايتصل بذلك من فنون النسيج والخياطة والبناء وغيرها فان ذلك لابد للمجتمع الانسانى منه وبدونها لايكون المجتمع فاضلا ومعلمو الفنون أو الصناعات يعدون من معلمى الخير ويتصل بذلك علوم الاحكام والقضاء واقامة الحدود وسياسة المدن وقد قام العلماء فشرحوا فضل هؤلاء المعلمين وما لهم من الاجر عند الله تعالى ولكنى فى مختصرى هذا أتكلم على معلم الخير الحقيقى وألم الى فضل معلمى الخير الذى هو وسائل للخير الحقيقى فان الزراع والتجار والصناع قاموا للمجتمع بعمل به اتسع الوقت وحصلت الراحة للقلوب والابدان فلو أن الزراع والتجار والصناع لاحظوا فى أعمالهم حسن النية وقصدوا بذلك النفع العام بالمجتمع الاسلامى لكانوا كالمجاهدين فى سبيل الله أو كالصائمين القائمين فان المزارع يتعب نفسه الليل والنهار ليربح بقية اخوانه والتاجر يتعب نفسه ويبذل ماله ويشغل فكره ليأخذ ما زاد عن لوازم أمته ويرسله الى البلاد المحتاجة له ويجلب لامته ما هم فى حاجة اليه من البلاد الاخرى فهو فى جهاد لو حسنت نيته وصدقت عزيمته وهو الامين على المسلمين وعلى قلب نبى ما لم يخن أو يغش المسلمين والصانع مسكين يتعب جميع جوارحه ليعمل عملا به سرور اخوانه وراحتهم فلو حسنت نيته ولاحظ جانب ربه فى عمله كالمجاهد فى سبيل الله وأحل الارزاق أرزاق الزراع والتجار والصناع اذا صدقوا ومعلمو الصناعات أو التجارات أو الزراعات معلمون للخير المقصود لا بالذات ولكن للوسائل التى بها نيل الخير الذى لابد منه للتوجه الى هذا المقصد الاعظم الذى هو الخير الحقيقى . وقد أثنى الله تعالى فى القرآن على العاملين المخلصين فى المعاملة أما معلم الخير الحقيقى فهو المقصود بالذات دون غيره اذ به سعادة الابد والنعيم الحقيقى فى الدنيا والآخرة فان معلم الخير الحقيقى هو الشمس المضيئة التى تبين سبل السعادة فى الدنيا والآخرة وتوضح الطريق المستقيم الذى يكون به الناهج عليه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فهو النجاة الحقيقية للعالم كله والسعادة الحقيقة لبنى الانسان ورحمة الله الحقيقية لمن اقتدى به وقبل وصاياه يعز الله به بعد الذل ويغنى به بعد الفقر ويقوى به بعد الضعف سر قوله سبحانه وتعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) وقال صلى الله

عليه وسلم قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام (انى عليم أحب كل عليم) وعن أبى أمامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين أحدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم رجلا . ومعلم الخير الأول هو سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبق لك فى الواجب عليك أن طاعته صلى الله عليه وسلم هى طاعة الله وأن مخالفته صلى الله عليه وسلم معصية لله ولسنا الآن بصدد شرح تلك المعانى بالنسبة لجنابه صلى الله عليه وسلم لاناقدمنا نبذا فى الواجب لجنابه صلى الله عليه وسلم فى كتابنا هذا والمراد الآن ان نبين الواجب لوارث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو معلم الخير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو حجة الله على خلقه ونور تستبين به السنن وتتضح به السبل كما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون) وقوله سبحانه وتعالى (ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) وقوله سبحانه وتعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) وقوله سبحانه (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس) وقوله سبحانه وتعالى (هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقوله تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وسر قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم خيار أمتى علماؤها وخيار علمائها فقهاؤها وقوله صلى الله عليه وسلم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وقوله صلى الله عليه وسلم على خلفائى قالوا ومن خلفاؤك يارسول الله قال الذين يحيون سنتى يعلمونها عباد الله وقوله صلى الله عليه وسلم ماعبد الله بشئ أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد الدين الفقه وقال صلى الله عليه وسلم ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك . وقوله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب أهله فان أحدكم لايدرى متى يحتاج اليه أو متى يحتاج الى ماعنده وليحذر أن يطلبه لمراء أورياء فان الممارى به مهجور لا ينتفع والمرائى به محقور لايرتفع . والآيات القرآنية

والاحاديث النبوية الواردة فى الحث على العلم والثناء من الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم على العلماء المعلمين للخير لا تحصى ولا تعد

اول واجب لمعلم الخير . أول واجب عليك لمعلم الخير أيها الاخ المسترشد بعد ان تتحقق أنه معلم للخير وأنه دال على الحق وأنه على الصراط المستقيم يدعو الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة ويخالق الناس على قدر عقولهم ان تفرغ قلبك وبدنك من الشواغل بقدر استطاعتك وان تتلقى منه العلم بقبول واقبال بدون التفات أوشعور من نفسك انك تعلمت شيئا فى حال بدايتك فان ذلك ربما أدى الى اظهار مبادىء العلم الذى تعلمته من العالم الربانى أمام الجهلاء أدعياء العلم فينكرون عليك فى بدايتك وأنت لا قدرة لك على اقامة الحجة وبيان المحجة فيكون ذلك منتجا الشكك فى معلم الخير أوفى اشتغالك بالخلق عنه وان تكون امامه كمريض يستشفى يشعر بآلام الجهل كما يشعر المريض بآلام المرض ويتمنى عود العافية عليه كما يتمنى المريض وتتحقق ان هذا العالم الربانى هو الطبيب الذى يزيل أمراضك بما تتعلم منه . هذا فى مقام البداية فاذا ذقت حلاوة العلم الربانى يجب عليك أن تكون كالميت بين يديه الذى يتحقق ان هذا المعلم يحييه من هذا الموت بما يجمله به من علوم الحكمة واسرار المعرفة سر قوله تعالى (استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) والاستجابة لمعلم الخير استجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فان أمراض القلوب وآلام النفوس أعظم وأشد فى الحال والمآل من أمراض الابدان وآلام الجوارح فان امراض الابدان وآلام الجوارح تفضى بالانسان الى الموت الذى لا بد منه وأما أمراض القلوب وآلام النفوس فانها تفضى بالانسان الى جحيم الغضب وسقر المقت وجهنم الحجاب عن حضرة الله سبحانه وتعالى ومن الواجب عليك أيها الاخ أن تتقرب اليه بما يحب لتشرح صدره فانك ان شرحت صدره بالتقرب اليه بما يحب أباح لك بغرائب العلوم وأسرار الفهوم وكاشفك بالمكنون وتملق له يا أخى فان التملق ليس من خلق المؤمن الا فى طلب العلم كما قال صلى الله عليه وسلم (ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم) ويجب عليك يا أخى ان يكون تعلمك من العالم الربانى بعمله أكمل من تعلمك بقوله فان يعمل بالعزائم وقد يقول

بالرخص لمقتضيات وتعلمك من سكوته أكثر من تعلمك بكلامه فان سكوته علم وكلامه علم وكن حاضر القلب والجسم معه ان استطعت فان غاب عنك يا أخي لا تحدث نفسك بأن تقوم لتعلم الناس ما تعلمته منه فان ذلك وقفة لك في طريق التعلم والتفات عن معلم الخير ولكن كن راوية لعلومه ومحدثا عنه ان استطعت ان تميز بين مراتب النفوس وما يليق لكل نفس فان جهلت مراتب النفوس وما يليق لكل نفس فجاهد نفسك أن تعمل بما علمته منه ليعلمك الله علم ما لم تعلم خشية من أن تزل فيزل العالم بزلتك و يتركك الناس و يذمون معلم الخير فتكون زلتك بذم معلم الخير وتنفير المسلمين منه شرا على الناس . اذا بلغ حبك لمعلم الخير مبلغا لا تستطيع أن تكتمه فجاهد نفسك أن تكون بواعث الحب معينة لك على الاقتداء والعمل بوصاياه واياك أيها الاخ أن تقوى عليك عوامل المحبة فتقوم معلنا أسراره ومبينا أحواله ظنا منك ان الناس يحبونه كما أحببته و ينتفعون به كما انتفعت به فتخطئ السبيل وتفسد على العالم أحوالهم فانه لم يكاشفك بما كوشفت به من الاسرار الا بعد تزكية نفسك وعلمه منك الاهلية واعتقاده انك على الصراط المستقيم

واياك أيها الاخ أن تدعوك المحبة الى تنقيص العلماء ومجادلة الناس فان ذلك ليس من آداب المريدين الصادقين ويجب عليك أيها الاخ المخلص ان لا تقلده فيما لم يستبين لك منه وجه التأويل الا اذا أمرك . ومعلم الخير الحقيقي لا يخفى على ذي عقل ولكني أشرح لك بعض صفات العلماء . من أكمل صفاتهم الخشية لله والتواضع لله تعالى والتباعد عن مجالسة الامراء والحكام ودوام الميل الى الفقراء والمساكين والعمل بما علموا فمعلم الخير هو العالم الرباني الذي وصفه الله تعالى في كتابه وأثنى عليه وقد وصفه سيدنا علي بن أبي طالب وفضله على الخلائق فقال في وصفه القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجئوا الى ركن وثيق . العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العالم دين يدان به : يكسبه الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد موته . العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله . مات خزان

الاموال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر ثم تنفس الصعداء فقال هاه . ان ها هنا علما جما لو أجد له حملة بلى أجد لقنا غير مأمون يستعمل الدين فى طلب الدنيا و يستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه و يستظهر بحججه على خلقه او منقاد الاهل الحق ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له وليسوا من رعاة الدين فى شىء الا لا اذا ولا ذاك فمنهوم باللذة سلس القياد فى طلب الشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبها بهما الانعام السائمة . اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه بل لا تخلى الارض من قائم لله تعالى بحجة اما ظاهرا مكشوفا وأما خافيا مقهورا لئلا تبطل حجج الله تعالى و بيناته واين أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعوها نظراءهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم . هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون : صحبوا الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك اولياء الله من خلقه وعماله فى ارضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم . فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة وهذه نعوت علماء الباطن وعلماء القلوب لا علماء الالسنة وكذلك وصفهم سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصف العلم بالله تعالى فقال تعلموا العلم فان تعلمه خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد * وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة . و بذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة . والصاحب فى الخلوة . والدليل على السراء والضراء والزين عند الاخلاء . والقريب عند الغرباء . ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به اقواما فيجعلهم الله فى الخير قادة وهداة يقتدى بهم ادلة فى الخير تقتفى آثارهم . وترمق اعمالهم . و يقتدى بفعالهم . و ينتهى الى رأيهم . وترغب الملائكة فى خلتهم و بأجنحتها تمسحهم حتى كل رطب و يابس لهم مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها الا ان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى . والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام . به يطاع الله تعالى و به يعبد و به يوحد و به يتورع و به توصل

الارحام . العلم امام والعمل تابعه تلهمه السعداء وتحرمه الاشقياء . فهذه اوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن . هذا ما احببت ان أُبين به صفات معلم الخير من كلام أئمة الصحابة رضوان الله عنهم ليتبين للمريد الصادق الاوصاف التى يجعل الله بها عبدا من عباده كان ولاشك معلما للخير . وقد سبق لى وصف العلماء الربانيين وشرح علاماتهم الظاهرة والباطنة فى كتاب أصول الوصول عند ذكر علماء الآخرة وفى كتاب معارج المقربين عند ذكر العلم والايمان وفى مذكرة المرشد والمسترشد عند ذكر المرشد ونوابه فمن أراد المزيد فليراجع تلك الكتب الا أنى أرى من الواجب علىّ أن أشرح بعض مشاهد العلماء العارفين بايجاز خصوصا فيما يتعلق بعلم المعرفة والايمان واليقين .

اعلم يا أخى وفقك الله تعالى ان تلك العلوم العالية من أخص علامات العالم الربانى لانها مواهب من الله تعالى يتفضل بها سبحانه فضلا منه وكرما وأما علم الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الاسلام وهو مقامه من الله وحاله بين يدى الله ونصيبه منه فى درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالى والايمان به قرينان لا يفترقان فالعلم بالله تعالى هو ميزان الايمان به يستبين المزيد من النقصان لان العلم ظاهر الايمان يكشفه ويظهره والايمان باطن العلم يهيجه ويشمله فالايمان مدد العلم وبصره والعلم قوّة الايمان ولسانه وضعف الايمان وقوّته ومزيده ونقصه بمزيد العلم بالله عز وجل ونقصه وقوته وضعفه وفى وصية لقمان الحكيم لابنه يابنى كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشاء من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعانى والنشاء أعلى فروعها فهذه المقامات موجودة فى أنوار الايمان يعدّها علم اليقين ثم أن المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع فى الاسلام وهو انهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان فى المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل عنها فشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو فى السمع لسانها

القول والواجد بها واجد يعلم علم اليقين من قوله تعالى (من سبإ بنبإ يقين إني وجدت) فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعلم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين أي جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين لانهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهى بعد المعرفة التى هى العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب و بعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالى بنوره على يد بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا التعلم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة واهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من اصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين وجاء رجل الى معاذ بن جبل فقال اخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا أنه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره فقال معاذ ليحبطن شكه أعماله قال فأخبرنى عن رجل قليل العمل الا أنه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فاخذ معاذ بيده وقام قائما ثم قال ما رأيت الذى هو أفقه من هذا وقد رويناه مسندا قيل يارسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب و رجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال مامن آدمى الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة و روينا فى حديث أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال ومن أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يابنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل العمل الضعيف اذا كان متيقنا أفضل من العمل القوى الضعيف فى يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الاثم وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نوراً وللشرك ناراً وأن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين . واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره فالعالم به

خبير وهو للصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا فى الخبر والعالم به خبير مسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك كقوله تعالى جده (وما زادهم الا ايمانا وتسليما) وقد يضعف هؤلاء بعدم الاسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان المادة ويحجبون بنظرهم الى الأواسط ويكاشفون بها ويجعلون مزيدهم وأنسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم فقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الاشياء وتغيرها عليهم • ومن الواجب عليك أيها المريد الصادق أن تعتقد أن له أعمالا قلبية خاصة به وأن ذرة صغيرة منها خير من أمثال الجبال الرواسي من أعمال الابدان فلا تشتبه به في أعماله البدنية فانه قد يقتصر على الفرض والسنة امامك فتظن بجهالة باعمال القلوب أنه أقل عملا منك أو تقلده فتترك الرغائب والمستحبات من الاعمال كما حصل لبعض الأئمة رضى الله عنهم . وقد نزل ضيفا على تلميذ له وكان التلميذ يقوم الليل أجمعه فأحضر له الوضوء وانصرف عنه بعد نومه وحضر اليه وقت الفجر فوجد العالم جالسا ووجد الماء الذى أعده له كما هو • وكان العالم نام بعد ان صلى العشاء الاخيرة فتعجب التلميذ من وجود الماء كما هو • وبعد أن توضأ الاستاذ وصلى الصبح أمره أن يحضر دواة وورقا وأملى عليه احكاما شرعية استنبطها من آيات القرآن وشرح له عدة آيات فهمها من كتاب الله تعالى فى ليلته هذه فصغرت اعمال التلميذ فى عينه وتحقق أن العلماء لهم اعمال قلبية خاصة بهم وان المريد الصادق يجب عليه أن يجاهد نفسه بالاعمال البدنية حتى يمنح الفقه فى القلب ولديها يكون عاملا بقلبه وبدنه • وقد جهل كثير من المريدين اعمال القلوب عند اهل القلوب وشهدوا من العلماء الاختصار على الفرائض والمسنونات ورأوا بعض العباد يصومون الدهر ويقومون الليل فتعجبوا لخفاء السبب . اجعل معلم الخير كصحيفة جميلة امامك وكن له كمرآة ينطبع فيها أخلاقه المحمدية وآدابه وعلومه وورعه ورحمته على اخوانه المسلمين حتى تتكمل بكل معانيه وتكون له دالة على فضله وحجة له قائمة على علمه بأخلاقك الفاضلة وورعك عن الشبهات ومخالقتك للناس • واعلم حق العلم أنك اذا تهاونت فى شئ من ذلك كنت كساع فى ضرر نفسك وغيرك • واليك يا أخى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من الأحاديث الصحيحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دل على خير فله مثل أجر فاعله وقال صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ • وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما أنا قاسم والله يعطى ولا تزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك وقال صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا الى الجنة وما اجتمع قوم في مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفت بهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطىء به عمله لم يسرع به نسبه وقال صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وأن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر (حديث حسن) وقال أبو أمامة الباهلي رضى الله عنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان أحدهما عابد والآخر عالم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير وقال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال صلى الله عليه وسلم فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وقال صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع • هذه الاحاديث تبين لنا فضل العالم ومنزلته التي يجب أن ننزله فيها وهي شراب طهور للصادقين من المريدين

يتناولون منها أسرار الواجب لمعلم الخير والآداب الواجبة له فان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حصر الخير كله في العلم ولا علم الا بعلم فكان الخير جميعه لا ينال الا بعلم ويجب عليك
يا أخى أن تنتهز فرص انشراح صدر معلم الخير وتسأله بآداب متعلم وسلوك متفهم عما لابد
لك منه وان تلازم مجالسه وان تنافس في القرب منه فان كنت جيد الفهم والحفظ فاحفظ
ما يلقيه عليك من العلوم النافعة أو اجتهد ان تكتسب ذلك ان لم تكن جيد الحفظ ولكن
احذر أن تطلع عليه غير اهله ان كان من أسرار الحكمة أو من المكنون حتى تضعه في صدور
أهله وان كان من الاحكام أو من الانذار أو من التبشير مما ينفع اعلامه ولا يضر : يجب
عليك يا أخى أن تذكر به اخوانك المؤمنين ويجب عليك ان تعين معلم الخير بنفسك وبمالك
وبجاهك حرصا على دوام صفاء قلبه لان عناءه في طلب الرزق أو من الخوف من الخلق يشغل
قلبه ويضيع وقته فيضيع العلم واجعل محبتك له خالصة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه
وسلم وجاهد نفسك حتى تذوق حلاوة انك بصحبة العالم الربانى كانك في معية رسول الله صلى
الله عليه وسلم لان العالم الربانى وارث رسول الله صلى الله عليه وسلم والوارث ينفق من مال
مورثه وميراث الانبياء عليهم الصلاة والسلام العلم والحكمة . وتحقق أيها المريد المخلص ان
العالم الربانى أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة الاخ لجنابه صلى الله عليه وسلم كما ورد
بسند الامام مالك في الحديث الطويل قوله صلى الله عليه وسلم واشوقاه لاخوانى الذين لما
يأتوا بعد الى قوله صلى الله عليه وسلم يحيون سنتى بعد مواتها وسر ذلك يا أخى والله اعلم ان
سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا نبى بعده صلى الله عليه وسلم ومن
اكرام الله تعالى لامة حبيبه صلى الله عليه وسلم ان جعل العلماء الربانيين ورثة لرسوله صلى
الله عليه وسلم يقيمون حجج الله سبحانه ويجددون سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن الواجب عليك يا أخى لمعلم الخير أن تنشر محاسنه بين اخوتك المؤمنين بحالة متوسطة
لا تنفر القلوب منه بالمبالغة ولا تفسد القلوب بان تذكر ما أكرمه الله به من الكرامات وتنسى
ما منّ الله به عليه من العلم والاخلاق والورع والتواضع والاخلاص . واعلم يا أخى
انك كما لا يمكنك أن تتعلم الاحكام الظاهرة الا بعالم بها حى ، فكذلك يا أخى
لا يمكنك أن تتعلم علوم اليقين وأسرار اهل التمكين وتذوق حلاوة التوحيد وتشهد أنوار

التنزيه والتفريد وتجرد من احوال الاطلاق والتقييد الا بالعالم الحى الربانى الذى يشرح لك أسرار العلوم و يبين لك غوامض الفهوم فلا تك ممن حجبته المعاصرة فحرم أمداد الحى القيوم واحتقر أهل زمانه واستصغر أهل عصره فان فضل الله لا يقيد بزمان ومكان . مايضرك يا أخى لو انك سلمت للعالم فسلمت من عقوبة الانكار أو أقبلت عليه فواجهك الله بالانوار وأهم واجب عليك لمعلم الخير يا اخى ان يكون حبك له وحضورك عنده واقبالك عليه و بذلك له خالصا لوجه الله الكريم وابتغاء فضله و رضوانه سبحانه وتعالى و رغبة الانتشال من أوحال التوحيد والسلامة والعافية من امراض الجهل وآلام الغفلة عاكفا بقلبك وجسمك عليه باخلاص النية وصدق الطوية لان من صحب العارف لغرض من اغراض الدنيا أو حظ من حظوظ نفسه عجل الله له ما يريد وحرمه أجر يوم القيامة سر قوله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يعنى ريحها . واحذر يا أخى ان تصحب العالم الربانى وتتلقى العلم منه لمجادلة العلماء ومعارضة السفهاء وقهرهم لتعظم فى اعين الناس وترفع درجتك عندهم فان ذلك ربما أدى الى سوء الخاتمة قال صلى الله عليه وسلم من طلب العلم ليجادل به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار . فاذا من الله عليك يا أخى بالعلم فاخلص لله سريرتك عاملا به بصدق وعلمه لاخوتك المؤمنين ابتغاء وجه ربك العظيم زاهدا مافى أيديهم غير ملتفت الى ثنائهم عليك واقبالهم ولا ذمهم لك أو ادبارهم عنك واسمع يا أخى هذا الحديث الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ثلاثة رجل استشهد فأتى به الله فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لان يقال رجل جرئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار و رجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم وعلمته ليقال هو عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال

ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقى في النار . واحذر أيها المريد الصادق أن تجعل نعم الله عليك سببا في العذاب يوم القيامة باستعمالها في غير ما أحب الله تعالى أن تستعمل فيه فان من المريدين من اذا أحب العالم الرباني دعاه حبه لجهله الى المبالغة فيه والانتقاد من سواه والاعتراض على غيره فيكون قد فتح باب فتنة والمريد الصادق يتأدب بآداب القرآن فانه اذا جلس يذكر محاسن المرشد يجب عليه أن يحافظ على كرامة العلماء فاذا ذكر امامه عالما من السابقين أو المعاصرين أثنى عليه بما يعلمه اقتداء بالقرآن المجيد من قوله تعالى (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم) ليرضى الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ويحصن قلوب أخوانه من دسائس الشيطان الرجيم فانه ان لم يعمل ذلك تمكن الشيطان منه ومن اخوته المؤمنين وجعلهم أعداء لمسلم الخير وقد بينت مراتب الرجال والواجب على المريد للمرشد والواجب على نواب المرشد في كتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين بما أغنى عن الاطالة في هذا المختصر على أني يسرني أن يكون كل فرد من أفراد المسلمين محبا لكل العلماء والمرشدين معينا لهم فرحا بهم ليتلقى عنهم الخير ويترك أعمالهم التي تخالف الشرع الشريف لان الدعاة الى الخير ليسوا معصومين وما أضر بجماعة المسلمين الا التفرقة والاختلاف والانكار والجدل ورب رجل مسكين تنكر عليه وتعارضه وهو عند الله عظيم وماذا يضرنا لو أننا تلقينا العلم من كل عالم ونتخلق باخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العلم كله في العالم كله وقد قال الله تعالى (وقل رب زدني علما) والله سبحانه وتعالى يوفقنا جميعا للعمل بما يحب ويرضى ويفهمنا اسرار كتابه ويجملنا بالعمل بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم انه على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وورثته والتابعين

(الجهاد والمجاهدة)

الجهاد بذل ما في الوسع في سبيل الله تعالى وهو مقول على معنيين الاولى إعلاء كلمة الله تعالى الثانية الرباط لحفظ ثغور المسلمين ودفع العدو عند هجومه على جماعة المسلمين قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم) وفي الخبر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آمن بالله وبرسوله وأقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها قالوا أفلا نبشر الناس وقال صلى الله عليه وسلم إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة وقال انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا ايمان بي وتصديق برسلي ان أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة . وقال والذي نفسي بيده لولا ان رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغز في سبيل الله والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل وقال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها . عن أبي مسعود الانصاري رضي الله عنه قال جاء رجل بناقة مخطومة فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة . وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله . وعن معاذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الغزو غزوان فاما من ابتغى وجه الله وأطاع الامام وأنفق الكريمة وياسر الشريك واجتنب الفساد فان نومه ونبهه أجر كله وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة

وعصى الامام وأفسد في الارض فانه لم يرجع بالكفاف . عن عبد الله بن عمرو أنه قال يا رسول الله أخبرني عن الجهاد فقال ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا يا عبد الله بن عمرو وعلى أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تيك الحال . والجهاد تعتريه أحكام شرعية فقد يكون فرض عين وقد يكون فرض كفاية وقد يكون سنة مؤكدة تفصيل ذلك مبين في كتب الفقه وما من مسلم الا وهو مطالب بالجهاد بقدره أما باعداد المعدات أو بهاو بنفسه فعلى العالم المتفنن أن يجتهد في اختراع ما به قوة سلطان المسلمين وعلى التاجر أن يجتهد في جلب ما به قوة المسلمين وعلى المزارع أن يمد ما به مساعدة المجاهدين فكل مسلم في كل نفس يجب أن يكون مجاهدا في سبيل الله وليس الجهاد قاصرا على مجاهدة العدو فان من جهز غازيا كانه جاهد في سبيل الله وعلى معلم الصبيان أن يبث فيهم روح الغيرة على الدين والمدافعة عنه وعن أهله والجهاد هو العبادة التي تنبئ بكمال الاخلاص لله تعالى والتصديق لما بشر الله به وقد كان النساء يجاهدن في سبيل الله بما استطعن أما بالغزل أو بالنسيج أو بتجهيز الاغذية أو بضماد الجروح أو بنقل الماء حتى كانت المرأة تقص شعرها ليكون قيد الدابة يجاهد عليها مسلم في سبيل الله لتكون جاهدت حتى كان كل مسلم وكل مسلمة في كل نفس يرى نفسه مجاهدا بأي معنى من معاني الجهاد حتى الاعمى فانه كان يتوجه الى بيوت اخوانه المجاهدين ليقضي لهم حاجتهم ليكتب عند الله مجاهدا والجهاد ينتج نتيجتين حقيقيتين الاولى علو الكلمة وعز أهلها والغنيمة الثانية الحياة الطيبة في فردوس الله الاعلى والفوز برضوانه الاكبر ولم ترى عيني ولم تسمع أذني بتجارة تربح هذا الربح أبدا الا الجهاد في سبيل الله وإني على يقين أن أصغر مسلم يعلم ان كلمة الله لا تعلو إلا به وان العز الحقيقي لا يكون الا بالجهاد ولا شرف ولا مجد أعلى من هذا أسأل الله تعالى أن يكشف لقلوبنا حقيقة الجمال الرباني الذي به ننجذب بكليتنا الى الرضوان الاكبر

(المجاهدة)

قال الله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) وقال تعالى (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال جئتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يارسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد المرء هواه وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب والمجاهدة بذل الوسع فى فعل مايرضى الله تعالى وترك ما يسخط وبالمجاهدة تحصل رياضة النفس ، ومن زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ومن لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من عرف الطريقة شمة وقال سهل بن عبد الله ما عُبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى ومن جعل زمامه فى يد الشرع قاده الى النور ومن جعل زمامه الى الهوى قاده الى الظلمة وكذلك قال الله تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات) الآية وورد فى الحديث أن المعاصى اذا كثرت يختم لصاحبها بالكفر والعياذ بالله تعالى ، وممن أقيم فى المجاهدة من الصحابة رضوان الله عليهم عبدة بن هلال وكان قد أقسم على نفسه أن لا يشهد عليه ليل بنوم ولا شمس بظل أبدا فاقسم عليه عمر أن لا ينهك نفسه ويرفق بها وقال ابراهيم بن أدهم لا ينال الرجل رتبة الصالحين حتى يجوز ست عقبات الاولى يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة الثانية يغلق باب الراحة ويفتح باب التعب الثالثة يغلق باب العز ويفتح باب الذل الرابعة يغلق باب النوم ويفتح باب السهر الخامسة يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر السادسة يغلق باب الامل ويفتح باب الاستعداد للموت والمجاهد لنفسه فى رضاء الله تعالى تعترضه المحن والشدائد ويتعاهد بالبلايا حكمة من الله تعالى لصلاح العبد ولطفا به فى آخرته ليعرضه بذلك الى الملك العظيم وسعادة الابد إن صبر ورضى وفسر العلماء بالله تعالى المحن بستة أشياء الاول الامر والنهى مع غيبوبة الثواب

والعقاب الثاني تركب الهوى الثالث تطبيع الشهوات الرابع تسليط الشيطان الخامس خلق المشتهيات السادس تحبيبه للكسل والراحة والحكمة في الابتلاء والامتحان شيا آن. أحدهما التميز بين المطيع والعاصي بالعمل ليظهر في الدنيا من المطيع طاعته ومن العاصي عصيانه قال الله تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) أي حتى نعلم ذلك منكم واقعا لان الموجود قبل الابتلاء انما هو العلم بانه سيوجد من العبد طاعة أو عصيان وعند الابتلاء يحصل العلم بوجود الطاعة أو المعصية من فاعلهما . والثاني ليستوجب من صبر الثواب ومن جزع العقاب وقال بعض أهل المعرفة البلوى أدب للظالم وسياسة ورياضة للتائب وتفقد وتطهير الاولياء وعبادة الانبياء وشدد الله البلاء على الانبياء والخواص من أتباعهم ليكونوا دائما في التضرع اليه والمناجاة معه ولان الله تعالى يبغض الدنيا فامتحن اولياءه فيها لئلا يميلوا الى مبغوضه ومن المحن أن يجعل الله الطاعة ثقيلة والمعصية خفيفة قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والحكمة في ذلك كما قال سيدنا علي رضي الله عنه لئلا يأتي بابه كل سفلة وقال بعضهم ما الذي يقطع العبد عن الله تعالى بعد وصوله اليه فقال الواصل على ثلاثة أقسام واصل الى الآخرة يقطعه الميل الى الدنيا وواصل الى الدرجات والاحوال يقطعه حب الشهوات في الآخرة وواصل الى الله تعالى ولا مطمع للقطع فيه لقوله تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا) وفي الخبر عن بعض الاكابر ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا ما رجعوا

واعلم ان هذا الزمان لا يصل أحد فيه الى شيء من الحقيقة الا بذبح نفسه بالصبر وقتلها بالجوع والفقر والذل وتفريقها بالذكر والعلم وهدم الدنيا باليقين والزهد وعمارتها بالمعرفة والطاعة ومجاهدة الاعداء واستئصالهم وهم الهوى والشهوات والشيطان واعلم أنك مطبوع على أمور منها حسنة ومنها سيئة فاعدى أعدائك سيئات طباعك وأولى أوليائك حسناتها فدفع السيء من طباعك بالحسن منها واطلب من الله تعالى المعونة والصبر والنصر فقد بليت في حربها ومكايدها وجدالها بحرب لا حرب أنفع منه لك فان رزقت الظفر والا فانقص ما عليك الهزيمة منها فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالجد والجهاد في العبادة وكان

يداويهم بالدواء البالغ النافع فمن رآه قد أنهك نفسه في العبادة أمره بالرفق بنفسه فقال لحنظلة بن الراهب لما قد أنهك بالعبادة يا حنظلة ساعة وساعة وقال لغيره جدوا واجتهدوا • والمجاهدة سفينة النجاة تنتهي بصاحبها الى بر السلامة ومجاهدين الصديقين مع الخطرات ومجاهدة الابدال مع الفكرات ومجاهدة الزهاد مع الشهوات ومجاهدة التائبين مع الزلات

واعلم ان السعادة التي تجاهد لنيلها والشقاوة التي تجاهد لنفسك على النجاة منها لا نهاية لهما ولا انقضاء ولا آخر بل ذلك أبد الآباد لا ينصرم بتصرم الاحقاب والآباد بل لو قدرنا الدنيا مملوأة من الدخن من مشرقها الى مغربها وقدرنا طائرا مختطفا في كل خمسمائة ألف سنة حبة واحدة من ذلك الدخن لفني الدخن ولم ينقض ذلك الشقاء ولا ذلك النعيم لان الابد لا ينقضي وهذه الشقاوة الدائمة فيها من أنواع البلايا والآلام والعقوبات والحسرات ما قد شرحه الله تعالى في كتابه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم مجملا ومفصلا وأما السعادة فهي لذة وسرور بلا كدورة وغنى بلا فقر وكمال بلا نقصان وعز بلا ذل وراحة بلا تعب وبالجملة فهي كما أخبر الله تعالى في كتابه وقال تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وكما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر • فمثل هذا لا يحتاج الى الاحثاث في طلبه ويقبح الفتور عنه اذ كل عاقل مسارع الى أقل منه لا يصرفه عنه كون الطريق اليه متوعرا ويحوج الى ترك لذات الدنيا واحتمال أنواع من التعب فان مدة الدنيا واحتمال التعب فيها بالمجاهدة والعبادة قصيرة والغاية من اللذات والشهوات فيها قليل تنقضي وتنصرم عن قريب فان مدة عمر الانسان في الدنيا قصير بل ما يبقى من عمر الانسان في الدنيا بالاضافة الى ما مضى منها قليل جدا وقال صلى الله عليه وسلم بعثت والشمس في أطراف النخيل والعاقل يترك القليل العاجل لاجل تحصيل أضعافه في الآجل ولذلك ترى الخلق في التجارات والحرف يتحملون التعب والنصب في الحال طمعا في حصول منفعة وراحة في المستقبل تزيد على ما يفوتهم في العاجل زيادة محدودة فكيف لا يسمحون بترك لذة عاجلة للتوصل الى نعيم الابد وسعادة السرمد ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة انما هو لضعف ايمانهم باليوم الآخر وضعف ايمانهم سببه الغفلة عن الذكر في المعاد وعن شهود الوعد والوعيد

وتلك الغفلة مستمرة مستغرقة لا وقاتهم لا ينتبهون منها مادامت متوالية وهي كذلك وليس لهم واعظ مخلص ولا مذكر زكي القلب لان البلاد قد خلت من مثل هذا ولو فرض عالم زكي القلب يذكر الناس و يعظهم لم يلتفت اليه واذا التفت اليه وأذعنت النفس للقبول منه والعزم على التوبة هجم عليها عقيب ذلك عوارض الشهوات ومحبة الراحة والكسل ونيل اللذات وقضاء الاوطار فعارضت تلك الشهوات ذلك الباعث الضعيف على التوبة فمحته وأزالت أثره وأعادت حجاب الغفلة و يكون ذلك دأب باعث المعاصي مع باعث التوبة والطاعة أبدا مادام الانسان حيا لا يزال هذا دأبه الى الموت وعند ذلك لا يبقى له الا التحسر بعد الفوت ولا يغني عنه التحسر شيأ وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينذر قومه وعشيرته و يوقظهم من نوم الغفلة و ينذرهم بنذير الله و يقول يا معشر قريش أو نحو ذلك اشتروا انفسكم لا أغني عنكم من الله شيأ يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيأ يا فاطمة بنت محمد لا اغني عنك من الله شيأ وعنه صلى الله عليه وسلم جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم • ومامن أحد الا وله شيطان وأن الله أعانني على شيطاني حتى ملكته • واعلم أنه يلتبس على بعض الناس دعوة العقل بدعوة الهوى فيظن أنه منقاد للعقل متبع دواعي الشرع وهو في الحقيقة شيطان مريد لانه ماتبع الاهواء وما انقاد الا لشهواته وهو يتعلل لاغراضه لانها من الدين وأن طلبه لها من الدين حتى أن جماعة اشتغلوا بالوعظ والتذكير والقضاء والفتيا وتدريس العلوم والخطابة وأنواع الرياسة وهم فيه متبعون للهوى و يزعمون أن باعثهم الدين و يحركهم لهذه الامور طلب الثواب ومناقشتهم فيها من جهة الشرع وهم في ذلك مغرورون و يكشف لهم عن زللهم وغرورهم أن الواحد منهم إن كان يفعل لله تعالى وقصده دعوة الخلق الى الله تعالى وارشادهم ونصحهم فلا يغتم ولا يسوءه اذا جاء مكانه واعظ غيره أو قاض غيره أو متصدر غيره ممن هو أحسن سيرة منه وأكثر منه علما وأنصح للناس وتضاعف اقبال الناس عليه ليفرح به و يسر بوجوده و يشكر الله تعالى على سقوط هذا الفرض عنه بغيره ومن هو أولى منه به فان كان كذلك فهو صادق وهيهات أن يكون كذلك فان قلت فاذا كان لا يأمن مثل هذا التلبيس والانخداع بمكر الشيطان وغروره كما حكيت عن هؤلاء المغرورين فبم نميز بين

دعوة العقل ودعوة الهوى قلنا الذى ينبغى أن يرجع اليه عند هذا التحير أن يعلم أن العقل فى أكثر الامور يشير بالاصلح للعواقب وان كان فيه ثقل أو مشقة فى الحال والهوى يشير بطلب الراحة وترك التكلف فمهما عرض لك أمران ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكره لا بما تهواه فأكثر الخير فيما يكرهه الانسان قال تعالى (فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) وقال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وبالجملة فكلما سمت اليه نفسك مما فيه لذة ووطر وراحة ورفاهية وحط الكلف فى الحال فاتهم نفسك فيه فان حبك الشئ يعمى ويصم وما يترجح فى قلبك من الاقبال على العبادة والاحتراز عن خطر الآخرة واجتناب مخالفة الله تعالى فى أمره ونهيه فهو من اشارة العقل فخذ به والزمه . وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على غاية ما يمكن من المجاهدة لانفسهم مع أنهم مقطوع لهم بالفوز والدرجات العالية يأمرون أممهم وأتباعهم بالمجاهدة لانفسهم وكان فى التابعين المجاهدون الصابرون وبلغ من أمر جماعة من الصحابة فى المجاهدة ما لم يعجز عنه من جاء بعدهم من الخلق . هذا ولا تتم المجاهدة الا بالتثبت ولا تتحقق الا بالصبر فاذا عرض للمريد عارض الهوى والشهوة احتاج الى التثبت والصبر أما وجه احتياجه الى الثبات فلان الثبات حاجز بين العبد وبين المعصية ويقوى عند الثبات الخوف بالوعيد والرجاء بالوعد والحياء من الله تعالى لعظمته وجلاله ونعمه واحسانه وحقيقة التثبت هو التوقف والتأنى قبل الفعل ليتبين للفاعل غوائل الفعل وقبح عاقبته وأقوى المتثبتين وأشدهم رعاية لحقوق الله تعالى ومراقبة لعظمته وجلاله من راعى أحكام الله تعالى المتعلقة بأفعاله عند وقوع الخواطر الداعية الى العزم والافعال ولم تعمه الشهوة ولم تستهوه اللذة . وحديث النفس معفو عنه شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ما حدثت به نفوسها . والذى يعصى المكلف به هو ترك التثبت فى الفعل المحرم عند وقوع العزم عليه وكذلك يعصى بترك التثبت فى الفعل الذى يجهل حكمه ويعصى بعدم التثبت عند الشروع فى العمل والاخذ منه والاسترسال فيه بطريق الاولى . وأما وجه احتياج المجاهد الى الصبر فظاهر لان الله تعالى خلق الانسان مطبوعا على الشهوات والميل للذات والنفرة عن كل مؤلم ومشق فيحتاج المجاهد لتثبته الى الصبر كما يحتاج الى التثبت

قال تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى)

واعلم أنه يجب أن تكون المجاهدة والرياضة بالتنقل والتدريج والرفق بالنفس شيأ فشيأ ولا يهجم عليها بما يشق عليها من الاعمال فتنفر منه نفورا شديدا يخشى منه الترك والخروج بالكلية فيجب الرفق بها الى أن تتعود ذلك وهذا هو الذى نبه عليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فاذا أراد المجاهدة نقل نفسه عن عوائدها المذمومة الى المحمودة فليمنعها من الفعل المذموم وليذكرها ما ورد فيه من الوعيد على فعل المذموم والوعد على فعل المحمود فان ثقل عليه ذلك قطع عنها اللذات الناجزة وداوى نفسه بترك الشهوات العاجلة ومن عزم على تحصيل مقام السخاء مثلا فطريقه الزام نفسه القيام باخراج الواجب من الزكاة والنذور والكفارات ونفقة الاب والاولاد الصغار والزوجة وغيرهم من المال فاذا قام بذلك بسهولة عود نفسه الانفاق فى المندوب واذا وصل الى ذلك آثر على نفسه ذوى الحاجات ثم ينتقل الى الزهد فى حظوظ نفسه فى الترفه والراحات فهذه طريق المجاهدة والرياضة يدرج العبد نفسه فى سلوك الطريق الى مولاه مع الرفق بنفسه . والانقطاع الى الاعمال دفعة واخراج ما فى اليد دفعة واحدة منهى عنه فان قيل أن الصديق رضى الله عنه أتى بجميع ماله الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجه فى سبيل الله فلنا ذلك لان الحاجة كانت اليه متأكدة إذ كان ذلك وقت فاقة وضرورة وبالمسلمين حاجة اليه وأيضا فان الصديق كان عنده من الوثوق والصبر واليقين بالله تعالى ما ليس عند غيره ولا بأس أيضا بان يرفع المجاهد لنفسه بالعبادة بشئ من المباحات ليقوى بذلك على الطاعات وينتفى عنه الملل ويزول عنه السآم قال على رضى الله عنه روحوا النفوس فانها اذا كرهت عميت والشريعة جاءت بمداواة النفوس المريضة وتطبيب القلوب المعلولة

(مجاهدة الخواص) لما كانت المجاهدات انما قررها الشرع الشريف لمداواة النفوس وسياستها حتى تنطبع على الجميل الشرعى وتنتقل من الدنيا فراغا للقلب من الاشتغال بغير ما خلق الانسان له كان ولا بد من السير مع النفس برفق حتى لا تمل ولا تنقطع ولا تتعاصى على المريد فاذا صفت النفس وطهرت من لفسها وأشرقت عليها أنوار ملكوت الله

الاعلا تميزت لها المراتب وظهر الفانى والباقى وما ينفع فى الآجل وما يضر انجذبت بالكلية الى الخير بحسب مقامها الذى وصلت اليه فقد يكون الخير المقصود لها الجنة فتزهد فى الدنيا وما فيها الا ما يوصل للمقصود وقد يكون المقصود مقعد صدق فتقبل بالكلية الى نيل الكمالات الروحانية بالعلم والمعرفة وقد يكون المقصود الرضوان الاكبر فتنصب بكليتها على الذكر الاكبر وفى كل مقام من المقامات تتخلى عن مألوفاتها مما لا يسع هذا المختصر شرحه وقد يكون المقصود النظر الى الوجه المقدس فيصغر فى عينها كل شئ • ومراتب المجاهدات تكليف فتعريف فمجاهدة فقربات فتلذذ بالشدائد والمتاعب وقد ألمعنا الى نموذج من هذا فى كتاب شراب الارواح وفى كتاب مذكرة المرشد والمسترشد عندما شرحنا أحوال المسلم والمؤمن والمحسن والموقن وفى كتاب أصول الوصول عند مقام التوكل والرضا والتفويض فاذا انتقل المريد من مقام التكليف الى التعريف بذل النفس والنفيس فى طلب الرجل ليتلقى عنه أسرار المعرفة فاذا ظفر بالرجل أبدل صفاته الاولى بصفات أخرى • فأبدل العز بالذل للرجل والامن بالخوف والعلم بالجهل والتكبر بالتواضع حتى اذا رآه معارفه أنكروا عليه وشنعوا عليه وربما خرج الرجل من ماله وجاهه لمن يعرفه ربه متلذذا فرحا ولكن لا يحسن هذا الا لمن انتقل من التكليف الى التعريف واستعدت نفسه لتلقى أسرار الحكمة وغوامض أسرار الغيوب ويكون النظر فى وجه الرجل خيرا له من عبادة سبعين سنة فكيف لا يكون خيرا من ماله ولا يكون ذلك حقا الا اذا كان الرجل رجلا حقيقيا وارثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم علما وعملا وحالا وخلقا حتى تكون الصحبة صحبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمواجهة مواجهة لرسول الله والسير على صراط الله والعمل على سنة رسول الله والحال من روحانية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك يحلو التفضح ويجمل خرق العادة من مألوفاته وأحواله ويطيب تحمل الشدائد بلذة واستقبال المصائب بسرور والاعراض عن الجاهلين ومخالفة النصحاء الذين لا يعلمون حاله ولم يذوقوا مذاقه والاجمل عندى بهذا المريد الصادق أن يستر نفسه من الخلق ويجتهد فى مداراتهم فراغا لقلبه من الاشتغال بهم وستراله عن أعين عمياء عن شهوده وقلوب غلف عن استحضار أحواله وآذان

صما عن سماع الحكمة والا كان ذلك شغلا لقلبه وضررا لغيره ولا لوم على رجل نظر بعيني رأسه هوة أمامه تسكنها الأفاعي وتأوي اليها الحشرات المضرة ففر منها الى ما رآه أمنا وسلامة وحارب من جذبه اليها ولام عليه على القرار منها وليس من شهد بعيون بصيرته كمن شهد بعيون بصره وتلك الاحوال العالية والاسرار الغالية لا تكون الا على يدي الوارث الكامل ومن الافراد المؤهلين للوراثة المحمدية وليست دعوى وتقليدا ولا تكلفا وشهرة ومن ادعاها أو تكلفها لا يلبث الا ريثما يرجع الى ما كان عليه وما انقطع من انقطع بعد الوصال وانما انقطع من الطريق واذا وقعت العين على العين وزال البين من البين وشهدت عين القلب مشاهد عليين النورانية وأعلى عليين سر تنزلات الجمال الالهي وظلمات أسفل سافلين هاوية السخط والقطيعة والعذاب الاليم كيف يرجع بعد وصله أو كيف يرتد بعد قربه وقد بشرهم الله بقوله سبحانه (أولئك لهم الامن وهم مهتدون) وشنع على قوم ارتدوا بعد اسلامهم لانهم لم يصلوا بقوله سبحانه (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم)

﴿ أئمة أهل المجاهدة ﴾

أئمة أهل الصفة الذين كان الرجل منهم رضى الله عنهم ينصرع وهو في الصلاة من الجوع مع أنه يمكنه أن يعمل عملا يكفيه ويكفي مائة معه ولكنه شهد من مشاهد القرب وسمع من أسرار الحكمة القدسية ما أفناه عن كل لذة ذائلة وبهجة فانية ولكن الله تعالى حفظهم بالانوار المحمدية الالهية من لمة الشيطان ووسوسة الخناس حتى زمان التابعين الذين شهدوا أنوار مواجهات رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحابة واستمدوا من الفيض المحمدي المفاض على النفوس التي زكاها بنفسه صلى الله عليه وسلم ثم قام الافراد المطلوبين للقرب فكانت قلوبهم عامرة بالحب ولكن شوب تلك الانوار ببعض الحظوظ والاهواء جعل

للشيطان لمة بالقلوب فكانوا رضي الله عنهم وأرضاهم يقهرون النفوس على الاعمال الشاقة لتنفطر على الجميل من كل شيء فكنت ترى الرجل منهم يترك العمل للدنيا ويتسوّل على الناس لتذل نفسه وتنقاد له أو يعمل الاعمال المهينة ليحتقر في عين نفسه أو يلقي بنفسه في يم المصاعب والمتاعب بان يهجر العمران ويسكن الغابات والصحارى فراغا قلبه مما يشغله أو يقيد نفسه ويحبسها في خربة أو يعرض نفسه لاذية الناس وسببهم كل ذلك جهاداً لنفسه ورياضة لها وقهراً لها لتعينه على نيل السعادة الحقيقية والفوز بالرضوان الاكبر لانه شهد بنفسه فاذا انطبعت على الكمال وفطرت على حب الخير ولانت على الطاعة رجع انسانا كاملا وكم من سيد من سادات أهل الصفة ممن كان الرجل منهم يتصرعه الجوع تولى الولايات العظيمة وأصبح له خدم وحشم ولو أن الدنيا بما فيها عرضت اليه في حال مجاهدته لفر منها كما يفر من النار • كل تلك الكمالات لا ينبغي لمريد سالك أن يتكلفها ولا يقهر نفسه عليها الا بأمر المرشد الكامل الوارث لان للنفوس نزوع الى المهاوي المهلكة تهوي فيها على صورة مجاهدة للنفس على مدارج المجاهدة كما ترى بعض الناس يحبس نفسه ويصوم النهار ليكون له تصريف ينفع ويضر وبعضهم يطيل أظافره ويلبس المرقعات ويطأطأ رأسه ويبغض الاكل الطيب والفراش الطيب وينفر من الناس لتكون له الشهرة والسمعة وبعضهم يترك الاسباب ويدّعي وليستريح من عناء طلب الرزق ويجبى له كل شيء وبعضهم يعمل أعمال الصديقين ويظن لجهله أن أسرار الروحانيات الملكوتية عن عمل أو وفاق استخدام عفريت أو ارسال هاتف أو علم بما وراء الجدران أو بما ضاع من الناس حتى وضعوا كتبا سموها علم الروحاني وجعلوها قواعد لعمل السحر كل ذلك لم يكن الا لقهر النفس على عمل لم يأذن به المرشد ولم يكن على يد وارث ولا تشك أيها الاخ البار أن النفس اذا صفت من الهموم الكثيرة والاشتغال بما يجلي لها بقدر همة المريد ونيته فان كان همته الدنيا كان ذلك منفرداً بنفسه أو على يد جاهل بطريق الله لان المرشد الحقيقي يعرج بالناس من الدنيا الى الآخرة ومن الآخرة لحضرة القدس ولا يهوى بهم أعظك أيها الاخ الصالح أن تجتهد في طلب الرجل المرشد الحقيقي وأنبه فكرك أن تجعل ميزان الرجال أعمال أئمة الهدى من

المقتدى بهم لان المرشد غير المريد فالمريد ليس اماما والمرشد امام يقتدى به فاذا تحققت أنه على الصراط المستقيم عالم بالطريق عالم بالنفوس وطرق تزكيتها عارف بالله تعالى كن له كالميت بين يديه فانه عناية الله فانه لا يخرجك الا مخرج صدق ولا يدخلك الا مدخل صدق ولا ينزلك الا منزلا مباركا فاخرج له مما أمرك أن تخرج منه وادخل معه فيما أمرك أن تدخل فيه وأنزل معه فى كل منزل نزل فيه أو أمرك بالنزول فيه معتقدا انك على الحق مبتهلا الى الله تعالى أن يمنحك المزيد ويعيذك من السلب ومهما كانت رياضة النفس ومجاهدتها لا تبلغ بالمريد حداً تخرجه عن سنة رسول الله أو توقعه فى المساخط والملا عن ومعصية الله فان ترك الاسباب الفانية والتعلق بالاسباب الموصلة ليس من المعصية وقهر النفس على الاعمال التى تحقرها فى عين المريد كخدمة نعال الاخوان وكترك الزينة والبهجة وكترك المألوف المعتاد وهجران اخوان السوء وترك الوظائف العالية والرضا بالقليل من الدنيا بان كان عالما فترك وظيفة العلم وعمل سقاء وكترك التكسب بعمل الرياسة والتكسب بخدمة حمل الاثقال أو خدمة العامة فى الاسواق أو الانجار أو ترك مجالسة الامراء والوزراء ومجالسة الفقراء والمرضى أو الخروج من ماله ابتغاء مرضات الله تعالى كل ذلك من المجاهدات الموافقة للسنة واللوم عليه فيها لا يضره ولا يضر من عارضه لأنه على سنة وهم على سنة فكأنه بعمله أحيا سننا خفية وأعان الناس على احياء سنن جلية ولا من خرج عن حصون الشريعة وظن أنه يزكى نفسه مريدا لانه أضر نفسه وأضر غيره أما أضر نفسه فلأنه عمل ما لا يؤمر به شرعا ولا يكلف به من الاستاذ فكان مخالفا للشرع مخالفا للمرشد وأما ضرره لغيره فان من الناس من يقلده ومنهم من يشنع على المرشد الكامل فيكون أضر نفسه وشنع الناس على المرشد بسببه . وأكمل مريد من جمل مجاهدته لنفسه وخروجه عن الاعتدال أمام من لا يعرفه أو يخرج عن الاعتدال بقهرها على ما يحبه الله ويحبه رسول الله ليكون قدوة لاخوانه ونجما مشرقا فى سبيل الهداية وأخا معينا للمرشد على عمله ومن دعته نفسه الى غير ما قررت فالواجب عليه المسارعة الى التوبة والرجوع الى ما قررت وانتظار اشارة المرشد بصدق عزيمة وطهارة طوية واخلاص نية مفارقا نفسه وكل مخالف له وان

المرشد الكامل اعلم بنفسك و بخلاصها منك واعلم بما تتحمله من الاعمال وما تستطيعه من الاحوال والله سبحانه أسأل أن يمنّ عليّ وعلى اخواني جميعا بالتوفيق لما يحب من الاقوال والاعمال والاحوال أنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ المتحابون في الله ﴾

بسند الامام مالك بن أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون لجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته ذات حسب وجمال فقال أني أخاف الله ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحب الله العبد قال لجبريل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض الله العبد قال مالك لا أحسبه الا أنه قال في البغض مثل ذلك انتهى ما أورده الامام مالك رضي الله عنه

(من الاحاديث الصحاح)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وقال ان الله اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال اني أحب فلانا فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض واذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول اني أبغض فلانا فأبغضه قال فيبغضه جبريل

ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه قال فيبغضونه ثم يوضع له البغضاء في الارض وقال ان الله يقول يوم القيامة أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخا له في قرية أخرى فأرصد الله له على مدرجته ملكا قال أين تريد قال أريد أخا لي في هذه القرية قال هل لك عليه من نعمة تربها قال لا غير أني أحببته في الله قال فاني رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه عن أبي مسعود أنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال المرء مع من أحب . عن أنس ان رجلا قال يا رسول الله متى الساعة قال ويلك وما أعددت لها قال ما أعددت لها الا أني أحب الله ورسوله قال أنت مع من أحببت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما أن يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك واما أن تجد ريحا خبيثة

﴿ من الاحاديث الحسان ﴾

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في وفي رواية قال يقول الله تعالى المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء . عن أبي مالك الاشعري أنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال إن لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيامة فقال أعرابي حدثنا يا رسول الله من هم قال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى لم تكن بينهم أرحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من نور قدام عرش الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون * عن ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي ذر يا أبا ذر أي عرا الايمان أوثق قال

الله و رسوله أعلم قال الموالاة في الله والحب في الله والبغض في الله وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عاد المسلم أخاه أو زاره قال الله عزّ وجلّ طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا * عن المقدام ابن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا أحبّ الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه * عن أنس أنه قال مرّ رجل بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده ناس فقال رجل ممن عنده أني لأحبّ هذا لله فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم أعلمته قال لا قال قم اليه فاعلمه فقام اليه فأعلمه فقال أحبك الذي أحببتني له قال ثم رجع فسأله النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما قال فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم أنت مع من أحببت ولك ما احتسبت وفي رواية المرء مع من أحبّ وله ما اكتسب * عن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب إلاّ مؤمناً ولا يأ كل طعامك إلا تقيّ * وعن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل * عن يزيد بن نعامة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل للمودّة قال صلى الله عليه وسلم نظرة في وجه أخ في الله على شوق اليه خير من أجر من اعتكف في مسجدي هذا أربعين سنة

هذه الاحاديث النبوية وردت في الحث على اتخاذ الاخوان والاكثار منهم وقد تقدم لنا في كتاب معارج القربين تفصيلا وافيا في هذا الموضوع بينا فيه طريق انتقاء الاخوان ومعرفتهم والمحافظة عليهم إنما أريد أن أشرح هنا بعض مايخفى على الاخوان

معلوم أن الاخ الكامل آخر هو أنت والاخ غير الكامل عضو منك ولما كان الانسان في نفسه قد تعتريه بعض أمراض في عضو من الاعضاء أو في كل جسمه فكذلك قد تعتري الاخ غير الكامل أمراض وقد يعتري الاخ الكامل فتور فالواجب على الاخ أن يبذل ما في وسعه لحصول الصفاء بينه وبين أخيه كما يبذل وسعه في معالجة العضو اذا مرض ليدوم له الصفاء والاخ كما تدوم له الراحة والعافية وأن من الناس من يبذل وسعه في اتخاذ الاخوان ثم يتساهل في المحافظة عليهم فتحصل الجفوة بينهم وربما انقلب الصاحب عدوّا بسبب عدم المحافظة على روابط الاخاء فان للاخ كلما تقادم عهد الاخاء حقوقا على أخيه

توجبها الصداقة الخالصة وتخلل المحبة فى جميع أجزاء الجسم حتى يرى كل أخ أن أخاه كنزه وذخره ونفسه التى بين جنبيه فتكثر طلباته وترتفع الكلفة بينه وبينه وتكون الهفوة الصغيرة من الاخ الصادق كأكبر أذية من غيره فعلى الاخ أن يبدى لاخيه البشاشة وخصوصا عند ما يطلب منه حاجة وأن يكون صادقا معه يقوم له بما يجب عليه ولا يطالبه بالواجب لنفسه وخير الاخوان من واساك ومن اذا أطعت ربك أعانك واذا نسيت ذكره ذكرك واذا هممت بمعصية ردك وليس بأخ من حسدك على النعمة ونهاك عن الطاعة وأنساك ذكر الله وأعانك على المعصية ولكنه عدو مبين وشيطان لعين وأخوك حقا من حبك لمعان عالية للعلم أو العمل به أو للفضائل النفسانية والاعمال الصالحة ومعرفة الله تعالى والرغبة فيما عند الله تعالى وخوف مقامه سبحانه وتعالى والمسارعة الى مغفرة الله ونيل رضوانه. من أحبك لتلك المعانى أو لبعضها فهو الاخ حقا والصديق صدقا ومن أحبك لمال أو لجاه أو لوظيفة أو لقوة جسمانية أو لينال بك حاجته فليس بأخ لك ولكنه أخ لما أحب" فاحتفظ منه على نفسك ولا تغتر به ولا بأمثاله فانهم كثيرون والمضار الذى تحصل للرجال أكثرها من هؤلاء وأحب أن تعامل الله فى كل اخوانك معاملة ترضيه سبحانه وترضى رسوله صلى الله عليه وسلم وأحب أن تكون باذلا وسعك فى منفعة اخوانك وأن تكف أذيتك عنهم ومتاعبك ليكون الله فى عونك والله تعالى أسأل أن يعيننا على القيام بالواجب انه مجيب الدعاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المنعم الوهاب الفتاح العليم الذى علم من شاء الحكمة وفصل الخطاب والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله . اللهم انى أسألك ستر عيوبى وغفران ذنوبى وأبرأ اللهم اليك من شر نفسى ومن كل قول قلته أو فهم فهمته أو مبهم بينته أو مجمل فصلته لم أهتد فيه للصواب لتسرعى وغفلتى ونسيانى وأسألك يا مجيب المضطر اذا دعاه يا قابل التوب وغافر الذنب أن تجعل ما ألهمتنى إياه وأعنتنى على بيانه وشرحت صدرى لتدوينه من الحق والخير الحقيقى والنفع خالصا لوجهك الكريم تنفعنى به وتنفع به اخوانى المسلمين اللهم ما كان حقا مما وفقت وأعنت على وضعه فاجعله خالصا لوجهك الكريم ووسعة لى فى قبرى ونوراً لى يوم لقائك وترفعنى فضلا منك يا إلهى به الدرجات العلى وما وقع منى مما أنا أهله من العجلة والنسيان والخطأ فاستره يا إلهى بغفرانك واجعله يا إلهى محمولا على جانب عفوك وعم يا إلهى فضلك العظيم لى ولاهلى وأولادى واخوانى لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الانبياء والمرسلين وفاتح أبواب الخير العظيم وآله وسلم

الخويدم المسكين

عبد الله محمد ماضى

أبو العزائم

﴿ فهرست كتاب النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة